الإسلام
والتربية البيئية

د. محمد السيد أرناؤوط

دار الأمـــــل
للنشر والتوزيع
العنوان : ٨ شارع عبد العزيز حامد ـ أول الملك فيصل ـ جيزة .. ت: ٥٨٦٠٨٩٢

الإسلام
والتربية البيئية

الناشر: دار الأمل
العنوان: ٨ ش عبد العزيز حامد ـ أول الملك فيصل
تليفون: ٥٨٦٠٨٩٢
رقم الإيداع: ٩٩/٩٩٠٩
الترقيم الدولي: 977 - 5823 - 65 - x
طبع: مطابع الوادى الجديد
العنوان: دار السلام

غلاف: مجدى الطويل
جمع تصويرى: أرمس للكمبيوتر
العنوان: ٣٢ ش على عبد اللطيف ـ مجلس الشعب
تليفون: ٧٩٦٤٤٠٤
الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م

المقدمة

الإسلام دين الفطرة، دين العقل السليم الذى سلم من الخضوع لمؤثرات خارجية تميل به عن طريق الهدى، وتنحرف به عن الجادة والاستقامة والاعتدال، وأشد هذه المؤثرات على الفطرة هى: عوامل البيئة والوراثة، ويأتى بعدهما ما أودع الله فى الإنسان من ميول وغرائز، فمن سلم من الوقوع تحت هذه المؤثرات وكان سليم العقل متزن المنطق مستقيم النظر، ثم اتجه منصفا إلى الإسلام بتعاليمه؛ فإنه لن يجد غير الإسلام دينا يعتنقه فى صفاء عقيدته، وسمو مبادئه، والتأثر به بدافع من ضميره وفطرته دون عناء أو مشقة أو معالجة .

ولقد عنى الإسلام عناية خاصة بنظافة البيئة باعتبارها المحل الذى يقيم فيه الإنسان، ويحصل منه على احتياجاته ويمارس فيه عبادته لربه وأعماله التى تعينه على مواجهة متطلبات الحياة، كما ترتبط نظافة البيئة فى الإسلام ارتباطًا مباشرًا بالطهارة بكافة أشكالها وصورها حيث يقول تعالى :

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة : آية ٢٢٢)

ويقول تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ (الروم : آية ٤١)

فالآية تشير بوضوح إلى الدمار الذى يحدث فى البر والبحر، نتيجة لتدخل الإنسان فى الكون، بسبب جهله بنواميس الكون وقوانين البيئة التى سنها الله تعالى فى الكون والعلاج كما جاء فى الآية بالرجوع إلى منهج الله تعالى بتغيير الأنفس حتى تتغير الأحوال ، وتطهير القلوب حتى تتطهر الأجواء .

لذلك كانت هناك حاجة إلى إصدار سلسلة الإسلام والبيئة، حيث يتضمن

العدد الأول منها علاقة الإسلام بالبيئة من حيث مفهوم البيئة بين العلم والإسلام، وأساليب التربية البيئية فى الإسلام، والتى يسعى إلى تحقيقها من أجل حماية البيئة ومنع تلوثها أو إفسادها .

فأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» .

المؤلف

دكتور / محمد السيد أرناؤوط

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وأشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ

يقول تعالى فى كتابه الكريم: **﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾** (١).

ويقول تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(٢) .

فإن هذا الكون الذى نعيش فيه، على رحابة أرجائه، وسعة أقطاره، أرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، قد خلقه الله بقدرته، وأبدعته يد عنايته، آية فى الكمال، وغاية فى الإتقان والإحكام .

ويقول تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** (٣).

ويقول تعالى : **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾** (٤).

ومما يدهش له العقل، ويحار فيه لب اللبيب، أن هذه الأرزاق (على كثرتها)، وتلك الأقوات (على وفرتها) مقدر لها فى علم خالقها أن تفى باحتياجات جميع المخلوقات إلى الآجال المقدرة لهم ولها .

(١) سورة هود : ٦١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٩.
(٣) سورة الملك : ١٥ .
(٤) سورة فصلت : ٩ ـ ١٢.

ويقول تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١).

ولكن الإنسان لم يحسن استخدام هذه النعم، فضلاً عن تقصيره فى واجب الشكر عليها، حيث يقول تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢) .

ولقد ظن الإنسان أن هذا الرزق ما له من نفاد، فاندفع ذات اليمين وذات الشمال يحقق طموحاته غير المحدودة، فشرع لنفسه ما لم يأذن به الله، متخذاً بلوغ الهدف مبررا لاتخاذ الوسيلة، فحدث من جراء ذلك فى النظام البيئى من الخلل والاضطراب ما وصل بالإنسانية فى الآونة الأخيرة إلى حد الكوارث ، نتيجة للممارسات الخاطئة ، وسلوك السبل المعوجة وخصوصًا عقب الطفرة الصناعية الهائلة وما صاحبها من تقدم تقنى مذهل، مما حرك فى النفوس شهوات النهم والجشع، وصدق الله إذ يقول :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(٣) .

ولقد امتد طمع الإنسان وجشعه إلى تلوث البيئة التى يعيش فيها، ووصل التلوث إلى البر والبحر وطبقة الهواء التى فوقهما، وهو ما أشار إليه قوله تعالى :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤).

فالآية الكريمة تشير بوضوح إلى الدمار الذى يحدث فى البر والبحر نتيجة

(١) سورة الأعراف : ٣١ .

(٢) سورة الأعراف : ٥٥، ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران : ١٤ .

(٤) سورة الروم: ٤١

لتدخل الإنسان فى الكون، وتشير إلى الضرر البالغ الذى يحل به من جراء عمله هذا، ذلك الضرر الذى يذوقه الإنسان رغمًا عنه، وهو ما دفعه إلى جهله بنواميس الكون وقوانين البيئة التى سنها الله تعالى فى الكون، فأعماه الضرر، وسخر العلم الذى وهبه الله ـ سبحانه وتعالى ـ له من أجل سعادته فى ما لا ينفعه ويلحق به الضرر الكبير، وسعى من أجل متعة دنيوية زائفة إلى إفساد البر والبحر بإلقاء المخلفات الصناعية تارة، وبمخلفاته تارة، وبالمواد المشعة والإشعاعات الذرية وغيرها تارة أخرى، وهو بتدخله غير المدروس قد أدى إلى تغيير نظام البيئة، فعاد يدفع بنفسه إلى الانتحار وإلقائها فى التهلكة التى حذره الله منها (افعل كذا ولاتفعل كذا حسب ما جاء فى الشريعة الإسلامية) وهذه الأعمال الشائعة التى يقوم بها الإنسان وما ينتج عنها من تلوث وأضرار وأخطار هى ما عبر عنه بالفساد، وهى كلمة موحية تعبر عن أى خلل يقوم به الإنسان من سلوك شائن أو فعل قبيح أو صفة مرزولة، أو اضطراب يحدثه الإنسان فى خلقه وبديع صنعه.. والعلاج كما جاء فى آخر الآية، وهو ضرورة الرجوع إلى منهج الله تعالى فى تغيير الأنفس حتى تتغير الأحوال، وتطهير القلوب حتى تتطهر الأجواء، وهى إشارة القرآن فى قوله عز وجل ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وإن الله سبحانه وتعالى كرم بنى آدم وحملهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق، وسخر لهم ما فى السموات والأرض وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما فى الكون مسخر لخدمة الإنسان وجوارحه، أمانة حملها الإنسان بالإضافة إلى أمانة التكاليف ... وشأن من حمل الأمانة أن يقوم على حفظها ويسهر على رعايتها، خاصة إذا كان فى ذلك أساس حياته السعيدة، والإخلال بها هو الشقاء والتعاسة .

ولكن الإنسان مع أنه حمل الأمانة إلا أنه كثيراً ما فرَّط وقصَّر فعاد عليه ذلك بالضرر والتهلكة، فلقد خلق الله له الماء والهواء وسبل الغذاء وجعلها أمانة فى

عنقه... فإن حافظ عليها حفظ حياته سليمة وصحته قوية ... وإن فرط فيها أصابته بالأخطار والأضرار ، وإن صحة الإنسان وراحته من أهم ما يحرص عليه الإسلام .

فلقد دعا الإسلام إلى المحافظة على البيئة نظيفة طاهرة من كل تلوث بدءا من النهى عن التبول والتبرز فى الماء أو فى الطريق العام وحتى فى الظل ... وانتهاء بالمحافظة على حياة الناس والأحياء على اختلافها... فإذا تدبرنا آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية الشريفة نجدها زاخرة بكل ما يدعو إلى النظافة والطهارة وجمال الكون والنفس، ومن أمثلة ذلك أن جعل الإسلام طهارة البدن أساساً للصلاة وجعل هذه الصلاة ؛ يتقدمها الوضوء الذى يغسل المسلم عن طريقه بعض أعضائه، وكذلك اشترط لصحة هذه الصلاة طهارة الثياب والمكان الذى تؤدى فيه الصلاة، كما أن النظافة والطهارة شعار الإسلام ولب رسالته، فهو يعتنى بالملبس ويطالب المسلم بارتداء الثياب النظيفة وخاصة عند ارتياد المساجد كما فى قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿٣١﴾ ﴾(١)

والرسول ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل : يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، فقال ﷺ : "إن الله جميل يحب الجمال"

كما يقول الرسول ﷺ : «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكريم، جواد يحب الجواد، تنظفوا فى أفنيتكم (أى فى بيوتكم).. وهذه دعوة صريحة من الرسول ﷺ إلى اتباع النظافة وتطهير البيوت من كل الفضلات والأتربة حتى لا تكون مأوى للحشرات ومصدراً للعلل

(١) سورة الأعراف : ٣١.

والأمراض.. إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المجيدة والأحاديث النبوية الشريفة التى تحث على الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث والضرر الذى قد يلحق بها، والتى سوف نستعرضها فى الصفحات التالية، ولنبدأ أولاً حول مفهوم البيئة فى الإسلام والعلم، ثم نتحدث عن بقية العناصر فى الأبواب التالية بعون الله وتوفيقه .

***

الباب الأول
مفهوم البيئة فى الإسلام والعلم

ويشتمل على :

الفصل الأول : الإسلام والعلم

ويحتوى على :

١ ـ مفهوم العلم.

٢ ـ مستويات المعرفة.

٣ ـ مكانة العلم فى الإسلام وفضله.

الفصل الثانى : المفهوم العلمى للبيئة.

ويحتوى على :

١ ـ مفهوم البيئة.

٢ ـ النظام البيئي.

٣ ـ التوازن البيئي.

٤ ـ مفهوم التلوث وأقسامه وصوره.

الفصل الثالث: مفهوم البيئة فى الإسلام

ويحتوى على :

١ـ الحكمة من خلق البيئة.

٢ ـ مكونات البيئة فى الإسلام.

٣ ـ علاقة الإنسان (المسلم وغير المسلم) بالبيئة.

٤ ـ عوامل الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة.

٥ ـ صور من آثار الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة.

٦ ـ طرق حماية البيئة فى الإسلام.

الفصل الأول

الإسلام والعلم

أولاً:- مفهوم العلم:

العلم فى أى صورة من صوره هو مجموعة من الحقائق جُمعَت ثم رتبت ونظمت بشكل خاص ؛ ليصبح إدراكاً سهلاً، وهذه الحقائق التى تبنى صرح العلم قد عرفت وثبتت عن طريق المشاهدة الدقيقة الواعية (الملاحظة البسيطة والمنتظمة والمنظمة) أو عن طريق التجربة والاختبار أو البحث العلمى غير المتحيز أو الدراسات المستفيضة، حتى أصبحت هذه الحقائق سليمة وصحيحة لا يتطرق اليها شك ولا تنازلها ريبة .

والعلم ... أى علم هو مجموعة من الحقائق العلمية تزيد وتنمو بمرور الأيام حيث يتسلمها جيل لاحق من جيل سابق فيضيف إليها ما شاء الله أن يضيف من معلومات جدت أو اكتشافات عرضت .

وإن أول ما نزل من القرآن هى كلمة (اقرأ) كما فى قوله تعالى :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾[1]

إنه أول أمر إلهى نزل فى الإسلام.. أمر لكل إنسان أن يقرأ، وانفرد القرآن بين جميع الكتب المقدسة بأنه ابتدأ بهذه الكلمة وهذا الأمر.. وهذا منتهى التشريف

(١) سورة العلق : ١ ـ ٥ .

للعلم والعلماء أن يكون أول حرف فى الدين هو أمر بالقراءة وطلب العلم.. كما أن أول آلة وأداة ذكرها الله تعالى وأقسم بها هى القلم فى ثانى سور القرآن نزولا وهى سورة القلم حيث قال تعالى:

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾(1)

كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ۝٣١﴾(2).

وفى هذا أعظم تمجيد للكلمة المنطوقة والمكتوبة... والإيمان بالله فى الإسلام علم، والإيمان بالآخرة علم .. والذين يعرفون العمل الصالح فى الدنيا هم أهل علم .

ثانياً : مستويات المعرفة:

يقسم علماء الإسلام مصادر المعرفة الإنسانية ومستوياتها إلى ثلاثة مستويات علمية هى :ـ

(1) المستوى الأعلى أو العلم الأعلى :-

وهو أعظم العلوم جميعًا ومصدره الوحيد الوحى، ويعين عليه الاستدلال العقلى، وهو علم الدين الذى لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزل الله فى كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصّا، ولعلماء الإسلام أكثر من منهج فى تأكيد الوحى أولهما : منهج الفطرة والثانى : منهج الاستدلال العقلى.. والمنهجان يرجعان معا إلى القرآن .

فالقرآن يعد الإيمان فطرة : حيث يقول الله :ـ

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

(1) سورة القلم : 1 .

(2) سورة البقرة : 31 .

الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

ويصف الدين بأنه صبغة الله فى قوله تعالى :

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (٢).

فهناك نجد تأكيدًا للفطرة، ولهذا لا يعد الدين من وجهة النظر الإسلامية ظاهرة اجتماعية أوجدها الإنسان وإنما هو طبيعة فيه، ومن هنا تأتى أصالتها وعمقها وامتدادها وبقاؤها .. أصالة ترجع إلى طبيعته الأولى ، وعمق يرجع إلى أقدم عصور حضاراته .. امتداد يسير معه فى مراحل تاريخه، وبقاء ما بقى هو فى الوجود .

ويستند القرآن إلى الدليل العقلى .

والعقل مناط التكاليف فى الإسلام .. والثلاثة الذين لا يجازيهم الله بأعمالهم هم :

المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصغير حتى يكبر .. فخطاب الدين موجه إلى العقل أولا. حيث يقول تعالى :

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ﴾(٣) .

ويستخدم القرآن الدليل المنطقى فى قوله :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٤).

وقوله : **﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾** (٥).

(١) سورة الروم : ٣٠
(٢) سورة البقرة ١٣٨ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩٠.
(٤) سورة الأنبياء : ٢٢
(٥) سورة الإسراء : ٤٢ ، ٤٣

ومع استخدام القرآن كلا من المنهجين (الفطرة والاستدلال العقلى). كان التطرف فى أى منهما مدعاة إلى الانحراف فى الفكر الإسلامى ، أى : أن الانحراف جاء من الاعتماد على أحدهما دون الآخر.. وتحول الحوار الفكرى إلى صراع مذهبى .. ومع اختلاف المناهج فى إثبات حقائق الدين لم يكن هناك خلاف على أنها حقائق .. وإنما كان الخلاف حول كيفية الإثبات للحقائق نفسها .. كانوا جميعاً مؤمنين بالله وبالبعث والجزاء مع تعدد طرق الإيمان .. أى : أن إطار الإيمان كان يجمعهم جميعاً وإن تعددت فيه مدارسهم (١).

(٢) المستوى الثانى للعلم وهو العلم الأوسط :-

وهو العلم الذى يعتمد أكثر على الجهد العقلى، ولنشاط الإنسان فيه مجال كبير وهو معرفة علوم الدنيا التى تكون معرفة الشىء منها بمعرفة نظيره، ويستدل عليه بجنسه ونوعه مثل علوم الطب والصيدلة والزراعة والتجارة والهندسة وغيرها.

والإسلام يعد الكون كله مخلوقاً من أجل الإنسان ومجالا لنشاطه فيقول تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٢).

ويقول تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ

(١) الإسلام والعصر للدكتور عبد العزيز كامل .

(٢) سورة الملك : ١٥

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١).

فمادة الكون كلها خلقها الله تعالى للإنسان وييسر له أسباب تسخيرها واستخدامها لصالحه.. فإذا ما فعل هذا رادًا فضل ذلك إلى الله كان من عباد الرحمن .. وإلا فهو ظلوم كفار .. وقد انعكست هذه النظرة على الفكر الإسلامى انعكاساً واضحًا مظهره عناية بظاهرات الطبيعة وحبه لها.. والكون عندهم ليس عدوًا يحارب ولكنه مجال عمل وميدان نشاط، يبذل فيه الإنسان طاقات الفكر والجسم لتعميره ، والناس عندهم عباد الله كلهم لآدم وآدم من تراب يتفاضلون بالتقوى .

(٣) العلم الأدنى (المستوى الثالث من العلم) :-

وهو الأعمال القائمة على تدريب الجوارح، وهو يعتمد على الجهد البدنى والتدريب اليدوى، وهذه الأقسام من العلم متداخلة مع بعضها البعض.. فمثلاً الطب (وخاصة الجراحة) يعتمد اعتماداً كبيراً على الفكر (الجانب النظرى) والمهارة اليدوية معًا (يسبقهم الاعتماد على الله)، ومع تقدم المجتمع تصبح العلوم التدريبية محتاجة إلى (مهارات أكثر) وهذه لابد لها من أساس عقلى وأسانيد ومشاهد ، هيهات أن نحفظها ونرويها وندونها ونكتب فيها فهى تعجز الأسفار وتضيق بها الدفاتر، قال ابن القيم: إن سيدنا سليمان بن داود لما توعد الهدهد بأن يعذبه عذاباً شديداً، أو يذبحه إنما نجا منه بالعلم، بل أقدم عليه فى خطابه فى قوله : (أحطت بما لم تحط به، وهذا خطاب إنما جرأه العلم عليه وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان على قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم). وقال سفيان بن عيينة : أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده . وهم الأنبياء والعلماء.

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤

ويقول الحق تعالى :

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ (١).

كما يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢).

أي : أن علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يمكن أن يحيط به أحد إلا ما يعطيه الله لمن يشاء .. فهناك علم يعطيه الله لمن شاء من عباده .. وهناك علم يعطيه الله للبشرية كلها .. وهناك علم يختص الله به نفسه ولا يعطيه لأحد من عباده .

فالعلم الذى يعطيه الله لمن يشاء من عباده :

هو ما يعطيه الله لرسله وأوليائه الصالحين.. وهذا كشف بين الله وبين من شاء من عباده لا يمكن التحدث عنهم؛ لأنه عطاء محدد بالعبد ذاته ومختص به وليس موضوعًا عامًا للمناقشة .

أما العلم الذى يعطيه الله للبشريه كلها : -

فهو العلم المادى الذى يكشف الله عنه للبشر جيلاً بعد جيل. وهذا العلم لكل جزء فيه ميلاد حدده الله سبحانه وتعالى... فإذا صادف مولد هذا العلم إنساناً أو أناسا يبحثون ويجتهدون للوصول إليه أعطاه الله سبحانه وتعالى لهم .. وإذا لم يصادف هذا العلم أناساً يبحثون عنه أعطاه الله للبشرية بما نسميه «الصدفة».. كأن يكون هناك باحث عن شئ فيكتشف شيئاً آخر مخالفًا له تمامًا، ونحن نقول عنه بطريق الصدفة.. ولكنه فى الحقيقة هو مولد ميلاد العلم للبشرية، ولذلك خرج إلى الوجود من علم الله الذى علم البشر بكلمة «كن»؛ لأن موعد

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة آل عمران : ٥

ميلاده المحدد منذ الأزل قد حان .. هذا هو العلم البشرى [1].

أما علم الله. سبحانه وتعالى. الذى يختص به نفسه :-

فهذا لا يصل إليه بشر وذلك علم الغيب، والغيب هو ما حجب الله علمه عن الناس ولم يعطهم القدرة على معرفته وهو على قسمين: -

أ - **غيب إضافى:** وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقات دون البعض، وهو المقصود فى قوله تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2] .

ب. غيب مطلق: وهو ما اختص الله بعلمه فلا يطلع عليه أحدًا من مخلوقاته ولا يعلمه أحد إلا الله ويدخل فى عدم علمه الجن (حيث لم يعلموا بموت سليمان، عليه السلام) كما قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[3]

وللغيب مفاتيح لا يعلمها إلا الله حيث قال تعالى : **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾**[4] ومفاتيح الغيب خمسة كما فى قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾**[5].

وهذه الأمور الخمسة ليست هى الغيب كله، بل هى مفاتيح لعالم الغيب .

فعلم الساعة مفتاح للغيب الأخروى، وعلم إنزال الغيث مفتاح للغيب

(١) خواطرى حول القرآن الكريم ، لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

(٢) سورة الجن : ٢٦ - ٢٧

(٣) سورة سبأ: ١٤

(٤) سورة الأنعام : ٥٩

(٥) سورة لقمان : ٣٤

المتصل بالآيات الكونية والنبات، وعلم ما فى الأرحام مفتاح للغيب المتصل بالخلق والتكوين ، وعلم ما تكسب النفوس مفتاح للغيب المتصل بالكسب والأرزاق والأعمال ، وعلم مكان الموت مفتاح لغيب الآجال والنهايات وعالم البرزخ .. فسبحان عالم الغيب والشهادة . وصدق الله العظيم فى قوله :

﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(١)

والإيمان الحقيقى هو إيمان بالغيب المطلق.. إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره .. وإذا كان التقدم العلمى فى العصر الحديث (فى القرن العشرين) استطاع أن يصل إلى بعض من ذلك العلم فهو راجع إلى إرادة الله وتوفيقه للبشر :

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ (٢).

وهذا العلم للبشر هو من أجل إسعادهم، وفى نفس الوقت فهو فتنة لهم .. وهو علم محدود جداً بالمقارنة بعلم الله غير المحدود الذى :

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ (٣).

والذى يقول للشئ كن فيكون.. وعلى سبيل المثال فإن العلم الحديث قد حقق قفزات عظيمة فى الوراثة وعلم الأجنة بإمكان معرفة نوع الجنين (ذكر أو أنثى) داخل الرحم فى بطن أمه قبل ولادته ومعرفة بعض صفاته الجسمية وهناك أبحاث تجرى للتحكم فى نوع الجنين وفى صفاته الجسمية (مثل لون عينيه ولون البشرة والطول والذكاء).. إلخ وهذه مجرد محاولات الآن وتجارب .. وقد يجئ يوم يولد الطفل وبه من الصفات التى يرغبها والديه فيه، ولكن برغم هذا التطور المذهل فى العلم فلن يغيرمن قدر الإنسان شيئا قد كتبه الله له.. فلو استطاع العلماء جمع جميع الصفات المرغوبة والذكاء كله فى طفل ما (فى الجنين) فإن الواقع الذى نعيش فيه يؤكد أن هذا

(١) سورة النمل : ٦٥ (٢) سورة البقرة: ٢٥٥

(٣) سورة الأنعام : ١٠٣.

الطفل قد لا يكون ناجحاً فى حياته ومتفوقاً فى عمله، فهناك أذكياء جدًا ورغم ذلك فهم فاشلون فى حياتهم العملية غالباً، والدليل على ذلك أنهم عندما جمعوا التلاميذ الأذكياء جدًا فى فصل واحد وقاموا بتهيئة جميع الظروف المعيشية والراحة التامة ووسائل المذاكرة والاستذكار والاستيعاب بشكل ميسر ومتاح لهم .. وبرغم ذلك فإنه لم يخرج الطلبة الأوائل فى الشهادة من ذلك الفصل المتفوق جداً وخرج الطلبة الأوائل من مدارس أخرى عادية جداً، وإن كان طلبة فصل المتفوقين (أو مدرسة المتفوقين قد حصلوا على مجاميع مرتفعة فقط)، كما أن حياتهم فى الجامعة غالباً تكون عادية وقد يتعرضوا للفشل فى حياتهم بعد ذلك، أى: أنه مهما حاول العلماء أن يهيئوا جميع الظروف المثالية لإنسان ما لكى يكون عبقرياً وذكياً جداً وناجحاً فى حياته (وذلك قبل ولادته وقبل إخصاب الحيوان المنوى من الذكر ببويضة الأنثى. وذلك باختيار حيوان منوى به جميع الصفات المرغوبة مع بويضة بها جميع الصفات المرغوبة لإنتاج جنين ذى مواصفات ممتازة معينة) فإن هذا الإنسان عندما يكبر وينضج لن يكون عبقرياً وناجحًا فى حياته ومتفوقا على أقرانه من البشر؛ لأن العبقرية إلهام من الله للبشر.. والذكاء من عند الله، والتفوق من عند الله، والهداية من عند الله سبحانه وتعالى، والنجاح من عند الله؛ بل قد يموت هذا الإنسان قبل بلوغه ونضجه ولا يمهله القدر لذلك .. فالبشر مهما وصل علمهم فى تلك الناحية لن يتعدى ذلك الناحية الجسمية والحسية والظاهرية فقط، أما علم الله فإنه يعلم كل شىء عن كل البشر وكل المخلوقات منذ أن خلقهم فى عالم الروح ويعلم كل شىء عن حياة كل منا وما يمر بها من حوادث ولحظات وأعمال منذ المهد حتى اللحد، فتاريخ حياتنا بالكامل مسجل عند الله ويعلمه الله قبل أن نولد بآلاف السنين، وهذا العلم الذى يهبه الله لنا هو فتنة لنا .. فيؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر .. ولذلك يقول تعالى :

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)

(١) سورة يونس : ٢٤

وفى ذلك تأكيد من اللـه سبحانه وتعالى أن البـشر سوف يقطعون شوطاً كـبيراً فى التقـدم العلمى لدرجة أن الغـرور سوف يركبـهم، ويظنون أنهم قد ملكـوا الدنيا ودانت لهم من دون الله، وعند ذلك يأتى أمـر الله وتقوم السـاعة.. ولذلك فـعلم البشـر مهـما وصل فهو علـم محدود جـدًا وأمّا علم الله فهو غير محدود .. فعلم البـشر لن يتعدى ما ذكرناه فى علـم الأجنة والوراثة والصفات الجسمية فقط، ولكن علم الله يعلـم كل شىء عن جميع البـشر منذ أن خلقنا فى عالم الروح وما يمر بنا من أحـداث حتى وفاة كل منا كما سبق أن ذكرنا .

والله فى عطائه لهـذه القـدرات يعطى عطاء ربوبيـة .. أى : أنه لا يفرق بين مـؤمن وكافر؛ بل يعطى جميع خلقه حيث يقول تعالى :

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾(١)

فالشمس تشـرق للمؤمـن والكافر ... والمطر ينزل على أمـة مؤمنـة وعلـى أنـاس لا يعبدون الله .. فقوانين الأرض هى عطاء ربوبية .. فالـذى يفلح أرضـه جيداً ويعتـنى بهـا يحـصل على ثمـر وفـير سواء كـان مـؤمنـاً أو غير مؤمـن ، والـذى يهمـل أرضـه ولا يزرعهـا لا يحصل على شىء مهـما كان إيمـانه، والذى يستفـيد من علم الله الذى كشفه الله للبشرية فى أن ينشئ صناعة حديثة أو أن يحرز التقدم فى الدنيا يجنى ثمرة ما فعل وهكذا ..

فالله فى عطاء ربوبيتـه لا يفرق بين إنسان وإنسان، والقوانين التى وضـعها الله فى الأرض ، والأسبـاب التى خلقهـا تتفـاعل مع من يأخذ بهـا سواء كـان مؤمنا أو كـافراً، ولكى نتعلم يجب أولا أن نقـرأ لنعرف الحق من الباطل ، ولنعرف قـوانين العالم الذى نعـيش فيـه قبل أن ندعى لأنفـسنا القـدرة على إصلاحـه .. والقـرآن يخطط لنا منهجـا للوصول إلى العلم هو منهج السير والنظر كـما فى قوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (٢).

---

(١) سورة الإسراء : ٢٠

(٢) سورة العنكبوت : ٢٠

فالسير وجمع الملاحظات وتدوين المشاهدات، ثم النظر فى هذه الملاحظات واستقرائها لاستخراج القانون العام الذى يربطها وهو «المنهج الاستقرائى» الذى جاء به العالم .. «بيكون» بعد القرآن بألف سنة وأثمر هذا المنهج على يد العلماء الغربيين كل ما نقرأ أو نرى من علوم وصناعات مذهلة.. ولو حاولنا أن نفهم كتابنا ونسير على هديه لسبقناهم إلى هذه العلوم، بل إن العالم الغربى والأوروبى بما فيه من علم وعمل وفكر ونشاط دائب وخلاق هو أقرب لجوهر الإسلام وجوهر القرآن من هذا الشرق الكسول المتخاذل من ناحية العلم والتعلم والعمل .. فالإسلام ينظر إلى الوجود كله نظرة تكاملية، والعلم بمفهومه الإسلامى شامل يضم ما جاء به الوحى وما يصل إليه الإنسان بجهده على المستويات العقلية والتدريبية ، كما أن الدعوة إلى البحث العلمى دعوة أصلية فى الفكر الإسلامى، والقرآن الكريم يلفت نظرنا إلى التأمل فى الكون والنفس والتاريخ الإنسانى ويذكر لنا نماذج من ظاهرات الكون، والمجتمع نستطيع أن نستهدف بها محاولة كشف القوانين العلمية التى يسير بها الكون ويتطور بها المجتمع على أساس من الدراسة العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة، ولقد اهتدت قلة من العلماء العرب إلى هذا المنهج فى صدر الإسلام وكان لهم عطاء أثروا به الغرب وأخصبوا ثقافته فى أوقات كان هذا الغرب غارقًا فى ظلمات قرونه الوسطى.. فنذكر على سبيل المثال . جابر بن حيان فى الكيمياء، وابن سينا فى الطب، وابن رشد فى الفلسفة، وابن عربى فى التصوف، وابن الهيثم فى الهندسة والرياضيات .. ونذكر علماءالفلك العرب وأغلب الكواكب والنجوم ما زالت تحتفظ بأسمائها العربية إلى الآن فى المراجع الأجنبية مثل طريق التبانة ومجموعة النجوم التى تسير فيه (كلمة تبانة تعنى الطريق الذى يشبه نثر التبن)، كما أن كلمة «إنبيق»[1] التى أطلقها جابر بن حيان على جهاز التقطير، وما زالت هى ذاتها مستعملة فى اللغة الفرنسيةAmbique كذلك نذكر الأندلسيين وما استحدثوه فى الموسيقى والموشحات ، كما أن الأرقام العشرية فى الحساب والصفر لم يعرفها الغرب إلا عن طريق العرب، حيث كان هناك علم

(١) القرآن محاولة لفهم عصرى، للدكتور مصطفى محمود .

وعمل .. وحينما كان هناك علم وعمل كان هناك عطاء وكانت هناك حضارة فى الشرق وقد أعطى القرآن مفتاح هذه الحضارة بكلمة «اقرأ» وجعل من هذا المفتاح أول ما نزل من الحروف وأول ما كلف الوحى بتبليغه إلى سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) وأمته الإسلامية ... ومن لا يقرأ لا يستحق أن يكون من أمة محمد ولا أن يدعى لنفسه أنه يحمل القرآن ويفهمه .. ومن يعلم ولا يعمل بما يعلم فهو عاطل عن الأثر والعقل والدين .. وإذا دققنا فى علم الله ووصوله إلى الإنسان فهو اتصال الكلمات بالعقل أو كما قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ (١).

أى: أنه سبحانه وتعالى علم آدم الأشياء وأسماءها، ثم أتى الله سبحانه وتعالى بالملائكة وقال لهم: أنبئونى بأسماء هؤلاء فلم يعرفوا وقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .

إذن: المعنى يجب أن يوجد أولاً أو الشىء يجب أن يوجد أولاً، ويكون مفهومًا لدى السامع وموجوداً فى ذهنه، ثم تأتى الكلمة لتبرز هذا المعنى إلى العقل.. فإذا قلنا: منزل مثلاً فإن له معنىً معينًا فى عقولنا (هو مكان يقيم فيه الناس مكون من حجرات إلى آخر ذلك) .. أما إذا قلت كلمة بلا معنى عند السامع لم يلحظها العقل، ولم يعرف بوجودها جيداً مثل قولك لطفل لم يسمع أو ير أو يشاهد جبلا فى حياته ثم تقول له: «جبل» حيث لا يستطيع أن يتصور ما معنى الجبل ولا يفهم شيئاً .

وإننا نجد كلمة واحدة مثل «أم» تتشابه فى جميع اللغات(٢) بين عربية وإنجليزية وفرنسية... حتى فى لغة زنوج النيام نيام نجد لها التركيب نفسه .. فهى أم وماما ومامى وموما (حيث موما هى كلمة أم بين زنوج النيام نيام، وبالمثل «الأب» تتشابه فى جميع اللغات، فهى أب، وبابا، وبوبا، وبابى (حيث بوبا فى قبائل نيام نيام) وهذا التشابه بالرغم من تباين الأماكن والأقطار يدل على وحدة المصدر وعلى أننا تلقينا الحروف

(١) سورة البقرة : ٣١ .

(٢) القرآن محاولة لفهم عصرى للدكتور مصطفى محمود .

الأولى إلهامًا، وأننا أدركنا بعض مدلولات تلك الحروف وأسرارها واستخداماتها من المصدر نفسه وهو الله سبحانه وتعالى .

واشتراك حرف الباء فى جميع ألفاظ الأب يكشف عن خاصية ومدلول وسر فى حرف الباء... وبالمثل فى حرف الميم فى لفظ الأم .. وكل حرف من حروف اللغة له خواصه التعبيرية وأسراره .. ونحن لم نتعلم من هذه الأسرار إلا القليل .. والله سبحانه وتعالى من أسمائه الحسنى «العليم» أى: المحيط علمه بكل شئ فلا تخفى عليه خافية ولا تغرب عن علمه قاصية ولا دانية فقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾(٢) .

وهو تعالى عالم فقال تعالى : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾(٣) .

كما أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ علام كما فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾(٤).

والله تعالى مُعَلِّم الخير كما فى قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾(٥) .

ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة فى حق الله تعالى تسمية «علامة» صيغة مبالغة من العلم ولا يجوز أن يقال له تعالى: «علامة»؛ لأنها تقال لمن ترقى فى العلم من القلة إلى الكثرة والقرب من الكمال فى العلم يسبب التكلف والارتياض، والله تعالى منزه عن ذلك وعلمه تعالى مخالف لعلم العباد ؛ لأنه غير مستفاد بآلات وحواس وممتنع التغير والزوال كما فى قوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾(٦) .

والله تعالى بكل شيء محيط علمه كما فى قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ**﴾(٧) .

---

(١) سورة لقمان : ٣٤ .
(٢) سورة الحجر : ٨٦
(٣) سورة الرعد : ٩.
(٤) سورة المائدة : ١٠٩
(٥) سورة الرحمن : ١، ٢ .
(٦) سورة مريم : ٦٤
(٧) سورة فصلت : ٥٤

ثالثاً: مكانة العلم فى الإسلام وفضله :-

إن للعلم فى الإسلام مكانة لم تكن قد أعطيت له من دين قط .. حيث أن للعلماء والمعلمين منزلة من أرفع المنازل فى الإسلام بنص قول الرسول ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء»(١) ولن يرفع الإسلام العلماء هذه المنزلة الرفيعة إلا بسبب علمهم وعملهم به وتعليمهم وإرشادهم، وقال ﷺ : (ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب اللّه ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عملُه لم يُسرعْ به نسبُه).

وهذا ما نراه واضحًا فى منهج الله ، فهو تارة يجعله فرضًا ، وتارة أخرى يرغِّب فيه بوضع الأجر الكبير فى طريق من يسير فى طلبه، ويوضح بطرق مختلفة مكانة العلم من الناحية التعبدية ومنزلته بالنسبة للنوافل إلى آخر ذلك من الدوافع المختلفة .

وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٢) كما أخرج مسلم حديثًا عن أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أبدغ بى (أى هلكت دابتى) فاحملنى فقال: ما عندى، فقال رجل يا رسول الله: أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ : «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»، وقال ﷺ : «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ـ تعالى ـ ومن والاه أو عالمًا ومتعلمًا»(٣)، ولهذا الخير الفياض

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) وأبو حيان (موارد الظمآن ٨٠) والحاكم وصححه، وابن ماجة (٣٤٢) والترمذى (٢٦٨٦) والدارمى (١/٩٨) وأحمد (٥/١٩٦) كلهم عن أبى الدرداء، وهو جزء من حديث أوله (من سلك طريقا يطلب فيه علما...)

(٢) (أخرجه ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان عن أنس، والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود ، والخطيب فى تاريخ بغداد عن على، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ص ٢٨٠٨)

(٣) أخرجه ابن ماجة (٤١١٢) عن أبى هريرة، والطبرانى عن ابن مسعود، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ص ٢٤٠٨)

والأجر المغداق أجاز الرسول ﷺ الحسد فى العلم (وهو استثناء من الأصل حيث إنه فى الأصل لا يجوز الحسد فقال ﷺ فى الحديث الذى يرويه عبد الله بن مسعود: (لا حسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها)[١] كما أن الرسول ﷺ يوصى معاذًا وعليًا رضي الله عنهما فيقول: «لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها» [٢].

كما ذكر معاذ عن فضل العلم فقال: «تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معلم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تُقْتَصُّ آثارهم ويُقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد من العلم منازل الأخيار والدرجات العُلَى فى الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به تُوصَلُ الأرحام، وبه يُعْرَف الحلال من الحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه، ويُلْهَمُهُ السعداء ويحرمه الأشقياءُ»[٣] .

وذكر ابن تيمية فى شرح معنى قوله تعالى: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[٤] قال مجاهدٌ: « هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، فهم أهل الأمر والنهى، ونقل عن على

---

(١) حديث متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان ص ٤٦٧

(٢) حديث متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان ص ١٥٥٧، عن سهل بن سعد .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى جامع العلم وفضله (١/ ٦٥) عن معاذ بن جبل مرفوعًا وموقوفًا وقال: وهو حديث حسن جدًا ولكن ليس له إسناد قوى ورويناه من طرق شتى موقوفًا. اهـ.

(٤) سورة آل عمران : ٧٩ .

قال: « هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها»، وقال قتادة وعطاءٌ : «هم الفقهاء العلماء الحكماء ».

وشرف العلم لا يخفى على أحد، حيث هو المختص بالإنسانية؛ لأن جميع الخصال (سوى العلم) يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات (كالشجاعة والجرأة والقوة والجود والشفقة وغيرها) بينما العلم هو المختص بالإنسان فقط، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم (عليه السلام) على الملائكة وأمرهم بالسجود له(١) .

وعن فضل العلم على المال قال على(٢) ﷺ لكميل بن زياد : « يا كميل، العلم خير لك من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق » .

ومن طرق الحصول على العلم والتعلم :ـ

١ـ القراءة الكثيرة فى مجال العلم والقرآن والسنة .

٢ ـ السير فى الأرض والسياحة فى البلاد من أجل العلم والمعرفة، حيث يقول تعالى : ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(٣).

٣ ـ عدم الاستحياء من كثرة السؤال وطلب العلم: فقد قيل: «من رق وجهه عن السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال»، وقيل :«لا ينال العلم مستح ولا متكبر»، وذكر عبد الله بن مسعود: «زيادة العلم ابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت».

وفى وصية للإمام على ﷺ قال: «خمسٌ احفظوهن ولو ركبتم الإبل: لا يخاف

(١) تعليم المتعلم ص ٥

(٢) العلم بين يدى العالم والمتعلم، جاسم بن محمد بن مهلهل إلياسين، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ، ط ٥ ، ١٩٩٢ .

(٣) سورة الحج : ٤٦

العبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحى جاهل أن يسأل، ولا يستحى عالم إن لم يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير فى جسد لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له » وذلك لأن لا أدرى نصف العلم ومن قال: لا أدرى فقد أفتى، ولقد نهج رسولنا الكريم ﷺ هذا الأمر، فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ؛ أى البلدان شر؟ قال : لا أدرى ، فلما أتاه جبريل (عليه السلام) قال: يا جبريل؛ أى البلدان شر؟ قال: لا أدرى حتى أسأل ربى عز وجل ، فانطلق جبريل (عليه السلام) ثم مكث ما شاء الله أن يمكث فقال: يا محمد؛ إنك سألتنى أى البلدان شر؟ فقلت: لا أدرى وإنى سألت ربى عز وجل أى البلدان شر؟ فقال: أسواقها [(١)]».

٤ ـ اختيار الأوقات والأماكن المناسبة لطلب العلم والمذاكرة حيث قيل: أجمل الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الإبكار، وللكتابة النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل، وعلى أن هذا ليس بقاعدة عامة لا يخرج عنها الشخص، ولكنها تجارب ولكل شخص ظروفه وتجاربه، كما يجب اختيار أماكن العلم المناسبة (سواءالجامعات والمحاضرات والندوات أو المؤتمرات أو المساجد أو غيرها).

٥ ـ استغلال وقت الشباب فى التعلم وطلب العلم: فيجب على الإنسان أن يستغل كل لحظة فى حياته خصوصاً وقت الشباب: وقال الحسن البصرى (رحمه الله): «طلب العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر»، وقال الإمام الشافعى (رحمه الله): «تفقه قبل أن ترأس فإذا رئست فلا سبيل إلى التفقه»، وهذا لا يعنى أن يطلب الإنسان العلم فى وقت شبابه ثم يتركه بعد ذلك عند الاشتغال بالوظيفة والأسرة وغيرها من متطلبات الحياة، بل عليه أن يداوم على ذلك ويستمر، ولكن فرصة التحصيل والتعلم أكبر فى الشباب، ويقول سعيد بن جبير (رحمه الله): «لا يزال الرجل عالما ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى فأسوأ جهل ما يكون» أى: أجهل ما يكون هو فى تلك الحالة التى ظن أنه فى مرحلة ليست بحاجة إلى علم وأنه قد استغنى عن طلب العلم .

---

(١) (أخرجه أحمد (٤/ ٨١) والبزار وأبو يعلى).

٦ـ المناظرة : وهى نوع من أنواع البحث العلمى وقد عرفها العرب فى أسواقهم الأدبية قبل الإسلام وبعده، وعن طريق المناظرة يمكن أن يثبت العلم ويبلغ، وأشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

وللمناظرة آداب يجب أن يتحلى بها من يريد أن يتعلم، منها عدم المراء، وهو الجدال فيما لا طائل منه (لمجرد الجدل فقط) وفى ذلك قال رسول الله ﷺ :« أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه (٢)» والمناظرة تحتاج إلى ذاكرة قوية لتذكر ما سبق تعلمه .

٧ـ الثقة بالنفس والقدرة على التحصيل للعلم والسعى من أجل الكمال فى العلم والتكميل بقدر الإمكان، وخصوصًا مبادئ العلوم التى لا يتم للشخص علم إلا بها. وقال رسول الله ﷺ : «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترئوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار» (٣).

وقال ﷺ : «من تعلم علمًا ما يبغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضًا من الدنيا لم يجد غرف الجنة »(٤).

وكذلك الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) قال: « اعلم أن العمل تبع للعلم كما أن الأعضاء تبع للبصر، والعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير».

---

(١) سورة الأنعام : ٨٣

(٢) (أخرجه أبو داود فى ٤٨٠ عن أبى أمامة وحسنه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ١٤٧٧) .

(٣) أخرجه ابن ماجة (٢٥٤) وابن حبان (موارد الظمآن ٩٠) والحاكم عن جابر بن عبد الله وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ٧٤٣٧)

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٨) وأبو أحمد، وابن ماجة (٢٥٢) وأبو حيان فى موارد الظمآن ٨٩، وغيرهم عن أبى هريرة ، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخارى ومسلم .

وكذلك يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(١) .

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

حيث إن كلمة الدعوة هى أحسن كلمة تقال فى الأرض وتصعد فى مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذى يصدق الكلمة، حيث يقول رسولنا الكريم ﷺ: « اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع (٣)».

كما قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟ (٤)».

وعلى هذا فالعلم لابد له من العمل وإلا فلا جدوى ولا فائدة من هذا العلم، ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقيًا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملا» روى أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتنزلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر؟ وآتيه(٥)»

(١) سورة الزمر : ٩

(٢) سورة فصلت : ٣٣

(٣) أخرجه الترمذى (٣٤٨٣) والنسائى (٨/ ٢٥٥) عن ابن عمرو وأخرجه أبو داود (١٦٥٤٨) وابن ماجه (٣٨٣٧) والنسائى (٨/ ٢٦٣، ٢٦٤) عن أنس وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو ، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ١٣٠٨).

(٤) أخرجه الترمذى (٢٤١٧) عن أبى برزة الأسلمى وقال: هذا الحديث حسن صحيح ووافقه عبد القادر الأرناؤوط جامع الأصول (١٠/ ٤٣٦) وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ٧١٧٧)

(٥) أخرجه مسلم (١٢٣٨)

وعلى ذلك فإن العالم الذى لا يعمل بعلمه، والعابد الذى يعبد الله على غير علم من الله من أكبر المفاسد التى تقع فيها الأمة الإسلامية، وما ضياع الأخلاق وانتشار البدع إلا من وجود هذين الصنفين. كما يجب على العالم ألا يتكلف فى كلامه (بأن يحاول أن يكون فصيحًا وهو لا يحسن ذلك وليس عادة له)، فقد نهى الإسلام المسلم عن انتحال صفة ليست له، حيث قال رسولنا الكريم ﷺ: «وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة؛ الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون[1]» حيث إن الثرثارين هم الذين يتكلفون كثرة الكلام والمتشدقين هم المتطاولون على الناس بكلامهم.

المتفيهقون: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهم الذين يتكلمون بملء أفواههم ويتوسعون فى الكلام وذلك تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا لفضلهم على غيرهم.

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا[2].

والتنطع: التكلف والمبالغة والزيادة عن الحد، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «نهينا عن التكلف»، ونظرًا لقيمة الكتب فى التعليم والتعلم كان العقلاء يهتمون بها، فعندما رأى الخليفة المأمون بعض ولده وبيده دفتر فقال: ما هذا يا بنى؟ قال: بعض ما يشحذ الفطنة، ويؤنس فى الوحدة، فقال المأمون: «الحمد لله الذى رزقنى من ذريتى مَنْ يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسمه»، ولقد وصَّى أحد أولاده فقال «اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب وحدِّث بأحسن ما تحفظ».

فالكتاب خير جليس لكل ذى عقل، وقد قيل لبعض أصحاب العقل: أما تستوحش؟ فقال: يستحوش من معه الأنس كله؟ قيل: وما الأنس كله؟ قال: الكتاب، فالكتاب أجمل أنيس تؤدبك عجائبه وتسرك طرائفه وتضحكك ملائحه ونوادره، وهو

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٠١٨) عن جابر واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ٢١٩٧)

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠)

نزهة الأديب عند لذته، ومتعته عند خلوته، وتحفته عند نشاطه، وأنسه عند انبساطه ومتراحه من همه، ومسلاته من غمه، وعوضه من جليس السوء وسخف الأماني ومستقبح الشهوات ، وهو روضة مجلسه وبستان يده وأنيس يتقلب معه (١).

بعد أن تحدثنا عن فضل العلم ومكانته في الإسلام ومنزلته الرفيعة باعتباره فريضة على كل مسلم، ومدى تكريم العلماء باعتبارهم ورثة الأنبياء وتعظيم الأجر والثواب لهم نتحدث في الفصل الثاني عن المفهوم العلمي للبيئة، والفصل الذي يليه نتحدث عن مفهوم البيئة في الإسلام؛ لنرى مدى التطابق والتوافق والتلازم والتكامل بين المفهوم العلمي للبيئة وبين المفهوم الإسلامي للبيئة من أجل هدف واحد مشترك هو الحفاظ على البيئة وتسخيرها لصالح الإنسان وسعادته .

(١) العلم بين يدي العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٧٠

الفصل الثانى
المفهوم العلمى للبيئة

١.مفهوم البيئة :ـ

تعريف البيئة : البيئة هى الوسط المحيط بالإنسان، يشمل كافة الجوانب المادية وغير المادية، البشرية منها وغير البشرية، فالبيئة تعنى كل ما هو خارج عن كيان الإنسان، وكل ما يحيط به من موجودات ، فالهواء الذى يتنفسه الإنسان والماء الذى يشربه، والأرض التى يسكن عليها ويزرعها، وما يحيط به من كائنات حية أو من جماد هى عناصر البيئة التى يعيش فيها والتى تعتبر الإطار الذى يمارس فيه حياته ونشاطاته المختلفة.. والبيئة فى أبسط تعريف لها هى:

ذلك الحيز الذى يمارس فيه البشر مختلف أنشطة حياتهم، وتشمل ضمن هذا الإطار كافة الكائنات الحية من حيوان ونبات والتى يتعايش معها الإنسان، ويشكلان سويًا سلسلة متصلة فيما يمكن أن نطلق عليه جوازًا دورات طاقات الحياة.. حيث ينتج النبات المادة والطاقة من تراكيب عضوية معقدة، ويأكل الحيوان النبات والعشب، ويأكل حيوان آكل للحوم حيوانًا آخر آكلاً للعشب، والإنسان يأكل النبات والحيوان ويستفيد من كل منهما.. وهكذا تستمر علاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به من نبات وحيوان وموارد وثروات[١] .

ولقد نشأ علم البيئة Ecology الذى يبحث فى أحوالها الطبيعية أو مجموعات النباتات أو الحيوانات التى تعيش فيها، وبين الكائنات الحية الموجودة فى هذه البيئة ..

(١) مجلة التنمية والبيئة، مجلة شهرية يصدرها جهاز شئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء فى مصر، العدد الخامس، فبراير ١٩٨٧، ص ٧٢.

وكلمة إيكولوجى Ecology مكونة من مقطعين يونانيين هما Oikos وهى تعنى مكان المعيشة Logus، وهى تعنى دراسة.

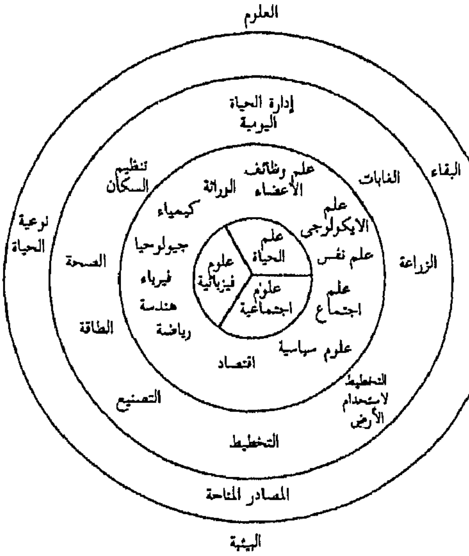
وعلى ذلك تكون كلمة الإيكولوجى Ecology أو علم دراسة أماكن معيشة الكائنات الحية وهى كل ما يحيط بها، ولقد درجنا فى اللغة العربية على إطلاق اسم علم البيئة على التسمية Ecologist وعلم البيئة Environmentalist، وكأنهما تسميتان مترادفتان لمجال عمل واحد .. ولكن الواقع يختلف عن ذلك تماماً[١].. فعالم الإيكولوجى يعنى كما ذكر «إيوجين أدوم» بدراسة وتركيب ووظيفة الطبيعة، أى: أنه يعنى بما يحدد الحياة وبكيفية استخدام الكائنات للعناصر المتاحة .

أما عالم البيئة Environmentalist:

فيعنى بدراسة التفاعل بين الحياة والبيئة، أى: أنه يتناول تطبيق معلومات فى مجالات معرفية مختلفة فى دراسة السيطرة على البيئة ، فهو يعنى بوقاية المجتمعات من التأثيرات الضارة ، كما يعنى بالحفاظ على البيئة محليًا وعالميًا من الأنشطة البشرية ذات التأثير الضار، وبتحسين نوعية البيئة لتناسب حياة الإنسان كما بالشكل رقم[٢] .

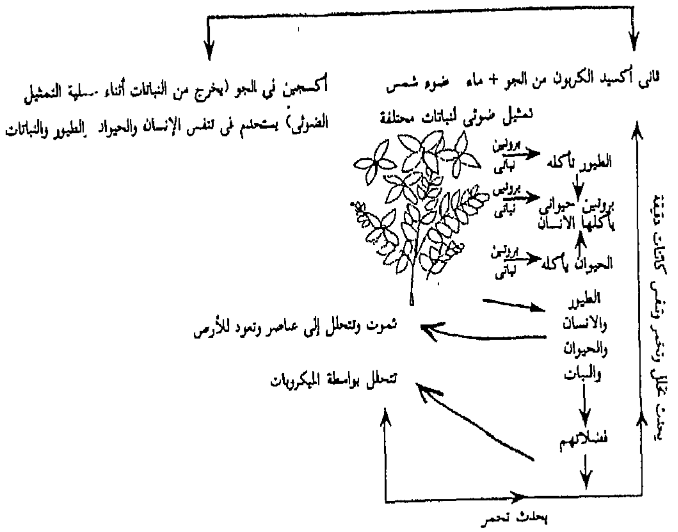
---

(١) علوم البيئة ، للدكاترة / محمد صابر سليم، وأمين عرفان دويدار، وحسنى أحمد إسماعيل وعدلى كامل فرج، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع الجامعات المصرية، برنامج تأهيل معلمى المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعى ، ١٩٨٦، ص ٧ .



شكل (١) رسم تخطيطى يبين أهم مكونات البيئة

وأهم المتطلبات المعرفية اللازمة لذلك .



شكل (٢) يوضح دور كل من الإنسان والعناصر فى الطبيعة

وتتأثر البيئة أيضًا بتراث الماضى (مثل العادات والتقاليد والأعراف والتاريخ والقانون والمكتشفات العلمية وتطبيقاتها، وأعمال السلف المادية والفكرية التى خلفت ثروة ثقافية، كما يشكل التراث الدينى والأخلاقى عنصرًا بيئيًا له أهمية بالغة .

وفى إطار النشاطات الدولية المتصلة تم الاتفاق فى اجتماع بلجراد عام ١٩٧٥م الخاص بالتربية البيئية، على أن البيئة عبارة عن (العلاقة الأساسية القائمة بين العالم الطبيعى الفيزيائى وبين العلم الاجتماعى السياسى الذى هو من صنع الإنسان .

وهكذا نلمس أن البيئة هى: الإطار الذى يحيا فيه الإنسان مع غيره من الكائنات الحية التى يحصل منها على مقومات حياته (من مأكل وملبس ومسكن) ويمارس فيها مختلف علاقاته مع بنى جنسه، وأنها تشتمل على :

أ ـ مجموعة من المكونات الحية (مثل النبات والحيوان وخلافه)

ب ـ مجموعة من المكونات غير الحية (مثل الصخور والمياه والمعادن والهواء والطقس وخلافه).

وعناصر البيئة دائمة التفاعل مع بعضها البعض، حيث يؤثر فيها الإنسان ويتأثر بها، فهى الإطار الذى يتمثل فيما يحيط بالإنسان من ماء، وهواء، وتربة، وكائنات حية متعددة الأنواع، وبما تزخر به السماء من شمس هى مصدر الحياة على كوكب الأرض، ونجوم تبعد عنا بمسافات شاسعة لكننا نستخدمها فى البر والبحر للتعرف على الاتجهات أثناء الليل، والبيئة أيضا تشمل ما يسود إطار الكائنات الحية، وغير الحية من طقس ومناخ يتمثل فى فصول السنة واختلاف درجات الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح وغير ذلك .

ويرتبط نجاح الإنسان فى البيئة على قدر فهمه لها، وتحكمه فيها، واستثماره لمواردها، فيستفيد بما هو نافع من مواردها ويعمل جاهدًا على التخلص مما ينغص عليه حياته فى إطار البيئة، كمحاولة التخلص من الملوثات التى أثبت العلم أنها تؤثر على الإنسان تأثيرات ضارة ذات أبعاد مختلفة فى ضررها .

٢ـ النظام البيئى Eco - System:

يعتبـر سر استمـرار الاتزان البيئى هو: قدرة البـيئة الطبيـعية على إعالة الحـياة على سطح الأرض دون مخاطر أو مشكلات تمس الحياة البشرية.

ويعنى ذلك أن عناصر البيئة تتفـاعل وفق نظام معين يطلق عليه النظام البيئى - Eco System: وهو عبـارة عما تحتـويه أية منطقة طبيعـية من كائنات حـية وموارد غيـر حية بحيث تتـفاعل مع بعضـها البعض ومع البـيئة، وما ينتج من تـبادل بين كل من مكونات البيئة الحية وغـير الحية. ومن أمثلة النظم البيئية: الغابة، والبحـر، والبحيرة وخلافه، أى: أن هناك نظمًا بيئـية أرضية ونظمـًا بيئيـة مائية وللإنسان (كأحـد مكونات النظام البيئى) مكانة خاصة نظراً لتطوره الفكرى والنفسى، فهـو المسيطر إلى حد ملموس على النظم البيئية ، ويتوقف عليه المحافظة على النظام البيئى وعدم استنزافه بحسن تصرفه .

مكونات النظام البيئى:ـ

يتكون النظام البيئى من ثلاثة عناصر رئيسية هى :

أ ـ عناصر الإنتاج .

ب ـ عناصر الاستهلاك .

ج ـ عناصر التحلل.

حيث إن:

أ. عناصر الإنتاج:

تتكون عناصر الإنتاج من النباتات الخضـراء بكل أنواعها (من الطحالب الخضراء إلى الأشجار الضخمة المختلفة)، ولهذه النباتات القدرة على إنتاج غذائها بنفسها، فهى تمتص غاز ثانى أكسيد الكربون من الهـواء وتمتص الماء من التربة عن طريق جذورها، وتصنع منهـا معًـا فى وجود مادة الكـلورفيل وتحت تأثيـر أشعـة الشمس جمـيع أنواع

المركبات العضوية التى تحتاجها، والتى تبنى منها أجسامها (مثل المواد الكربوهيدراتية والدهون والبروتينات وما إليها) وتعطى هذه الخاصية لهذه النباتات نوعًا من الاستقلال عن كل ما حولها من كائنات ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تستغنى عن اعتمادها على العناصر الطبيعية غير الحية .

ب- عناصر الاستهلاك (المستهلكون):

وتتكون من الحيوانات بأنواعها المختلفة، ولا تستطيع هذه الحيوانات أن تعد غذاءها بنفسها، ولكنها تعتمد على غيرها فى إعداد هذا الغذاء، وعناصر الاستهلاك درجات منها: الأولى والثانوى والثالث ، فيتغذى بعضها بالنباتات والأعشاب ويتغذى بعضها الآخر من آكلات اللحوم بغيره من الحيوانات، وفى كلتا الحالتين تقوم هذه الحيوانات باستهلاك ما تنتجه عناصر الإنتاج.

ج- عناصر التحلل:

وتشمل كل ما يتسبب فى تحلل أو تلف مكونات البيئة الطبيعية المحيطة بها ومن أمثلة هذه العناصر :

البكتريا، والفطريات وبعض أنواع الحشرات التى تشترك فى تحليل أجسام النباتات والحيوانات الميتة .. وتساعد عناصر التحلل على إعادة جزء من المادة إلى التربة لتستفيد منها عناصر الإنتاج، وتستخدمها مرة أخرى فى تكوين الغذاء وبذلك تتكرر الدورة مرة أخرى .

٣.التوازن البيئى[١]: أهم ما يميز البيئة الطبيعية هو ذلك التوازن القائم بين عناصرها المختلفة، فلو أن ظروفًا ما أدت إلى إحداث تغيير من نوع ما فى إحدى هذه العناصر فإنه بعد فترة قصيرة قد تؤدى بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلافى آثار هذا التغيير .

(١) الإنسان وتلوث البيئة ، للمؤلف : الدار المصرية اللبنانية ، طبعة ثالثة ، ١٩٩٦، ص ٢٢ ، ٢٣.

ومن أمثلة ذلك أن النار إذا دمرت جزءًا من إحدى الغابات، فإنه بعد عدة أعوام قليلة تعود هذه الأرض التى أحرقت أشجارها إلى طبيعتها الأولى فتنمو بها الحشائش والأعشاب، ثم سرعان ما تكتسى بالأشجار الباسقة مرة أخرى .

ويرى العلماء أن هذا التوازن شيء حقيقى وقائم فعلاً بين العناصر المكونة للبيئة يعبرون عنه باسم النظام البيئى Eco-System وهو نظام متكامل يعيش فيه كل المساهمين فى توازن تام، ويعتمد كل منهم على الآخر فى جزء من حياته واحتياجاته، يقوم كل منهم بمهمته فى هذا النظام خير قيام، إذا ما أتيحت له الفرصة كاملة .

وتوجد الأنظمة البيئية المتوازنة حولنا فى كل مكان .. ومن أمثلتها البحيرات والغابات والبحار .. فكل منها يمثل بيئة منفصلة قائمة بذاتها تعيش مكوناتها معاً فى توازن تام .

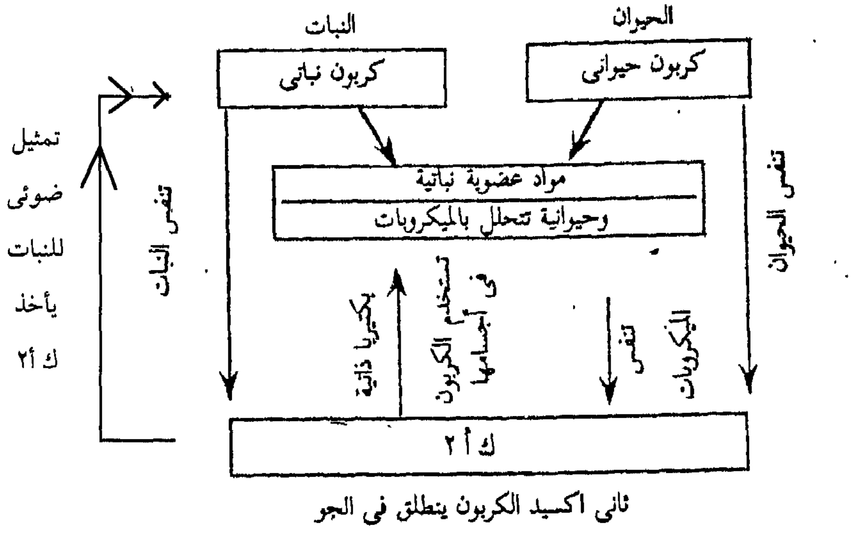
أما العناصر الطبيعية غير الحية:

وتشمل الماء والهواء بما فيهما من غازات الأكسجين والنتروجين وثانى أكسيد الكربون وعلى ضوء الشمس بإشعاعاتها المختلفة الحرارية وفوق البنفسجية، وبعض المواد المعدنية الموجودة فى التربة، وبعض الأجزاء المتحللة من أجساد النباتات والحيوانات التى تدخل بصورة أخرى فى عمليات التوازن البيئى المختلفة وتشكل عاملاً هامًا بالنسبة لمختلف عناصر الإنتاج .

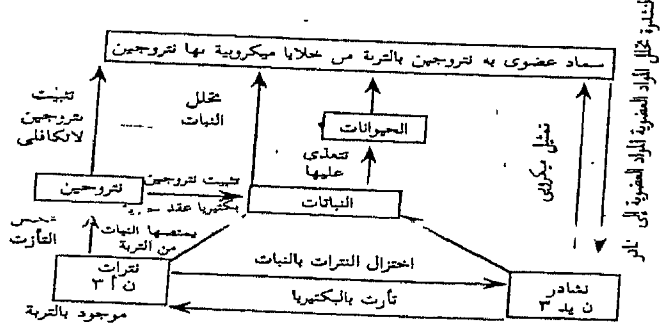
وعادة ما يؤدى تغير الظروف المحيطة بإحدى هذه البيئات إلى حدوث تغير ما فى الشكل العام لهذه البيئة، ولكن البيئة تحتوى على عدد متنوع من النباتات والحيوانات تستطيع عادة أن تقاوم مثل هذه التغيرات فى حدود معينة .. فلو أن أحد عناصر هذه البيئة ضعف أو أصابه الاضمحلال نتيجة ظروف طارئة؛ فإن الأنواع الأخرى أو العناصر الأخرى الموجودة فى هذه البيئة ستستمر فى مهمتها ، وتعمل على تعويض هذا النقص الطارئ من توازن البيئة .

والتوازن القائم بين مختلف عناصر البيئة توازن دقيق ويمكن ملاحظته فى كثير من الأشياء التى تقع حولنا، فيمكن أن نرى هذا التوازن مثلا فى دورة الكربون .. فيقوم النبات بامتصاص غاز ثانى أكسيد الكربون من الهواء الجوى ويستخدم فى صنع ما يحتاجه من غذاء ... ويطلق على هذه العملية عملية البناء الضوئى ، وفيها ينطلق غاز الأكسجين كناتج ثانوى .

وتقوم عناصر الاستهلاك باستخدام غاز الأكسجين فى عملياتها الحيوية وفى الحصول على الطاقة اللازمة، وتطلق بدورها غاز ثانى أكسيد الكربون إلى الهواء لتستخدمه بعد ذلك عناصر الإنتاج مرة أخرى وهكذا .. كما بالشكل التالى :



شكل (٣) يوضح دورة الكربون فى الطبيعة



شكل (٤) يوضح دورة النتروجين فى الطبيعة

كذلك يوجد مثل هذا التوازن فى دورة النتروجين .. فتقوم بعض أنواع من البكتريا بتثبيت غاز النتروجين الموجود فى الجو وتحوله إلى نترات[١] (كما فى بكتريا العقد الجذرية التى تتكون على جذور بعض البقوليات مثل الفول البلدى والبرسيم وخلافه وبكتريا الأزوتوباكتر والكلوستريديا) . فتقوم هذه البكتريا بتثبيت نتروجين الهواء الجوى إلى مواد نتروجينية عضوية فى جسمها وبموتها وتحللها تنتج الأمونيا التى تتأكسد إلى نيتريت ثم نترات (كما فى شكل رقم ٤).

كما تقوم بكتريا التحلل كذلك بعمل مماثل .. فهى تحلل أجسام النباتات والحيوانات الميتة ، وبعض الفضلات الأخرى إلى أملاح النشادر ثم إلى النترات.. وتستخدم النباتات هذه النترات بعد أن تمتصها من التربة لتصنع منها البروتينات وغيرها من المركبات .. وعندما تموت هذه النباتات والحيوانات تقوم أنواع أخرى من البكتريا بتحليل أجسادها وينطلق منها النتروجين إلى الهواء لتعود الدورة مرة أخرى وهكذا .

ونحن نلاحظ مثل هذا التوازن فى الكثير مما حولنا من أشياء فالماء العذب يوجد كثير منه على هيئة جليد يغطى قمم الجبال العالية، ويغطى المناطق القطبية الشمالية والجنوبية .

(١) مبادئ الميكروبيولوجيا الزراعية، للدكتور أحمد نبيل إبراهيم ، ط ١٩٧٨ ص ١١٥ ـ ١١٦ .

ولو أن هذا الجليد انصهر بأكمله لارتفع سطح مياه البحار بنحو ٥٠ متراً عن ارتفاعه الحالي ولأدى ذلك إلى إغراق شواطئ القارات وكثير من المدن.. وهذا يبين لنا أن وجود جليد القطبين يمثل جزءاً هاماً من التوازن الطبيعي للبيئة ويعد وجوده لازماً للحفاظ على حياة الإنسان على سطح الأرض .

ويبدو هذا التوازن كذلك في تحول مياه البحار إلى مياه عذبة .. فإن عمليات البخر والتكاثف وهطول الأمطار تعتمد على الكثير من العوامل (مثل درجة الحرارة والضغط الجوي وسرعة الرياح وتسرب المياه في التربة المسامية إلى المياه الجوفية وعودتها إلى الأنهار أو امتصاص جذور النباتات لها).

وتعتمد كل هذه العناصر بعضها على بعض ويقوم بينها توازن دقيق .. فلو تغيرت درجة الحرارة أو لو استنزفت المياه الجوفية بسرعة أكبر من السرعة التي تتسرب فيها مياه الأمطار إلى التربة؛ لنضبت هذه المياه ولاختل هذا التوازن اختلالاً تاماً[1] .. فسبحان الله الذي خلق كل شيء بحكمة واقتدار ..

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2] .

كما يوجد توازن مماثل في مملكة الحيوان ... ولقد افترض أنه لو بدأ أحد الأفيال في الإنجاب وعمره ثلاثون عاماً وعاش هذا الفيل حتى سن التسعين بعد أن أنجب ستة أفيال، فإنه بعد مضي ٧٤٠ عاماً فقط سيكون هناك ما يقرب من عدة ملايين من الأفيال التي نتجت كلها من الزوج الأول للأفيال .

ومن الطبيعي أن هذه الزيادة الهائلة في أعداد الحيوانات لا تحدث في الطبيعة .. فلا تزداد الحيوانات ولا النباتات بطريقة المتواليات الهندسية (مثل ٢ ـ ٤ ـ ١٦ ـ ٢٥٦، وهكذا)، ولكن تكاثرها يعتمد على كثير من العوامل الطبيعية (مثل تقلبات الجو

(١) دورات الحياة للدكتور / عبد المحسن صالح.

(٢) سورة القمر : ٤٩

ونقص الطعام وانتشار بعض الأمراض وغيرها) بالإضافة إلى الشعور الطبيعى الذى يوجد لدى بعض الحيوانات ويجعلها تمتنع عن الإنجاب عندما تشعر بزيادة أعدادها .. وتدخل كل هذه العوامل ضمن عوامل التوازن الطبيعى للبيئة.

ويمثل الإنسان أحد العوامل الهامة فى هذا النظام البيئى ؛ بل هو يعتبر من أهم عناصر الاستهلاك التى تعيش على سطح الأرض... ولذلك فإن الإنسان إذا تدخل فى هذا التوازن الطبيعى دون وعى أو تفكير أفسد هذا التوازن تمامًا، ولقد استرعى انتباهه أن العوامل الطبيعيةNatural Factors التى تدخل ضمن مكونات البيئة التى يعيش فيها تتعرض بين الحين والآخر للتلوث، مما يعود بالضرورة على حياته وحياة الكائنات الأخرى التى تشاركه فيها .

٤.مفهوم التلوث Concept of Polution:-

فى المراحل الأولى من حياة الإنسان على سطح الأرض اتجه نشاطه إلى توفير المأوى والمأكل والملبس لنفسه ولبنى جنسه، وهو منذ وجد على سطح الأرض يسعى إلى توفير أكبر قدر من وسائل الراحة والرفاهية، وعندما استحدث الإنسان النار بدأت مشكلات تلوث البيئة التى يعيش فيها ... ولكن الأرض فى تلك الآونة لم تكن قد اكتظت بسكانها، ولم يكن هناك مشكلة للتلوث. ثم تزايد سكان الأرض بشكل مستمر وبحثوا عن الثروات الموجودة فوق سطحها وفى باطنها، وعن موارد الطاقة المختلفة، واستحدثوا أنواعًا متعددة من النشاط لتوفير الرفاهية، وتعددت أوجه استعمال الطاقة... فلم تعد تقتصر كما فى الماضى على التدفئة وإعداد الطعام ؛ بل اخترع الإنسان الآلة البخارية واستخدمها فى النقل والصناعة، ثم آلة الاحتراق الداخلى واستخدمها فى السيارات والآلات الضخمة التى تحرك المصانع، فازدهرت صناعات متعددة، ولم يكن الإنسان فى ذلك الوقت بغافل عن مساوئ الإفراط فى استخدام أنواع من الوقود وبخاصة الفحم الذى يسبب إفساد الهواء، ولقد حذر بعض الحكماء من ذلك .

لكن التقدم العلمى والصناعى والزراعى والتكنولوجى كان أسرع وأقوى من أن يلتفت إلى صيحات التحذير ... واستمر التكاثر السكانى، واستمر التقدم .. وتفاقمت معه مشاكل التلوث فى الجو، وفى الأرض وفى البحار والأنهار والمسطحات المائية وغيرها ... وقد أدى فى بعض الأحيان إلى كوارث متعددة .

وهناك عدة تعريفات للتلوث البيئى منها: أنه عبارة عن الحالة القائمة فى البيئة الناتجة عن التغيرات المستحدثة فيها والتى تسبب للإنسان الإزعاج أو الأضرار أو الأمراض أو الوفاة بطريقة مباشرة ، أو عن طريق الإخلال بالأنظمة البيئية .. وتعرف مسببات التلوث (من ميكروبات أو غازات أو مواد صلبة أو سائلة وغيرها) بالملوثات .

وتعرف الملوثات: بأنها المواد أو الميكروبات التى تلحق الضرر بالإنسان أو تسبب له الأمراض أو تؤدى به إلى الهلاك، ويعتمد مدى التلوث على طبيعة النظام البيئى، وما يوجد فيه من توازن طبيعى بين مكوناته، وعلى مقدار ما يستحدثه الإنسان فيه من اختلال قد يقلل أو يزيد من الملوثات ، وعمومًا فالتلوث كلمة ذات معنى عام، وهى تعنى: ظهور شىء ما فى مكان غير مناسب وغير مرغوب فيه فى هذا المكان، بالرغم من أن هذا الشىء قد يكون مرغوبًا فيه إذا وجد فى مكان آخر .. فزيت البترول مثلاً شىء نافع ومرغوب فيه عندما يستخرج من باطن الأرض وتستعمل مقطراته وقودًا فى محركات السيارات ، إلا أنه عندما ينتشر على سطح مياه البحر أو أن يظهر على رمال الشواطئ فإنه يعتبر شيئًا غير مرغوب فيه وضاراً بصحة الإنسان .

والتعريف الحديث للتلوث يشتمل على: كل ما يؤثر فى جميع عناصر البيئة بما فيها من نبات وحيوان وإنسان، وكذلك كل ما يؤثر فى تركيب العناصر الطبيعية غير الحية (مثل الهواء والتربة والبحيرات والبحار وغيرها)[1].

---

(١) التلوث مشكلة العصر: للدكتور أحمد مدحت إسلام، سلسلة عالم المعرفة أغسطس ١٩٩٠، مطابع السياسة، الكويت ، ص ١٩ .

لقد صدق من قال: إن الإنسان بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمى نفسه من غوائل الطبيعة وانتهى به الأمر بعد آلاف السنين وهو يحاول أن يحمى الطبيعة من نفسه .

وأصبح تلوث البيئة ظاهرة نحس بها جميعًا .. فلم تعد البيئة قادرة على تجديد مواردها الطبيعية .. واختل التوازن بين عناصرها المختلفة ، ولم تعد هذه العناصر قادرة على تحليل مخلفات الإنسان أو استهلاك النفايات الناتجة من نشاطاته المختلفة ، وأصبح جو المدن ملوثا بالدخان المتصاعد من عادم السيارات وبالغازات المتصاعدة من مداخن المصانع ومحطات القوى، والتربة الزراعية قد تلوثت نتيجة الاستعمال المكثف للمخصبات الزراعية والمبيدات الحشرية .. وحتى أجسام الكائنات الحية لم تخل من هذا التلوث .. فكثير منها يختزن فى أنسجته الحية نسبة ما من بعض الفلزات الثقيلة .

ولم تسلم المجارى المائية من هذا التلوث... فمياه الأنهار والبحيرات فى كثير من الأماكن أصبحت فى حالة يرثى لها نتيجة ما يلقى فيها من مخلفات الصناعة ، ومن فضلات الإنسان كما أصاب التلوث البحيرات المقفلة والبحار المفتوحة على السواء .

كذلك أدى التقدم الصناعى الهائل الذى صحب الثورة الصناعية إلى إحداث ضغط هائل على كثيرمن الموارد الطبيعية... خصوصًا تلك الموارد غير المتجددة مثل الفحم وزيت البترول وبعض الخامات المعدنية والمياه الجوفية، وهى الموارد الطبيعية التى احتاج تكوينها إلى انقضاء عصور جيولوجية طويلة، ولا يمكن تعويضها فى حياة الإنسان .

ولقد صحب هذا التقدم الصناعى الهائل الذى أحرزه الإنسان ظهور أصناف جديدة من المواد الكيميائية لم تكن تعرفها البيئة من قبل .. فتصاعدت بعض الغازات الضارة من مداخن المصانع ولوثت الهواء وألقت هذه المصانع بمخلفاتها ونفاياتها الكيميائية السامة فى البحيرات والأنهار. وأسرف الناس فى استخدام المبيدات الحشرية ومبيدات الآفات والمخصبات الزراعية، وأدى كل ذلك إلى تلوث البيئة بكل صورها ..

فتلوث الهواء .. وتلوث الماء وتلوث التربة واستهلكت وأصبحت بعض الأراضى الزراعية غير قادرة على الإنتاج .

كذلك ازدادت مساحة الأراضى التى جردت من الأحراش والغابات وارتفعت أعداد الحيوانات والنباتات التى تنقرض كل عام ، كما ارتفعت نسبه الأنهار والبحيرات التى فقدت كل ما بها من كائنات حية وتحولت إلى مستنقعات .

ولا يقتصر التلوث على مناطق بعينها .. فالغلاف الجوى متصل وتدور فيه المواد الملوثة من مكان لآخر .. والبحار مفتوحة وتنتقل منها المواد الملوثة بحرية تامة مع تيارات المياه ، وبذلك قد ينتقل التلوث من بلد ما إلى بلاد أخرى لا دخل لها فيه .. وحتى الطعام الملوث قد ينتقل من دولة إلى أخرى بعيدة .. ويتبين من كل ذلك أن البيئة متصلة وتكون وحدة واحدة بالنسبة للإنسان .

ولقد أهمل الإنسان كثيراً فى حق نفسه وجرى وراء التكنولوجيا الحديثة بكل قواه دون أن يفطن إلى إنها سلاح ذو حدين، وأنه قد تسبب فى الإخلال بالتوازن الطبيعى للبيئة المحيطة به فساعد بذلك على تلوث الهواء والماء والغذاء والتربة الزراعية وقضى فى بعض الأحيان على مظاهر الحياة فى كثير من الأماكن وأدى إلى انتشار الأمراض للإنسان وغيره من الكائنات الحية ، ومع زيادة أعداد السكان فى العالم يزداد معدل التلوث فى البيئة .

فبلغ عدد سكان العالم علم ١٦٥٠م ٥٠٠ مليون نسمة ، وفى عام ١٨٤٠م بلغ ١٠٠٠ مليون نسمة ، وفى عام ١٩٣٠م وصل ٢٠٠٠ مليون نسمة وفى عام ١٩٦٠م وصل إلى ٣٠٠٠ مليون نسمة ، وفى عام ١٩٧٦م وصل الرقم إلى ٤٠٠٠ مليون نسمة وفى عام ١٩٩٠ قفز عدد سكان العالم إلى ٥٢٩٢ مليون نسمة ، ويعنى هذا الرقم أن العالم يستهلك يوميًا حوالى ١٢ مليون طن مترى من الأغذية، وأنه يستهلك

٠٠٠ , ٢٧٤ , ٥٠ مليـون طن مـتـرى من الوقـود، وينتـج فى الوقت نـفـسـه ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٦٤٦ , ٢ مليون طن مـترى من عوادم الميـاه ، ٠٠٠ , ٥٨٤ , ١٠ مليون طن مترى من الفضلات الصلبة .

وعلى الصعـيد المـحلى فإن مصـر تنتج من ملوثات الهـواء ٢٥٠ , ٥٢ مليون طن يومـيا، وتنتـج نفايات صلبـة قـدرها ٠٠٠ , ١١٠ مليـون طن يوميًـا وتنتج عـوادم ميـاه ٠٠٠ , ٥٠٠ , ٢٧ مليون طن، وتستـهلك مصر يوميًا ٠٠٠ , ٣٧٥ , ٣٤ مليـون طن مترى ميـاه ، وتسـتهلك يومـيًا ٠٠٠ , ١١٠ طن مـترى من المـواد الغذائيـة وتستـهلك يومـيًا ٥٠٠ , ٥٢٢ مليون طن من الوقود [١].

ولقد كـانت الغاية فى مسـتـهل تاريخ الإنسان حـمايته مـن البيئـة .. أما الآن فـقد أصبحت الغاية هى حماية البيئة من الإنسان .

ويخطئ كثيـر من المسئولين عن البيئـة والمواطنين عندما يعتبرون تلوث الـبيئة هو مشكلة مـحلية... ؛ لأن البيئـة فى الحقيـقة لا تخضع لنظام إقليـمى .. ولكنها مفتـوحة حيث إنها مشكلة عالمية تساهم فيـها جميع الدول تأثرًا وتأثيرًا ... ولقد شدت الحقائق التالية انتباه العالم؛ حيث ثبت أن المشكلة عالمية وليست إقليمية[٢] .

١ ـ تتـساقط على كـثيـر من الدول الأوربيـة عن طريق الأمطار كـميـات هائلة من ملوثات لم تنتج مـن هذه الدول (مثل بعـض المبيـدات والأحمـاض)؛ بل نتـجت من مناطق ملوثة وانتـقلت مع الأمطار من بلد إلى بـلد آخر .. فـعلى سبـيل المـثال تعـتبـر سويسـرا والسويد من أنظف البـيئات فى العـالم .. ورغم ذلك تتسـاقط عليهـما أمطار حامضية شديدة التلوث ناتجة من الدول المجاورة لها .

(١) المصدر : المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة، د/ أحمدعبد الوهاب عبد الجواد .
(٢) الإنسان وتلوث البيئة ، للمؤلف ، مرجع سابق ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

٢ ـ مشكلة تلوث ميـاه الأنهار والمحيطات والبحـار مشكلة عالمية.. فـعلى سبيل المثـال لا يوجد من هو مـسئول عن تلوث الـبحر الأبيض المـتوسط حـيث تقوم ١٢٠ مدينة من ١٨ دولة بتلويث هذا البحر الذى تحول إلى مستنقع كبير .

٣ ـ عـادة مـا تنتقل الملوثات مـبـاشرة عـبر الرياح من مكان ملوث إلى آخـر غيـر ملوث .

٤ ـ لقد كان لتصدير واستيراد المواد الغذائية من مناطق ملوثة تأثير خطير، وتحويل مشكلة التلوث من مشكلة إقليمية إلى مشكلة عالمية .

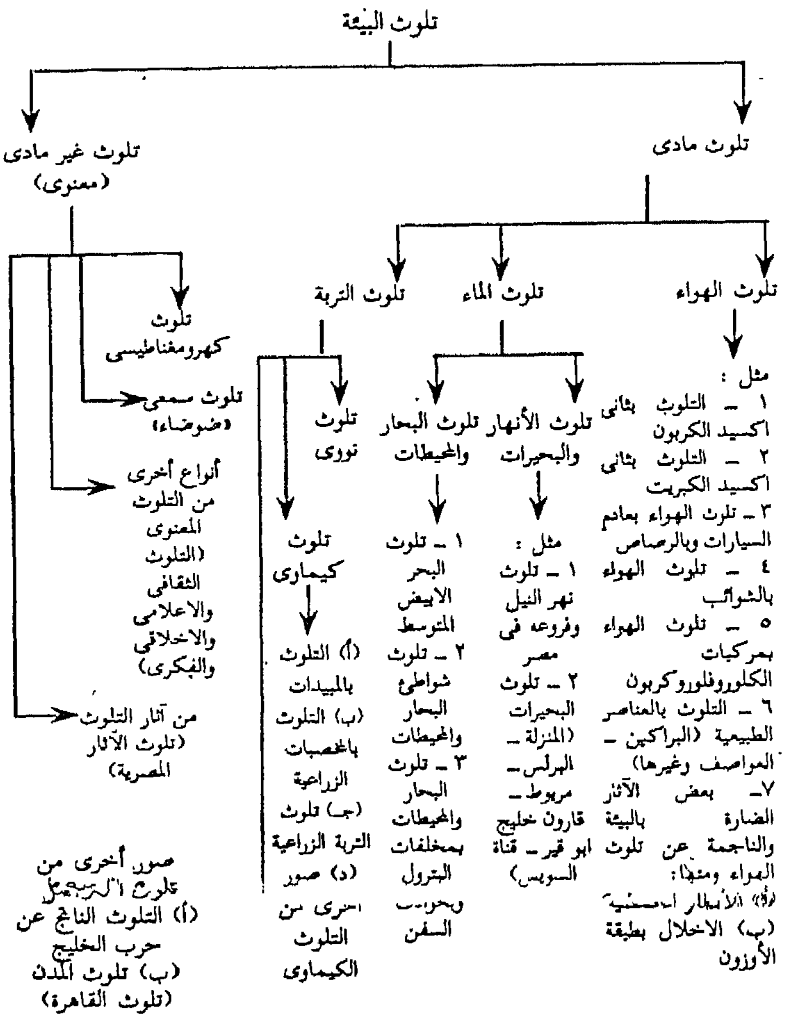
٥ ـ كمـا أن مشكلة ثقب الأوزون التى تشتـرك فيهـا كل دول العالـم تعتـبر من أهم المشاكل البـيئية التى يعتبـر العالـم كله مسئولا عنهـا، ولا يمكن تدارك مخاطرها إلا إذا تعاونت كل الدول المتـقدمة أو الدول النامية (جـميع الدول) من أجل تقليل الملوثات التى تصل إلى البيئة .. لذلك بدأت منظمة الأمم المتـحدة فى سَن الاتفاقيات والقوانين الدولية بدءا من اتفاقية استكهولـم عام ١٩٧٢ وحتى اتفاقية البرازيل الأخيرة .

٥.أقسام التلوث البيئى

ينقسم التلوث عمومًا إلى قسمين هما[١] : ـ

أ ـ تلوث مادى: مثل تلوث الهواء والماء والتربة (كما بالشكل)

(١) طعام الإنسان وشرابه بين الطب والقرآن والسنة، للمؤلف، المكتب الثقافى للنشر والتوزيع، ١٩٩٠ ، ص ٢٢٢ ـ ص ٢٢٤ .



شكل يوضح أقسام تلوث البيئة

ب- تلوث غير مادى : كالضوضاء التى تنتج عن محركات السيارات والآلات والورش والماكينات وغيرها مما تسبب ضجيجًا يؤثر على أعصاب الإنسان ويلحق به الكثير من الأذى الفسيولوجى والضرر السيكولوجى (النفسى حيث تثير أعصاب الإنسان وتزيد من توتره وهياجه) .

بالإضافة إلى الضرر العضوى مثل إصابة جهاز السمع فى الإنسان بالصمم وقلة السمع من جَرَّاء الأصوات العالية. ولقد أكد تقرير منظمة الصحة العالمية أن الحياة الملوثة تقتل أكثر من ٣٠ ألف شخص يومياً فى دول العالم الثالث، وأن أكثر من نصف سكان العالم لا يستطيعون الحصول على مياه نقية خالية من الميكروبات ، وأضاف التقرير أن ستة ملايين طفل فى الدول النامية يموتون سنويًا من جراء الإصابة بمرض الإسهال ، وأن نصف سكان هذه الدول يعانون من مشاكل الديدان الطفيلية، كما أكدت أبحاث مؤتمر المدن والعواصم الإسلامية الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٨٦م ارتفاع نسبة الوفيات فى العالم نتيجة للتلوث من ٦٠ حالة وفاة عام ١٩٣٠م، إلى ٢٠٠٠ حالة عام ١٩٨٥م ، وأن عدد السيارات التى تنفث دخانها الضار فى الجو قد ازداد من مليون سيارة فى العالم إلى ٤٠٠ مليون سيارة عام ١٩٨٦م ، ومن الجدير بالذكر أن عادم السيارة يمكن أن يتسبب فى موت الإنسان فى حالة تشغيل الموتور فترة من الوقت فى مكان مغلق مثل جراج السيارة ، وبلغ من خطورة الأمر أن الكونجرس الأمريكى وافق فى أغسطس ١٩٨٦م على رصد مبلغ تسعة مليارات من الدولارات لمكافحة التلوث الكيميائى والصناعى فى الولايات المتحدة الأمريكية لمنع أى احتمالات لتسرب البترول من المخازن تحت الأرض إلى مواسير المياه.

كما أثبتت الأبحاث أيضًا أن الإسراف فى استخدام المبيدات الحشرية المنزلية (وأهمها مبيدات الذباب والصراصير) يؤدى إلى نتائج ضارة وخطيرة بالإنسان تفوق الأضرار التى تسببها تلك الحشرات (فمثلا يسبب الذباب والصراصير أمراضًا مثل الدوسنتاريا البكتيرية والرمد والتسمم الدموى وحمى التيفود والإسهال الصيفى والكوليرا الآسيوية والسل)، وعند استخدام بعض تلك المبيدات الحشرية المنزلية على فئران التجارب أدت إلى التأثير على الحالة الصحية للفئران بشكل عام (مثل تغيير مكونات الدم وخصائص كرات الدم الحمراء والهيموجلوبين) بالإضافة إلى تغير وزن الجسم وبعض أعضائه (مثل الكبد والمخ) .

وبعد ٤٢ يوم من زيادة الجرعات واستمرارها تدهورت الحالة للفئران وأدت إلى تسمم تام لجسم الفئران كله .. وبذلك يثبت الضرر الأكيد لاستخدام تلك المبيدات فى المنازل وذلك على الإنسان ، ويوصى الباحثون للتغلب على تلك الحشرات بما يلى:

١ ـ الإقلال من استخدام المبيدات الحشرية المنزلية مع عدم رش تلك المبيدات أثناء وجود أفراد خصوصًا الأطفال والحوامل .

٢ـ تهوية الحجرات المرشوشة قبل الجلوس فيها مع عدم الرش المباشر على الحيوانات الأليفة أو الأطعمة .

٣ ـ وضع أسلاك على النوافذ والأبواب للوقاية من الآفات الطائرة، مع وضع المبيدات الحشرية المنزلية فى مكان بعيد عن متناول الأطفال .

ومن صور التلوث المادى ما يلى :ـ

١ ـ ليست المبيدات الحشرية التى لها أضرار على الإنسان ؛ بل أثبتت الأبحاث أيضًا أن أنواع العطور المختلفة التى يستخدمها الإنسان بكثرة لها أضرار خطيرة جدًا على الإنسان .. حيث تسبب العطور والروائح المختلفة مثل السبراى وماء الكولونيا وغيرها حدوث التهابات بالجلد وتبقعه، وقد تؤدى كثرة استخدامها إلى حدوث سرطان بالجلد للإنسان .

٢ ـ وإذا أضفنا ما يتناوله الإنسان من أغذية محفوظة فى العلب (معلبات) وما تحتوى تلك المعلبات من مواد حافظة (مثل البنزوات وغيرها) والتى لها آثار ضارة خطيرة على الإنسان وصحته .. بالإضافة إلى تلوث الأغذية بالمبيدات الحشرية أثناء زراعتها بالحقول ، فإننا ندرك أننا نعيش فى عالم كله تلوث فى تلوث .. فالهواء أصبح ملوثًا .. والتربة ملوثة .. والبحر ملوثًا أيضاً .. والمنزل أيضًا .. والأغذية التى نتناولها هى بالتالى ملوثة بطريقة أو بأخرى .. وهنا ندرك السر فى ظهور أمراض جديدة لم نكن نسمع عنها قبل ذلك، وكثرة انتشار

الأمراض والأوبئة الخطيرة للإنسان وأيضًا للحيوانات والدواجن التى انتشرت بها الأمراض نتيجة تلوث للمواد التى تغذى عليها ثم يأكلها الإنسان فيصاب بالتسمم والأمراض المختلفة نتيجة لذلك .

٣ ـ وإذا أضفنا التلوث بالإشعاع الذرى، كما حدث من تسرب الإشعاع الذرى للمفاعل النووى فى تشرنوبيل فى نهاية عام ١٩٨٦م ، والذى أدى إلى تلوث المنطقة المحيطة به فى روسيا وهجرة السكان من تلك المنطقة الملاصقة للمفاعل ، وانتشار الإشعاع الذرى فى الأجواء المختلفة للدول المختلفة المجاورة لروسيا، مما أدى إلى إعدام كثير من المواشى والأغذية المحفوظة وخاصة الألبان التى تلوثت بالإشعاع، فإننا ندرك أن الإنسان هالك لا محالة نتيجة للدمار، والفساد الذى يحيط بنا .

٤ ـ التلوث بتدخين السجائر .. حيث إن تبغ السجائر يحتوى على مواد مشعة من الطبيعة مثل البوتاسيوم واليورانيوم والبولونيوم، وتدخين عدد ٢٠ سيجارة بانتظام مرة كل أسبوع يؤدى إلى مكافئ جرعة إشعاعية (طيلة العمر التدخينى) قدرها واحد رم (الرم هووحدة مكافئ الجرعة الإشعاعية الممتصة، وهى عبارة عن امتصاص كمية من طاقة أشعة المزيلة مقدارها ٠,٠١ جول لكل كيلو جرام من الجسم البشرى)[١] .

وهذا يعنى أن تدخين سيجارة واحدة بانتظام مرة كل أسبوع يؤدى إلى التعرض إلى جرعة قدرها ٢٠ رم على مدى العمر .. كما أن تدخين سيجارة واحدة بانتظام يوميًا يؤدى إلى جرعة قدرها ١٤٠ رم، وبالتالى فإن الشخص المعتدل التدخين (علبة سجائر واحدة يوميًا) يتعرض لجرعة تبلغ ٢٨٠٠ رم ، وإذا كان العمر التدخينى بين ٣٠ ـ ٣٥ سنة فإن الجرعة السنوية تقدر فى المتوسط بـ ٨٠ رم ... وبالمقارنة بالتلوث الإشعاعى للأغذية فإن تدخين علبة سجائر

(١) مقال للدكتور / فوزى حماد، رئيس جهاز التنظيم والأمان النووى، جريدة الأهرام ٢٧/ ٦/ ١٩٨٧

واحدة ينتج عنه جرعة إشعاعية تعادل الجرعة الناتجة عن استهلاك ٢٥٠ كيلو جرام من الألبان المستوردة والمحتوية على الحد الأقصى من معدلات التلوث الإشعاعى المعمول به فى مصر (وهى ٢٧٠ بيكريل / كجم و ٢٠٠ كيلو جرام من الأغذية الأخرى غير الألبان المحتوية على ٦٠٠ بيكريل / كجم) .

كما يسبب التدخين نقص عمر الإنسان .. فالنقص المتوقع فى عمر الإنسان من تدخين سيجارة واحدة يبلغ ١٠ دقائق، وبالنسبة للشخص المعتدل التدخين (الذى يدخن علبة سجائر واحدة يوميًا) فإن النقص فى عمره يبلغ ١٠٠ ساعة شهريًا أو ما يقرب من ٥٠ يومًا سنويًا، وإذا افترضنا أن العمر التدخينى فى مصر فى المتوسط بين ٣٠ ـ ٣٥ سنة فإن النقص المتوقع فى العمر يبلغ ١٦٠٠ يوم تقريبا (حوالى أربع سنوات وأربعة أشهر تقريبًا) ، ويزداد ذلك النقص فى العمر طبعا بازدياد عدد السجائر التى يدخنها الفرد .

ونحن نؤمن بأن أى إنسان لن يموت ناقص عمر ولو لحظة واحدة، ولكن هناك فرق بين من يعيش عمره كله فى صحة وعافية إلى آخر لحظة من حياته، وبين من يصاب بالأمراض والعلل التى تعوقه عن الحركة والعمل فترة من عمره فالعمر الحقيقى للإنسان هو الذى يعيش فيه الإنسان سليمًا معافى من الأمراض .

كما أن الاستثارة الحرارية للفم والشفتين واللسان بصفة مستمرة التى تنتج من وضع السيجارة أو البايب أو غيرها بالفم على مدار اليوم تسبب التهابًا مزمنًا يزداد يومًا بعد يوم .

وقد تتحول تلك الأنسجة إلى أنسجة خبيثة، تؤدى إلى ظهور سرطان الفم والذى قد لا يلاحظه صاحبه لوقت طويل، ويشير أحد التقارير العلمية[1] إلى أهم مشاكل التلوث الرئيسية التى تهدد كوكب الأرض وهى ما يلى :

١ ـ زيادة نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون الذى ينتج من احتراق الوقود العادى التقليدى (من احتراق السولار أو البنزين أو غيره من أنواع الوقود للموتوسيكلات

(١) التلوث مشكلة العصر، للدكتور / أحمد مدحت إسلام، مرجع سابق .

والسيارات والطائرات وغيرها)، كما ينتج من احتراق الأشياء الأخرى (مثل الفحم والأقمشة والورق ومن قمائن الطوب الأحمر عند حرق الطوب النيئ وخلافه)، ولقد كان معدله فى الجو عام ١٩٥٨م هو ٣١٣ جزءًا من المليون بالحجم، ارتفع عام ١٩٧٨ إلى ٣٣٠ جزءاً .

ومن المحتمل أن يصل عام ٢٠٠٠ ميلادية إلى ٣٨٠ جزءًا وهذا قد يؤدى إلى زيادة درجة حرارة الغلاف الجوى بما يتراوح بين درجة ونصف إلى ثلاث درجات مئوية ... وهو ما يؤدى إلى مزيد من السحب وتغير فى حرارة الشمس.. وباختصار متاهة لا يعلم مداها إلا الله ـ سبحانه وتعالى .

٢ ـ تآكل طبقة الأوزون الموجودة بالغلاف الجوى والتى تمثل درعًا واقيًا لكوكب الأرض والإنسان ضد الكثير من أنواع الأشعة الخطيرة على الإنسان والبيئة التى يعيش فيها، وأهم الأنشطة الإنسانية المسببة لتآكل طبقة الأوزون هى : تصاعد الغازات الصناعية من أول أكسيد الكربون وثانى أكسيد الكربون وكذلك الميثان، والمواد النتروجينية والكلورية والهيدروجينية ومادة الفريون التى تستخدم فى التبريد ومستحضرات التجميل ، وكذلك التجارب النووية المؤدية إلى تفاعلات كهربية تؤثر على طبقة الأوزون ، ويؤدى تآكل طبقة الأوزون إلى نفاد أحد المكونات السامة للأشعة فوق البنفسجية ، وهو ما يتسبب فى تغيرات بيئية على سطح الأرض منها :

أ ـ حدوث أمراض سرطانية للإنسان (خاصة سرطان الجلد).

ب ـ حدوث التقلبات الجوية الحادة، وارتفاع درجات الحرارة عن المعدلات الطبيعية .

ج ـ انخفاض الخصوبة الزراعية، وانخفاض إنتاجية الأراضى الزراعية ونمو النباتات بمعدلات أقل .

د ـ إذابة الجليد فى القطبين مما يؤدى إلى ارتفاع منسوب سطح البحر من

١ ـ ٥ ,١ متر وهو ما يتسبب خلال الخمسين سنة القادمة فى تآكل ٢٠٪ من شواطئ البحار فى جميع أنحاء العالم .

٣ـ القضاء على الغابات : وهذه تغير من طبيعة الأرض وتقلب التوازن الحيوى، بجانب استهلاك رصيد الأرض من الأخشاب التى لم يكن وجودها عبثًا فما زالت قطعة الخشب هى وقود الرجل الفقير، بالإضافة إلى أن القضاء على الأشجار الخضراء. عمومًا يقلل من كمية الأكسجين الموجودة فى الطبيعة (والتى تنتج من عملية البناءالضوئى للنباتات والأشجار الخضراء) والذى يحتاج إليه الإنسان والحيوان فى تنفسه .

٤ـ التلوث بالمعادن الثقيلة : وأخطرها الزئبق والرصاص والكادميوم، وينتج من إلقاء بقايا المصانع فى الأنهار والبحار ، وينتج عن مركباتها تشوهات الأجنة فى الأرحام والتخلف العقلى عند الأطفال والتسمم والموت وأمراض الكلى والرئتين والعقم فى بعض الأحيان بالإضافة إلى الإصابة بالسرطان .

٥ـ الأمطار الضارة : فالله سبحانه وتعالى ينزل المطر على الأرض الميتة فيحييها .. ولكن جشع المستثمرين والباحثين عن المكسب السريع أدى إلى تصاعد أبخرة النتروجين والكبريت بكميات رهيبة فى الجو .. وهى لا تلبث أن تختلط بمياه المطر ثم تعود فتسقط على الأرض فى صورة أحماض ضارة (مثل حامض نيتريك وحامض كبريتيك وغيرهما) وهذه الأحماض تقتل الأحياء فى الأنهار وتسمم التربة، وأكاسيد النيتروجين بالذات من أخطر الكيماويات المسببة للسرطان .

٦ ـ المبيدات الحشرية : والتى تلوث الأنهار وترش على النباتات وتلوث الأغذية أو التى تستخدم فى المنازل، وكذلك البترول المتسلل من الناقلات فى البحار وغيره ... وهى تهدد الجهاز العصبى للإنسان بخطر السرطان والقضاء

على الأحياء الصديقة للإنسان وقتل الأسماك وأحياء البحار بالجملة وهي مأساة العالم الثالث الأولى حيث أصبح التلوث موجودًا في كل مكان في الأنهار والمياه الجوفية ومياه المطر ... فهو يحاصر الدول الفقيرة ويلاحقها في كل مكان، وإليه يعزى الكثيرمن الأمراض في كل مراحل العمر .

٧- **التصحر وتناقص الرقعة الزراعية وانحسار اللون الأخضر:** فخطر التصحر يهدد بزحف الصحراء على مساحات جديدة من الأرض الزراعية، وذلك بسبب استنفاد المراعي وإجهاد الأرض الزراعية، وقلة خصوبة الأرض الزراعية وزيادة ملوحتها لارتفاع مستوى الماء الأرضي بها ، بالإضافة إلى إقامة المباني والمنشآت المختلفة على الأراضي الزراعية الخصبة.

٨.. **التلوث بدخان المصانع والأتربة الناتجة منها ومخلفاتها :** فقد كشفت إحدى الدراسات بجمهورية مصر العربية أن كمية الأتربة المتساقطة على منطقة صغيرة من المعادي حتى التبين بلغت ١٤٥ طنًا للميل الواحد خلال شهر واحد عام ١٩٦٧، وأن هذا الرقم قفز إلى ٣١٥ طنًا شهريًا عام ١٩٧٤ ثم قفز إلى ٣٧١ طنًا شهريًا عام ١٩٧٨.

كما أن تركيز الدخان في القاهرة والمنبعث من مداخن المصانع والمنشآت الصناعية ، ومن السيارات أيضًا قد بلغ ١٢ ميكروجرام في المتر المربع من الهواء في شبرا الخيمة (كمنطقة صناعية)، وفي منطقة سكنية مثل الدقي بلغ ٥ ميكروجرام للمتر المربع من الهواء، كما أن مصانع بورتلاند بحلوان للأسمنت يتطاير منها يوميًا ٢ طن من الأسمنت ، وأن درجة التلوث في مصر بلغت أربعة أضعاف المسموح به عالميًا .

كما كشف تقرير للجنة الزراعية بمجلس الشعب أن مصادر تلوث المياه في مقدمتها مخلفات بعض المصانع ، ومخلفات الصرف الصحي واستخدام

المبيدات لإزالة الحشائش من الترع والمصارف، وإلقاء الحيوانات النافقة فى المجارى المائية، وكشف التقرير أن عدد المصارف التى تستقبل مياه الصرف الصحى تصل إلى ٤٣ مصرفًا، والكثير منها يصب فى النيل والإنسان بما يصنع من فساد يهيئ لنفسه ما يذوقه من آلام ومعاناة وضياع فى حياته .

ولا شك أن الإنسان كان يمكن أن يكون أفضل لو أنه فكر تفكيرًا سليمًا ممزوجًا بحب الآخرين، والحرص على مصالح العباد، فلا يحدث حدثًا يكون فيه إضرار بأحد ولا يخترع سلاحًا يتوقع من تجاربه إفناء الحياة على الأرض فهذا عدوان ضد الحياة ذاتها .

ولا شك أن التلوث هو عمل مشترك بين الناس جميعا الآن؛ فهم يتنفسون فسادًا وينفثون فى الجو فسادًا (من سياراتهم ومصانعهم وغيرها) كما أنهم يملأون الشوارع قاذورات وأوساخًا؛ بتقصيرهم وإهمالهم وهذا الفساد المادى هو صورة للفساد الروحى وتلوث الجو والبر والبحر هو انعكاس لتلوث الباطن، وما استكن فى قلوب الناس من أحقاد وضغائن، كما أن الخراب الاقتصادى الذى تعانيه الشعوب هو أثر للخراب النفسى الذى يعيشه أفراد هذه الشعوب ينتهبون خيراته ويفقرون أبناء شعوبهم وهذا ما نشكو منه من تلوث وفساد مصداقا لقوله تعالى :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)﴾(١)

وبعد أن استعرضنا فى الفصل السابق موقف الإسلام من العلم وتحدثنا عن المفهوم العلمى للبيئة بصفة عامة، ففى الفصل التالى سوف نتناول مفهوم البيئة فى الإسلام .

---

(١) سورة الروم : ٤١ .

الفصل الثالث

مفهوم البيئة فى الإسلام

إن مفهوم البيئة فى الإسلام لا يتطابق مع المفهوم العلمى للبيئة (السابق الإشارة إليه فى الفصل السابق) فحسب، بل يمتد المفهوم الإسلامى للبيئة بدرجة أعمق وأشمل، حيث يتعمق داخل النفس البشرية بدرجة يستحيل أو يصعب على المفهوم العلمى للبيئة أن يصل إليها أو يدركها، فمفهوم البيئة فى الإسلام يعنى جملة الأشياء التى تحيط بالإنسان ، بدءا من الأرض التى تقله، وصعودًا إلى السماء التى تظله وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلفة، كما أنه يتعمق داخل النفس البشرية لضبط ما فيها من نوازع الشر ويسعى إلى تهذيبها واستخدامها فى صالح البيئة ككل والإنسانية جمعاء؛ ذلك لأن شريعة الإسلام لا تقف بالإنسان عند حدود الماديات وشكلها وإنما تجعلها وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى والمقصد الأسنى، وهو تزكية النفس وتطهيرها، وإعادة صياغتها على نحو خال من العقد والانفصامات، وهو ما تنفرد به الشريعة السمحة عما سواها من شرائع البشر وقوانينهم الوضعية التى إن سيطرت حينًا على الجوارح فلا سلطان لها ألبتة على الجوانح حيث يقول تعالى : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾(١) ثم إن اتباع هذا المنهج ليصل بالإنسان إلى حد الاتزان والاعتدال حيث يقول تعالى: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾(٢) .

(١) سورة الشمس : ٩ ـ ١٠

(٢) سورة الحديد : ٢٣

فلا يستسلم المرء فى ظلها للأسى والأسف على غرض قد فات تحقيقه، فضلا عن استبداد الفرح به عند تحقيق أهدافه وأغراضه؛ لأن خطر الاستغراق فى الأفراح لا يقل شأنًا عن تحطيم الآمال والاستغراق فى الأسى على ما فات .

وسوف نتناول هذا الموضوع من الناحية الإسلامية فى النقاط التالية :

١ ـ الحكمة من خلق البيئة ومكوناتها عمومًا .

٢ ـ مكونات البيئة فى الإسلام .

٣ ـ علاقة الإنسان (المسلم وغير المسلم) بالبيئة .

٤ ـ عوامل الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة .

٥ ـ طرق حماية البيئة فى الإسلام .

أولاً : الحكمة من خلق البيئة ومكوناتها عموماً :

حيث إنه : ـ لا يخلو أى شىء (من خلق الله تعالى) من حكمة كبيرة نتيجة خلقه، وللحكمة معان كثيرة منها :

أ ـ ذهب ابن عباس إلى أن الحكمة المقصودة من قوله تعالى : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ** ﴾[1] تعنى القرآن والفهم .

ب ـ قال مجاهد : الحكمة تعنى القرآن والعلم والفقه .

ج ـ قال أبو مالك هى السنة .

د ـ وقال أغلب العلماء : هى العلم النافع المؤدى إلى العمل الصالح .

فالحكمة ضالة المؤمن، فإذا وجدها فهو أولى الناس بها، ونحن حينما نُعمل الفكر ونُجيلُ النظر فى مكونات البيئة ومقدراتها فإننا بهذا إنما نحاول الوصول إلى العلم النافع بخصوصها، فكل جزء يسير منها إنما هو نعمة عظمى لله، والوقوف على هذا المعنى يدفعنا قطعًا إلى العمل الصالح الذى يقربنا إلى الله .

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ .

وعمومًا فإن الحكمة من خلق البيئة ومكوناتها تشتمل على :-

١ ـ أنها مخلوقة للإنسان (بنى آدم) ومسخرة لهم ومذللة حيث يقول تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(١) ويقول تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾**(٢) .

٢ ـ أنها آيات دالة على قدرة الله تعالى، وفى ذلك يقول الحق سبحانه: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**(٣) .

٣ ـ أنها مجال خصب لمشاهدة عظمة الخالق وبديع صنعه، فالكون كله بمثابة كتاب الله المنظور (بينما القرآن الكريم هو كتابه المسطور) ومن أصغر ذرة فيه إلى أكبر مجرة يشتمل على قدر هائل من مظاهر قدرة الله (سبحانه وتعالى) ودقة صنعه وإبداعه، ونستطيع إدراك تلك الأسرار عن طريق التفكر الواعى والنظر العميق إلى ما أودعه الله فيها من التقدير والتدبير فضلاً عما نراه فيها من التسخير والتسيير، وذلك كما فى قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**(٤) وقوله تعالى : **﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾**(٥) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٩

(٢) سورة الملك : ١٥

(٣) سورة الذاريات : ٤٧ ـ ٤٩

(٤) سورة آل عمران . ١٩٠ ـ ١٩١

(٥) سورة الذاريات : ٢١

وقال رسول الله ﷺ «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله ، فإنكم لن تقدروه قدره» (١).

ثانيا : مكونات البيئة فى الإسلام :

ينظر الإسلام إلى البيئة بجميع مكوناتها على أساس أنها كائن حى نابض بالأحاسيس والانفعالات ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ**﴾(٣).

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ «لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة »(٤).

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن»(٥) ولقد روى ابن جرير عن سعيد ابن جبير قال: أتى ابن عباس رضى الله عنه رجل فقال يا أبا العباس: أرأيت قوله تعالى : ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ**﴾(٦) فهل تبكى السماء والأرض على أحد ؟ قال: نعم إنه ليس لأحد من الخلائق إلا وله باب فى السماء، منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه فى السماء الذى كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه بكى عليه، وإذا فقد مصلاه من الأرض (التى كان يصلى فيها ويذكر الله عز وجل فيها) بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم فى الأرض آثار صالحة (ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير) فلم تبك عليهم السماء والأرض(٧)

(١) رواه أبو نعيم عمر بن عباس.

(٢) سورة الإسراء : ٤٤.

(٣) سورة سبأ : ١٠.

(٤) رواه ابن ماجه ومالك فى الموطأ.

(٥) رواه مسلم.

(٦) سورة الدخان : ٢٩.

(٧) تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٤ .

وقال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحًا ، وفى معنى بكاء السماء والأرض أقوال: أظهرها كما قال القرطبى : إنه كالبكاء الذى نعرفه.

وعمومًا فإن البيئة فى الإسلام تتكون من شقين شق مادي وآخر معنوى[1] حيث إن :ـ

١ ـ المكونات المادية للبيئة (الموارد الطبيعية) وتشمل على جميع المكونات الحية وغير الحية السابق الإشارة إليها، ومنها الأرض والماء والهواء والنبات والحيوان والجبال وغيرها، ومن أمثلة ذلك :

أ ـ الأرض: من حيث علاقتها بالسماء وتكوينها : يقول تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ [2].

أى: ألم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السماوات والأرض كانتا شيئًا واحدًا ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هى وأقر الأرض كما هى، ولقد أثبت العلم الحديث منذ سنوات قليلة تلك الحقيقة العلمية التى ذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، وهى أن هذا الكون قبل أن يأخذ صورته الحالية كان حشدًا هائلاً متجمعًا فى أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل، وأن جميع أجرام السماء اليوم ومحتوياتها (بما فيها المجموعة الشمسية والأرض) كانت مكدسة تكديسًا شديدًا فى كرة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال ، وهو فى قوله تعالى: ﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ إشارة لما حدث لذلك السائل النووى الأول من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء وانتهت بتكوين مختلف أجرام

(١) البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى للدكتور عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدى (١٠٧ ـ ١١٥) .
(٢) سورة الأنبياء : ٣٠

السماء المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية والأرض بصورتها الحالية الآن[1].

وعن شكل الأرض يقول تعالى : ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿**أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[3] .

وذلك إشارة إلى أن الأرض ليست كاملة الاستدارة (حيث يزيد نصف القطر الاستوائى على نصف القطر القطبى بمقدار ٢١,٥ كيلو متر تقريبا)، أى: أن الأرض أنقصت من أطرافها ممثلة فى القطبين .

وعن مناسبة الأرض للزراعة والسعى للرزق يقول تعالى : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً**﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[5] .

فالأرض مستوية وممهدة بقدرة الله ـ تعالى ـ ومذللة لعباده فلا تتأبى عليهم .

وعن الأرض والجبال لحفظ توازنها يقول تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [6].

فالله سبحانه وتعالى قد جعل فى الأرض جبالاً ثوابت (كأنها أوتاد) ذات جذور ممتدة فى داخل القشرة الأرضية، كى لا تضطرب الأرض بأهلها أثناء دورانها، كما جعل فيها طرقا فسيحة ومسالك واسعة تعينهم على الوصول إلى أغراض حياتهم، ولقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماءعلى الأرض

---

(١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم (٤٧٦)
(٢) سورة النازعات : ٣٠
(٣) سورة الأنبياء : ٤٤
(٤) سورة طه: ٥٣
(٥) سورة الملك .١٥
(٦) سورة الأنبياء : ٣١.

ووجود سلاسل الجبال عليها مما يحقق الوضع الذى عليه الأرض واستمرار الحياة عليها .

ب.. الماء وأهميته للحياة :

يقول تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾(٢) .

فالماء هو النعمة الكبرى والمنة العظمى التى أنعم الله بها على بنى البشر، وفيه أقام حياتهم، وقسم أرزاقهم ومنه خلقهم، وهو العنصر الأساسى فى خلق الكائن الحى ثم فى تكوينه بعد ذلك، ولم يعرف حتى الآن كائن حى قادر على الحياة بدون ماء ولن يوجد .

وعن أهمية الماء لاستدامة الحياة للإنسان والحيوان والنبات يقول تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣) .

فعناصر التربة ومركباتها الميتة والساكنة عندما ينزل عليها ماء المطر تذوب فيه، فيسهل وصولها إلى بذور النباتات وجذورها (حيث تتحول إلى خلايا وأنسجة وأعضاء حية) وبذلك تبدو حية ويزيد حجمها بما يتخللها ويعلوها من نبات وكل ذلك يعتبر غذاء للإنسان والحيوان، حيث سرعان ما تدب الحياة على ظهر الأرض، وإن استمرارية الحياة متوقفة على ما تجود به السماء من ماء لأهل الأرض .

ولقد نهى الرسول ﷺ عن منع الماء حتى لا يؤدى هذا المنع إلى الإضرار

(١) سورة الأنبياء : ٣٠

(٢) سورة النور : ٤٥

(٣) سورة فصلت : ٣٩

بإنسان أو حيوان ، وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ » (رواه البخارى فى صحيحه كتاب المساقاة، والكلأ هو النبات والعشب)، كما نهى ﷺ عن بيع هذا الماء فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يباع فضل الماء ليباع به الكلأ) (رواه مسلم فى صحيحه كتاب البيوع) .

كما شرعت السنة النبوية صلاة مستقلة للماء(صلاة الاستسقاء) ، فعن عبد الله بن زيد قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى يستسقى فإستقبل القبلة وحول رداءه ثم صلى ركعتين[1] كما دعت السنة الشريفة إلى حماية الماء والحفاظ عليه وعدم الإسراف فيه، فعن عبد الله بن عمرو «أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف؟ فقال: أفى الوضوء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار »، وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يتوضأ منه»، وهذه أول دعوة فى التاريخ للحفاظ على الماء من التلوث .

كما تحدث القرآن عن مصادر الماء فى الطبيعة (سواء ماء المطر أو المياه الجوفية) أو دوراته فى الطبيعة بما لا يتسع المجال لذكره .

ج ـ عن الثروة النباتية : فإن القرآن الكريم والسنة الشريفة يعنيان ببيان الثروة النباتية عناية فائقة، تتجلى لنا من خلالها أبرز صفات وملامح تلك النباتات، وكذلك خواصها، وعلاقة الإنسان والحيوان بها، كما نرى بعضها مادة خصبة لضرب الأمثال وإحياء الموتى، بل وأمر الإنسان بالتفكر فى كل هذا ، وأن الله وحده هو القادر على الإنبات، وأنه تعالى القادر على تحطيم تلك الزروع عقابًا للمخالفين عن أمره، حيث يقول تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ**

(١) رواه البخارى فى صحيحه، كتاب الاستسقاء .

نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** (٢).

وقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾**(٣).

وقوله تعالى: **﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾** (٤).

وإلى غير ذلك من الآيات الدالة على أهمية الثروة النباتية وفائدتها .

د.. عن الثروة الحيوانية وأهميتها: فقد حفلت آيات القرآن بذكر الثروة الحيوانية فى البر والبحر بكافة أنواعها وأوصافها وفوائدها، فضلاً عن ضرب المثل ببعضها وصولاً إلى العظة والاعتبار، كما حفلت السنة المطهرة ببيان أسلوب المحافظة عليها، والرفق بها ، يتضح ذلك فى مثل قوله تعالى: **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾**(٥) .

(١) سورة الواقعة : ٦٣ ـ ٦٧ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦١
(٣) سورة إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٦
(٤) سورة عبس : ٢٤ ـ ٣٢
(٥) سورة الأنعام : ٣٨

كما بلغت عناية القرآن بها حدًا لدرجة تسمية أسماء سور بالقرآن بأسماء بعض الحيوانات (مثل البقرة والفيل والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت وغيرها)، وذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾(٤).

كما ورد ذكر الحيوانات فى القرآن كألوان العذاب (الذى يسلطه الله تعالى على الكافرين)، أو متحديًا إياهم أن يخلقوا شيئًا من أصغرها كالذباب ونحوه فى مثل قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾(٦).

كما حفلت السنة المطهرة بالرفق بالحيوان ومن أمثلة ذلك : ـ

أ ـ كان الرسول ﷺ يدق الشعير لبغلته «دُلدُل» حينما سقطت أسنانها وكف بصرها، وكان (عليه السلام) يميل الإناء لهرة فى بيته لتتمكن من روى ظمئها .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦
(٢) سورة الكهف : ٣٢
(٣) سورة النمل : ١٨
(٤) سورة الفيل : ١
(٥) سورة الأعراف : ١٣٣
(٦) سورة القارعة : ٤

ب ـ حينما سئل الرسول ﷺ «أئن لنا فى البهائم لأجرًا ؟ فقال: «نعم فى كل ذات كبد رطبة صدقة» وفى تلك الوصية الرحيمة «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة» .

ج ـ مر رسول الله ﷺ على حمار قد وسم فى وجهه (كواه صاحبه بالنار فى وجهه) فقال: لعن الله الذى وسمه » (رواه مسلم).

د ـ عن أنس رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم (متفق عليه)، كما أنه عندما نزلت حمامة وعششت بفسطاط (خيمة) عمرو بن العاص إبان الفتح الإسلامى لمصر لم يهجها بتقويض الفسطاط (عندما أراد الانصراف) ولكنه تركه من أجلها، فكان ذلك سببًا فى تكاثر العمران حوله وقيام مدينة كبيرة عرفت بهذا الاسم وهى مدينة الفسطاط.

هـ ـ روى ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «عُذِّبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لاهى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض» (متفق عليه).

كما شملت الأحكام الفقهية العديد من صور الرفق بالحيوان منها :

أ ـ نفقة الحيوان واجبة على مالكه .

ب ـ إذا لجأت هرة (قطة) إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه إذا لم تقدر على الانصراف.

ج ـ يحظر تعذيب الدواب بضربها أو تحميلها أكثر من طاقتها، وكانت مراقبة هذا الأمر من بين مهام المحتسب (المفتش) وبذلك يكون الإسلام هو أول من دعا وأمر بالرفق بالحيوان منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، وهذا العمل تقوم به حاليا جمعية الرفق بالحيوان فى مختلف بلدان العالم .

٥ـ من حيث أهمية الوقت والزمن: فالزمن يشمل الأيام والليالى والشهور والأعوام والدهور، ولقد تحدث القرآن الكريم عن الوقت والزمن، لكى يلفت أنظارنا ويوجه عقولنا إلى أهميته ، فيقسم بالزمن كله أو بأجزاء منه حيث يقول تعالى : ﴿**وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾(١) ويقول تعالى ﴿**وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ (٢).

ويقول تعالى: ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾(٤).

كما حفلت السنة المطهرة بالأحاديث الدالة على أهمية الوقت والزمن واستغلاله فى العمل الصالح والمفيد للبيئة والمجتمع بصفة عامة، ومن ذلك عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له(٥) .

ويقول الرسول ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخارى عن ابن عباس، ويقول أيضاً ﷺ : «لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟

فالإنسان مطالب بالسعى والجد والعمل الدؤوب، لما فيه خير نفسه وغيره؛

---

(١) سورة الفجر : ١ ـ ٢

(٢) سورة العصر : ١ ـ ٢

(٣) سورة التكوير : ١٨

(٤) سورة النبأ : ١٠ ـ ١١

(٥) رواه البخارى فى صحيحه

لأن عمره نعمة سيسأل عنها ويحاسب عليها، بينما غير المؤمن ينظر إلى الوقت وكأنه شيء فارغ عن المحتوى خال من المضمون، فهو يعيش عمره طولاً وعرضًا ساهيًا لاهيًا يردد قول الجاهلين: «إن هى إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر»، وعلى العاقل أن يكون فى تقدم مطرد فى فعل الخيرات، وفى الحكمة: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًا من أمسه فهو مفتون، ومن كان يومه خيرًا من أمسه فهو المؤمن ».

٢ـ المكونات المعنوية للبيئة :

وتشتمل على إرادة الإنسان (سواء إرادة الخير أو الشر) وفعله بالبيئة وما يترتب عليها من آثار بيئية حميدة أو عواقب وخيمة، وهى بمثابة الضابط والمهيمن على المكونات المادية للبيئة .

هذا وتتولى الشريعة الإسلامية السمحة إرشاد الإنسان إلى طرق المحافظة على البيئة التى يعيش فيها وبعث ملكات الخير فى النفس على حساب الحد من إرادة الشرور والعدوان على البيئة وهو ما سوف نوضحه فيما بعد .

ثالثًا : علاقة الإنسان (المسلم وغير المسلم) بالبيئة :

يوجد اتفاق فى الرأى بين العلماء التربويين والاجتماعيين والطبيعيين على أن الإنسان ابن بيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية، وأنه كما يتأثر بها يؤثر فيها؛ وذلك نظرًا لما للبيئة الجغرافية من مقومات وما تتعرض له من عوامل ، وما تمتاز به من تضاريس فإنها تصوغ حياة الإنسان وتشكلها فى الغالب الأعم منها، وهو ما يعبر عنه بمفهوم «التناضح البيئى» أى: التفاعل المتبادل بين الإنسان والبيئة، وفيما يلى سوف نستعرض علاقة الإنسان بالبيئة من وجهتى نظر غير المسلم والمسلم حيث إن : ـ

١. علاقة الإنسان غير المسلم بالبيئة:

فلقد تمخضت آراء العلماء والفلاسفة فى الغرب على مر العصور حول علاقة الإنسان بالبيئة عن ثلاث مدارس هى: مدرسة الحتمية (أو الجبر حيث إن البيئة هى صاحبة الكلمة الأولى فى تشكيل هذه العلاقة وإن الإنسان لا اختيار له فى شيء من نظم حياته العامة، وقد نادى بذلك بعض علماء الاجتماع مثل أرسطو وغيره)، وعلى النقيض من ذلك جاءت مدرسة الإمكانية (التى تعطى للإنسان الوزن الأكبر فى صياغة هذه العلاقة لمصلحته الخاصة دون النظر لأى اعتبار آخر)، ثم كانت أخيراً المدرسة التوافقية (التى تذهب إلى أن العلاقة من خلال دور فعال لكل من الإنسان والبيئة، حيث يمارس كل منهما تأثيراً فى الآخر)[١].

وعن هذه العلاقة يقول أريك فروم[٢]: «إن علاقة الناس (طبعًا يقصد غير المسلمين) بالطبيعة اتسمت بالعداء الألد فنحن من نزوات الطبيعة، ظروف وجودنا تجعلنا جزءا منها، وموهبة العقل تجعلنا نتفوق ونعلو عليها، ومن ثم فقد حاولنا أن نحل معضلة وجودنا بنبذ رؤية الخلاص المتمثلة فى الانسجام بين الجنس البشرى والطبيعة، واتجهنا نحو إخضاعها وقهرها وتحويلها لخدمة أغراضنا، إلى أن أصبح هذا القهر مرادفًا لتدمير الطبيعة ، وإن روح العداء والإخضاع أعمتنا عن حقيقة أن للموارد الطبيعية حدودًا يمكن أن تنفد، وأنه سيأتى اليوم الذى سترد فيه الطبيعة على جشع الإنسان، إن المجتمع الصناعى يحتقر الطبيعة ويحتقر كل ما ليس من صنع الآلة .

---

(١) الإنسان والبيئة للدكتور حسن نجم وآخرين، دار البحوث العلمية، الكويت ص ٦٩

(٢) الإنسان بين الجوهر والمظهر ، أريك فروم ، ترجمة سعيد زهران ، سلسلة عالم الموتى، العدد رقم ١٤٠، ص ٢٦

هذا ويؤمن العديد من المفكرين الغربيين فى الوقت الحالى بأهمية تغير هذا الموقف وإيجاد موقف جديد إزاء الطبيعة (قائم على التوافق والانسجام وليس على الغزو والقهر) هو أحد الشروط الضرورية لإنقاذ الجنس البشرى من الهلاك المحقق [١].

ومنبع المشكلة ومصدر الداء هنا هو أن الإنسان غير المسلم يدخل الحلبة ليكون فى مواجهه ومقابلة البيئة دون استشعار وجود نظام محكم لهذه العلاقة ، خلقه وأوجده خالق مبدع (خلق الإنسان والبيئة)، والعجيب أن الإنسان غير المسلم فى معظم أفراده يؤمن بأن الذى خلقه وخلق الكون من حوله هو الله تعالى كما سجل القرآن ذلك فى قوله تعالى : ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[٢] لكن هذا الإنسان غير المسلم لا يتحرك خطوة فى الاتجاه الصحيح الذى يتواءم مع هذا الاعتقاد (فينصاع لتعاليم وأوامر خالقه عز وجل) ويتعامل مع البيئة كما لو كانت مخلوقة بطريقة الصدفة وبدون سنن وضوابط وبلا هدف أو غاية فيترك لنفسه أن يشكل علاقته بها حسبما يريد وفى ضوء موازين القوى بينه وبينها، أحيانا يرهبها فيعبدها، وأحيانا يعتزلها ، وأحيانا يعمل على قهرها واغتصابها، وتارة أخرى يتعامل معها بعقل واتزان ، ويقول عن اطراد ظواهرها: قوانين الطبيعة، ويقول عن تغييراتها: فلتات الطبيعة .

٢ ـ علاقة الإنسان المسلم بالبيئة :ـ

وهى علاقة توازن واتساق وتفاعل إيجابى، بريئة من الاختلال والتطرف

---

(١) إنسانية الإنسان ، رينيه دوبو ، ترجمة دكتور نبيل صبحى الطويل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ص ٣٣٨، ٣٣٩ .

(٢) سورة لقمان : ٢٥

فالمسلم لا يعبد البيئة؛ لأنه يعرف أنها مخلوقة مثله وأن هناك خالقا لها وتستحق العبادة، كما أنه لا يتأله على البيئة؛ لأنه يؤمن أنه مخلوق مثلها، ولا يعتزلها؛ لأنه يدرك أنها مخلوقة من أجله وأنه لاغنى عنها فى حياته وممارسته لمهمته ووظيفته، ولا يقهرها؛ لأنه يعلم أن محاولة ذلك فى غير صالحه هو .. وهذه العلاقة الحميدة قد صاغها الإسلام كأحسن ما تكون عليه علاقة بين اثنين لا غنى لأحدهما عن الآخر، وبذلك حمى العقل المسلم من الخوض فى متاهات فلسفية عقيمة ومن الشطط فى أفكاره وسلوكياته، وإن أقرب مدرسة وضعية إلى الحق والإسلام هى تلك المدرسة التى تدعى بالتوافقية؛ حيث تعطى لكل من البيئة والإنسان دورا فعالاً فى صياغة العلاقة بينهما، بل إن ما قدمه الإسلام أعظم منها وأدق.. فلقد بين للمسلم أن الأرض بما عليها وما فيها مخلوقة من أجل الإنسان حيث يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾(١) .

وبين له أنه قد سخر له الأرض بما فيها وما عليها، بل إن ما فى السموات والأرض مسخر من أجل الإنسان كما فى قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾(٢).

ولقد من الله تعالى على الإنسان ومنحه كلا من العقل والهداية السماوية كى يتعامل مع الكون تعاملا متزنًا إيجابيًا ، وبيّن له أخيرًا أنه منحه القدرة على الإفساد فى الأرض بصورة أو بأخرى ولكنه حذره من ذلك بكل صيغ التحذير والتى منها أن مغبة ذلك ستعود عليه، وأنه أول من يضار من إفساد الأرض طبيعيًا(٣) أو معنويا .

---

(١) سورة البقرة : ٢٩

(٢) سورة لقمان : ٢٠

(٣) التنمية والبيئة، دراسة مقارنة للدكتور شوقى أحمد دنيا، كتاب دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامى، العدد ١٣٧ ـ ١٤١٤ هـ (ص ٢٩ ـ ٣٠) .

كما لا ينفى كل هذا ارتباط الإنسان ببيئته وحبه لها واستحسانه لمكوناتها، بل وتفضيلها على غيرها، فذلك أمر يصار إليه بحكم الإلف والعادة ، فقد رأينا رسول الله ﷺ يقف على مشارف مكة يوم الهجرة قائلا: «اللهم إنك أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلىّ ولولا أن قومك آخرجونى منك ماخرجت»[1] .

ومع هذا الارتباط القوى فإن الإسلام يجعل أمر الترحال من بيئة إلى أخرى مشروعًا إذا ضاقت سبل العيش فى بيئة الإنسان وموطنه، فينعى الإسلام على المستضعفين رضوخهم لمعيشة الذل والهوان، حيث يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾[2] .

أو إذا ضيق عليه فى دينه، وهجرة الأنبياء خير شاهد على ذلك .

كما أنه من الحكم المستخلصة من مشروعية الحج أن يكسر الإنسان حدة الرتابة والإقامة فى البيئة التى يعيش فيها ، إلى السياحة الدينية والروحانية والبعد عن الماديات وشهوات النفس، لكى يوطن النفس على الاستعداد ليوم الرحيل الأكبر .

كما أن علاقة المسلم بالبيئة ترفض التعطيل والاعتزال والذل؛ لأن ذلك مناف لفطرة الإنسان ومضاد لوظيفته، بالإضافة إلى أنه مناف للحكمة من خلق البيئة، فهى لم تخلق لتعطل ولتظل أسرارها مكنوزة، كما أن هذه العلاقة ترفض الاستنزاف؛ لأن البيئة لم تخلق لجيل دون جيل وإنما هى حق البشرية كلها فى كل الأماكن وفى كل الأزمان، وهى مصدر حياة الأجيال المقبلة إلى قيام الساعة، واستنزاف البيئة هو بذلك اعتداء عليها من جانب، واعتداء على كل الأجيال المقبلة من جانب آخر، وتلويث البيئة هو استنزاف لها وتدمير لخصائص النفع

(١) انظر سيرة النبى لابن هشام

(٢) سورة النساء ٩٧٠

فيها، ومن ثم فهو مرفوض رفض الاستنزاف تمامًا، بل إن التلوث أشد خطرًا لجسامة آثاره حيث يمتد الاعتداء للجيل الحاضر وللأجيال القادمة أيضًا، ولذا فإنه لا مفر من العمل المشترك القائم على الاحترام والعرفان بما هنالك من منافع وحقوق، والإيمان الكامل بأن ما يحيط بالإنسان ليس مجرد جماد وحيوان ونبات .. وإنما هى نعم الله عز وجل منحها للإنسان وطلب منه حسن التعامل معها (حيث سخرها وجعلها نافعة للإنسان؛ حتى لا يغتر بها الإنسان بما قد يتوصل إليه من معارف وعلوم فيظن أنها بذاتها التى هيأت له ذلك).

وهذا التكييف الإسلامى الدقيق لعلاقة الإنسان بالبيئة حقق لها كل مقومات الكفاءة والفاعلية والاتزان، فالإنسان من جهة؛ مزود بخصائص ومؤهلات تجعله يستطيع أن يؤثر بفاعلية فى البيئة، وإدراكه أن الذى منحه ذلك (وكذا منح البيئة على الانفعال والاستجابة) هو الله تعالى وهذا يمنعه من الخنوع للبيئة ومن التأله عليها والتكبر، وما أروع قولة الإمام الرازى فى هذا الشأن حيث قال: «سخر لك الكل لئلا يسخرك منها شيء، وتكون مسخرًا لمن سخّر لك الكلّ، وهو الله تعالى»(١).

رابعًا: صور وعوامل الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة:

يقول تعالى : ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(٢) .

حيث إن الآية الكريمة توضح أن الفساد قد شاع وانتشر فى كل جوانب البيئة الطبيعية (سواء فى البر والبحر) من جراء سلوكيات الإنسان الخاطئة واعتداءاته عليها، ويقول الإمام البقاعى(٣): ظهر الفساد أى: النقص فى جميع ما ينفع الخلق

(١) نظم الدرر ، للبقاعى، دار المعارف العثمانية ، ج ٨ ، ص ٧٦ .

(٢) سورة الروم : ٤١

(٣) نظم الدرر، للبقاعى ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ١٠٤

سواء فى البـر (بالقحط والخوف ونحوهمـا) أو بالبحر (بالغـرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه من كل مكان يحصل منه من قبل)، وبما كسبت أيدى الناس أى: ما عملت من الشر عقوبة لهم على فعلهم .

والشر أبوابه عديدة ومجـالاته لا حصر لها، فالإسراف شـر، والإضرار بالغير شر، وإتلاف المـال شر، والبـغى والطغيـان شر، والعبث شـر، حيث يقـول الإمام الرازى[1] «موضحا مـفهوم الإفساد النهى عن الإفساد يدخل فـيه المنع عن إفساد النفوس بالقـتل وغيره، وإفساد الأمـوال بالسرقة والنهب والغش وغيـرها، وإفساد الأديان وإفساد الأنساب وإفساد العقول؛ ذلك لأن المصالح المعتبرة فى الدنيا هى هذه الخمسة، ففى قوله تعالى : ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[2].

والإفساد: لغة هو إذهاب ما فى الشىء من نفع وصلاحية وقد مثل لذلك بقتل النفـوس ، ومن يطلع على مـا يحـدثه تلوث المـاء من إزهاق للنـفوس البشـرية وغـيرها، وكـذلك تلوث الهـواء يدرك بحق أن التلوث هذا يقع فى بؤرة مـفهـوم الفساد مـثل سرقة الأموال ونهبـها واستنزاف الموارد الطبيـعية بأنواعها المـختلفة (من أراض ومـياه وغـابات وطاقـة وغـيرهـا)، ومثل إفسـاد العـقول والأنسـاب والأديان.. فهـذا كله تلوث وإفساد حـيث الإفساد أحـاط بكل من البيئـة الطبيعـية والبيئـة الاجتماعـية ، كما قيل فى مـعنى كلمة الفساد: هو خـروج الشىء عن حد الاعتـدال (قليلاً كان الخـروج عنه أو كثيرًا) ويضـاده الصلاح ويستـعمل ذلك فى النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الإنسان[3] .

ومن ذلك يمكن فهم الحديث الشريف الذى يأمر فـيه بقتل الفواسق الخمس (الغـراب والحـدأة والفـأر والعـقـرب والكلب العـقـور)؛ نظرًا لمـا تحـدثه تلك

(١) التفسير الكبير، للرازى، دار الكتب العلمية ، طهران ، ج١٣، ص ٣٧٩.

(٢) سورة الأعراف : ٥٦

(٣) المفردات ، الراغب الأصفهانى دار المعرفة، بيروت ، ص ٣٧٩ .

الكائنات من مضار ومفاسد وخسائر معروفة وفى التخلص منها حماية للبيئة بمفهومها الشامل .

١ـ صور إفساد البيئة والاعتداء عليها :

هناك صور عديدة ومظاهر لإفساد البيئة والاعتداء عليها ومن تلك الصور ما يلى : -

أ ـ الإسراف فى استخدام مكونات البيئة الطبيعية : يعتبر الإسراف فى استخدام مكونات البيئة أكبر ضرر لها؛ لأنه أحد العوامل الرئيسية فى الاعتداء على البيئة وتلوثها واستنزافها، ولقد دعا الإسلام إلى عدم الإسراف فى استخدام أى شىء، لأنه إذا زاد الشىء عن حده انقلب إلى ضده، ويدل على أنه إن لم نحقق الفائدة من استخدامه يصيبنا الضرر البالغ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾(١) .

ذلك لأن الإسراف فى تناول الطعام والشراب يؤدى إلى كثير من الأمراض للإنسان (منها ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وعسر التنفس ومرض السكر والسمنة والبدانة وغيرها).. على الرغم من الأهمية القصوى والفائدة العظمى للطعام والشراب فى استمرار حياة الإنسان ومقاومته للأمراض ولكن الإسراف فى تناوله يؤدى إلى عكس ذلك (من إصابته بالأمراض وموته فى النهاية)، وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى (عند الحديث عن طرق حماية البيئة فى الإسلام).

ب ـ تلوث مكونات البيئة : التلوث فى اللغة يقال: لوث ثيابه بالطين أى: لطخها، ولوث الماء أى: كدره(٢)، وهو عند علماء البيئة يعنى: تراكم عناصر ضارة وغير مرغوب فيها ويترتب عليها فقدان وانعدام أو تدنى صلاحية البيئة للقيام بوظائفها

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ .

(٢) مختار الصحاح ، للجوهرى، تحقيق أحمد عطار ، ج ١ ص ٢٩١ .

وتقديم ما لا يستغنى عنه من منافعها وخدماتها (١).

وإن مصدر التلوث الأساسى هو إدخال عناصر غريبة غير مرغوبة فى أى عنصر من عناصر البيئة ، ويستوى فى ذلك العنصر الطبيعى (مثل الماء والهواء وسطح التربة) ذو العنصر الاجتماعى (مثل القيم والمعتقدات والأنظمة وغيرها)، وفى ضوء ذلك يمكن أن نشاهد ونعايش العديد من صور التلوث (مثل تلوث الماء وتلوث الهواء وتلوث الأرض وغيرها والتى سبق الحديث عنها فى فصل سابق) .

وإذا كان التلوث البيئى الطبيعى يرتد مفعوله السلبى على الإنسان فى صحته وفى ماله وفى وجدانه ومشاعره فإن هذا التلوث فى الجانب البيئى الاجتماعى يرتد مفعوله السلبى هو الآخر على الإنسان فى كل مقومات حياته وسعادته، وغالبا بوقع أشد، والخطورة فى هذا اللون من التلوث؛ أن آثاره قد لا تظهر على الفور ، وإذا ظهرت فكثيراً ما لا تعزى إلى مصدرها الحقيقى ومن أمثلة ذلك المخدرات بأنواعها المختلفة لاسيما الحديثة منها ونشاهد مقدار ما تحدثه من فتك بالإنسان وعقله وماله وأخلاقياته وسلوكياته، وكذا مظاهر الفساد السياسى وما يترتب عليه من كبت ومظالم وتخلف وتدمير للموارد والطاقات ... إلى غير ذلك من أنواع الفساد .

ج ـ استنزاف مكونات البيئة:ـ

الاستنزاف يمثل نهب وسلب ما لدى البيئة من عناصر ومكونات ، فالإنسان فى كثير من تعامله مع البيئة لا يحترم قوانين التعامل ولا يلتزم بمقتضياتها، حيث يريد أخذ كل شىء بسرعة ودون ما نظر للغير من جهة ولا للأجيال اللاحقة من جهة أخرى، كما يتعامل مع البيئة كأنها لم تخلق إلا له، وكأنها مخلوق لا حدود

(١) تلوث البيئة ، للدكتور محمد جمعة ، مكتبة الحزيجى ، الرياض ، ص ١٠٦

لإمكانياته ولا نفاد لموارده مهما اشتط به العبث [١].

فكم من بلايين الأطنان من المعادن أخذت من البيئة لغير ما هدف صحيح ثم سرعان ما بددت ودمرت، وكم من مياه استهلكت بإسراف وفى غير ما طائل، وكم حدث من تدمير وتصحر وتجريف للطبقة السطحية الخصبة، وفى تقرير العالم عام ٢٠٠٠[٢] فإنها بحلول عام ٢٠٢٠ يتوقع أن تكون قد أزيلت من الناحية الفعلية جميع الغابات التى يمكن ماديا الوصول إليها فى البلدان الأقل نموا ، كما يرى الخبراء أن تدهور التربة الزراعية فى كثير من البلدان النامية (وهو عملية لارجعة فيها ولا إمكان لإصلاحها) يمكن أن يعرض للخطر قدرة السكان على إنتاج أغذيتهم الأساسية .

د. تعطيل استخدام مكونات البيئة وعناصرها :

التعطيل : هو ترك استخدام مكونات البيئة وعناصرها وتركها على حالتها الطبيعية الفطرية ، وهذا السلوك يضر بالإنسان سواء على المستوى الفردى أو الجماعى ، كما أنه فى الوقت ذاته يضر بالبيئة نفسها .. فتأمل مياها تركت دون أى استخدام بشرى لها، أو تربة زراعية تم تركها بورا وغيرها أليس فى ذلك إضاعة لها؟ ولذا فإن التعطيل يعتبر أحد جوانب إفساد الأرض والاعتداء على البيئة .

وهناك فرق بين التعطيل وبين ترك الاستخدام المؤقت أو الجزئى حيث إن الأخير لا يعد تعطيلاً ولكنه يعتبر توفيراً وصيانة ومحافظة على البيئة مثله مثل الشخص الذى يعمل ثم يأخذ راحة أو إجازة من العمل لتجديد نشاطه وحيويته ولا يعد بذلك عاطلا[٣] .

---

(١) إنسانية الإنسان، رينيه دوبو، ترجمة دكتور / نبيل صبحى الطويل، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص ٢٢٢

(٢) العالم الثالث وتحديات البقاء، جاك لوب، ترجمة أحمد فؤاد بلبع،، عالم الموتى ، الكويت ، عدد رقم ١٠٤ ص ١٥٤ .

(٣) الإنسان والثروات المعدنية للدكتور محمد عوض الله، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد رقم ٣٣، ص٥٧

وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(١) .

فمنع الحيوان مالا معاش له إلا به (من علف أو رعى وخلافه)، وترك سقى الثمر والزرع حتى يهلكها هو بنص كلام الله، إفسادًا فى الأرض وإهلاكًا للحرث والنسل، والله لا يحب هذا العمل الذى يؤدى إلى فساد البيئة وعدم الاستفادة منها، ولذا فنحن معشر المسلمين مطالبون باستخدام البيئة الاستخدام الحسن ومنهيون عن ترك استخدامها، وفى ذلك يقول «أبو يوسف(٢)» (رحمه الله) ولا أرى أن يترك الإمام أرضًا لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها فإن ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج، وليس أبلغ فى التحريض على استخدام الموارد وعدم تعطيل البيئة من قوله ﷺ «من أحيا أرضًا ميتة فهى له وليس لمحتجر حق بعد ثلاث»(٣) ويقول ابن حزم: « ويأخذ السلطان الناس بالعمارة وكثرة الغراس ويقطعهم الإقطاعيات فى الأرض الموات ويجعل لكل أحد ملك ما عَمَّر ويعينه على ذلك فبه ترخص الأسعار، ويعيش الناس والحيوان ، ويعظم الأجر، ويكثر الأغنياء وما تجب فيه الزكاة» .

وهكذا نجد النظرة الإسلامية حيال صور وجوانب الإفساد فى الأرض أو الاعتداء على البيئة أكثر شمولاً وإحاطة، حيث لم تهمل جانبا لحساب الآخر، عكس ما سار عليه الفكر الوضعى حيث كل الندوات والمؤتمرات انصرفت أبحاثها إلى مواجهة الاعتداء البشرى على البيئة النابع من ممارسات فعلية، وليس هناك اهتمام يذكر بالاعتداء المتمثل فى السلبية والانعزال وعدم توظيف البيئة

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥

(٢) الخراج، لأبى يوسف، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ص ٦٦ .

(٣) رواه أحمد والترمذى وصححه انظر نيل الأوطار .

واستخدامـها مما يترتب عليه تعطيلهـا عن أداء مهامها من جهـة (وفى ذلك ما فيه من ضرر على الإنسان) كما يترتب عليه تلويثها وتدهورها من جهة أخرى .

وقـد يكون عذر الفكر الوضعى أن تلـك الاعتـداءات السلبـية غـيـر شائعـة (خاصة على العالم المتقدم صناعيًا)، كما نلاحظ على المـوقف الوضعى تركيزه على البيـئة الطبيعيـة دون أن يعير اهتمـامًا يذكر للبيـئة الاجتمـاعية وحمايـتها من اعتـداء الإنسان عليهـا، مع أن آثار الاعتداء عليـها لا تقل ضررًا عن آثار الاعـتداء على البيئة الطبيعية ، ولذلك نجد المـوقف الإسلامى حيال البيئة أكثر توازناً حيث لم يحاب جناحا على جناح .

٢ـ عوامل الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة :ـ

من أهم عوامل الإفساد فى الأرض والاعتداء على الـبيئة والتى سوف نتناولها فى هذا البحث ما يلى[١]: ـ

أ ـ العامل الثقافى والإيمانى .

ب ـ العامل الفكرى والتكنولوجى .

ج ـ العامل الاقتصادى .

حيث إن :

أ ـ العامل الثقافى والإيمانى

بالرغم من ضخامة هذا الدور وضلاعتـه فى الاعتداء على البيئة إلا أنه لم يلق عناية كافيـة من علماء البيئة ولم يصـوب إليه المفكرون الوضعيون أنظارهـم فـيما عدا قلة من العلماء والفلاسـفة الذين لم يكن لصوتهم الصدى الكافى وسط هدير

(١) التنمية والبيئة ، دراسة مقارنة، للدكتور شوقى أحمد دنيا، مرجع سابق ص ٤٢ ، ص ٥١ .

الحياة المادية الطاغية، خاصة وأن مواقف هذه القلة لم تقم على دراسات تحليلية مفصلة، وإنما جاءت فى شكل عبارات فضفاضة لا يلتفت إليها كثيرًا فى عصرنا الحاضر .

وقد سبق أن تحدثنا عن عدم توفر عقيدة الإيمان الحقيقى بالله الذى خلق كلاً من الإنسان والبيئة بنظام معين ولحكمة معينة ولتحقيق وظائف ومهام محددة، وبدون تلك العقيدة تختل تمامًا علاقة الإنسان بالبيئة فى معظم الحالات متأرجحة بين العبودية والتأله، وبين السلبية والصراع . وفى كل جنوح وفى كل اعتداء يحدث إضرار بالبيئة والإنسان معًا وإذا أردنا أن نعرف قدرًا من حقيقة هذا العامل فعلينا أن ننظر إلى آثاره فى السلوكيات الأخرى (سواء الفكرية أو العلمية والتكنولوجية أو الاقتصادية) حيث هو الذى يحدد غاياتها ومساراتها وضوابطها، وبغير تحديد صحيح لتلك الجوانب تصبح تلك السلوكيات كالحصان الجامح فيكون فتكها بالإنسان والبيئة أعظم بكثير من نفعها[١] .

وقد عبر عن ذلك رينيه دوبو فى كتابه السابق[٢] بقوله: «إننا لن نستطيع تغيير أساليبنا مالم نتبن أخلاقًا اجتماعية جديدة، بل دينًا اجتماعيًا جديداً، ومهما كان شكل هذا الدين الجديد فيجب أن يكون أساسه هو التوافق والتناسق والانسجام بين الإنسان والطبيعة بدل الميل المتهور والمندفع نحو الإخضاع والسيطرة .

وعلينا نحن المسلمين أن نتساءل : أليس فى الإسلام ما يحقق كل ذلك وزيادة ؟ ألم يقدم الإسلام نظامًا كاملاً متكاملاً للكون كله وللمخلوقات جميعًا؟ . ألم يحدد ذلك الإسلام ـ بدقة فائقة ـ طبيعة العلاقات التى ينبغى أن تسود بين أنواع المخلوقات جميعًا؟ ألم يربطها جميعًا برباط وحيد هو العبودية لخالق

(١) إنسانية الإنسان ، رينيه دوبو، مرجع سابق ، ص ٢١٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣٩ .

واحد؟ ألم يحدد بوضوح وصراحة مركز الإنسان فى الكون ومهمته فيه؟ ألم ينط به خلافة الأرض لعمرانها والمحافظة عليها؟ ألم يحدد له بكل دقة وتفصيل أهمية الأرض بالنسبة لحياته ووظيفته؟ أى دين جديد بعد هذا كله يريده الغرب (علماؤه وأبناؤه) وما الذى يبغون تحقيقه أكثر مما قدمه الإسلام فى هذا المجال ؟ إننا علينا نحن معشر علماء المسلمين أن نوضح بكل جلاء للعالم كله موقف الإسلام من البيئة، وأن مسئوليتنا حيال ظهور وسيادة هذا الموقف لا تقل عن مسئولياتنا الكونية حيال أى قيمة إسلامية أخرى.

ب ـ العامل الفكرى والتكنولوجى.

يعتبر هذا العامل من أهم العوامل التى ساهمت ولا تزال تساهم فى الاعتداءعلى البيئة مما أدى إلى إجهادها وتدهورها وفساد الكثير من عناصرها، وعمومًا فإن معظم أبحاثنا الحديثة ليست هى الوسيلة الفعالة لتحليل الأنماط الطبيعية الواسعة المهددة بالتدهور، ومثال ذلك ملوثات المياه تهدد نسيجا حيا بيئيا متكاملا بكائناته العضوية الكثيرة المتداخلة والمتفاعلة مع بعضها البعض ولا تستطيع الدراسات التى تجرى فى المعامل (على كائنات عضوية منفردة فى مزارع نقية) أن تقدم وصفا كافيا لتأثيراتها على المجتمع البيئى برمته وذلك بسبب نزوع العلم الحديث إلى تفكيك أجزاءالمجتمع البيئى المدروس إلى عناصر عديدة (مستقلة أو تابعة لسهولة دراسة الظاهرة) فى حين أن الواقع فى الطبيعة عكس ذلك (حيث يوجد تفاعل وتداخل بين عناصر ومكونات البيئة فى المجتمع المدروس وكل منها يؤثر ويتأثر بالآخر بدرجات متفاوتة)، ولذلك ليس من المستغرب أن يقوم التكنيك العلمى (الذى يعامل الكائنات الحية فى المجتمع البيئى المدروس وكأنها غير موجودة أو ميتة) بخلق تكنولوجيا تفتك بهذه

الكائنات[1] مع رسوخ نزعة العلم المسيطر والمهيمن على إخضاع الطبيعة واغتصابها وقهرها، وإذا كانت تكنولوجيا القرن العشرين قدأنتجت آثاراً أقل عدوانية على البيئة فى بعض الجوانب فإن لها على الجانب الآخر آثاراً أشد خطورة على البيئة بصفة عامة، ومثال ذلك أنه قد حدث تحسن بيئى كبير فى مجال الطاقة واستخدام الكهرباء بدلاً من الفحم، وهناك مجال متزايد للتحسين والتطوير ولكن المشكلة البيئية الحقيقية التى أنتجتها التكنولوجيا المعاصرة تتمثل بتكنولوجيا المنتجات التخليقية لتحل محل التكنولوجيا الطبيعية العضوية السابقة حيث تم إنتاج العديد من المنتجات الكيماوية المخلقة صناعيًا (مثل المنظفات الكيميائية والمخصبات الكيماوية الأزوتية والفسفورية وغيرها، والمبيدات الحشرية والمنتجات الصناعية فى المنسوجات والمعلبات وغيرها) وقد أحدثت هذه التكنولوجيا آثاراً سلبية أشد فتكًا بالبيئة وأكثر خطورة عليها بما يؤدى إلى تدهورها وتدميرها، ونحن مطالبون ببذل الجهود الدائبة والمستمرة لتطوير وتحسين المنهج العلمى القائم وتقريبه بقدر الإمكان من النظرية الكلية المركبة[2].

كما أننا مطالبون من الناحية الإسلامية بحسن الوسيلة، بنفس المطالبة، بحسن الغاية ، حيث عناية الإسلام بالوسائل والطرق والأساليب لا تقل عن عنايته بالغايات والمقاصد، بل إنه يرى فى حالة تعذر تحقيق الغاية ـ إلا بوسيلة ضارة وغير حسنة ـ صرف النظر عن تلك الغاية مع ما قد يكون فيها من نبل، والوله بالعلم ليس عيبا ولا محظوراً إسلاميًا، بل على العكس من ذلك هو أمر محبب

(١) الغرب والعالم، كافين رايلى، ترجمة دكتور عبد الوهاب المسيرى، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٩٧ ، الكويت ، ص ٣٢٢ .

(٢) إنسانية الإنسان، رينيه دوبو ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

ومطلوب (كما سبق أن وضحنا)، لكننا نفرق بين محبة العلم وعبادته، ونفرق بين علم نافع وعلم ضار، فالإسلام لا يرى كل علم نافعًا، بل منه النافع ومنه الضار، وهو يحرص الحرص كله على العلم النافع، ويحذر التحذير كله من العلم الضار، حيث يقول ﷺ : «أعوذ بك من علم لا ينفع»، كما نص القرآن على أن الإنسان أحيانًا ما يتعلم العلم الضار كما فى قوله تعالى : ﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ**﴾(١) .

لذلك لابد من وضع ضوابط صارمة ورشيدة لعملية البحث العلمى بحيث ينصرف إلى المجالات المفيدة حقًا وإلا كان فى بعض حالاته إهدارًا للطاقة البشرية من جهة، وللمال العام من جهة أخرى، ومولدًا للمزيد من المضار الناتجة عنه من جهة ثالثة .

٥ ـ العامل الاقتصادى :

يعتبر العامل الاقتصادى هو المسئول الأول عن الاعتداء على البيئة وإفسادها وتدهورها وذلك نتيجة لقيام النمو الاقتصادى من الناحية العلمية على أساس أن الموارد الطبيعية وفيرة وقادرة على أن تشبع للإنسان كل رغباته وإن غلت واشتطت(٢) مماترتب عليه المزيد من الاستنزاف والمزيد من نهب هذه الموارد، ومن ثم إفناء الكثير منها، وهذه الافتراضات كانت خاطئة، فالنمو (أو التنمية) من حيث الجوهر والحقيقة عملية مركبة من عنصرين أساسين (هما الإنسان والبيئة)، وكلاهما عنصر إيجابى وفعال، وصلاحية كل منهما شرط ضرورى لإنجاز التنمية، كما ثبت أن العلاقة بين التنمية والبيئة فى منظورها الصحيح هى علاقة تناغم وتعاضد، حيث إنه بغير الحماية الكافية للبيئة تضار التنمية، وبغير التنمية

(١) سورة البقرة : ١٠٢

(٢) تقرير التنمية فى العالم ١٩٩٢ ص ٢٠

تعدو المـوارد قاصرة عن الوفاء باحـتياجات الاسـتثمـارات وتنهار عملية حـماية البيئة[1] فلا تنمـية إلا بموارد، والموارد جـزء من البيئة .. فـإذا لوثت أو استنزفت تلك الموارد فعلى أى شيء تقـوم التنمية ؟ كما أن افتراض توفـر الموارد لإشباع كل رغبـات وتطلعات الإنسان (مـهما كان حـجمهـا ومهما كـانت نوعيتـها) هو افتراض خـاطئ ، والدليل على ذلك نضوب العديد من الموارد (من معـادن ومياه وغابات وغير ذلك) بالإضافة إلى افتقـاد ما يزيد على المليار من البشر للحاجات الأساسية (من مياه وصرف صحى وسكن وتعليم وغيره)[2] كما أن التخلف أيضاً له آثار ضارة بالبيـئة ، ويوم يجد الإنسان (أو المجـتمع) نفسه أمام إشبـاع الحاجة الأساسـية العاجلة أوالاحـتـفاظ ببيئـة نظيفة ذات نوعـية عالية الجـودة فلا شك أنه سينحاز إلى إشباع حاجاته الأساسية، فالفقر يشدد الضغط على البيئة ويجبر الناس على الاستخدام قصير الأجل للمـوارد بالإضافة إلى إجبارهم على إحداث المزيد من تلوث البيئة (سواء تلوث الهواء أو الماء أو التربة وغيره) .

هذا والمفـهوم الإسـلامى للتنمية يمـكن التعرف عليـه من تدبر بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[3] .

حيث نلاحظ فى هذه الآية الكريمة ما يلى:

أ ـ تذليل الأرض لنا، أى تهـيئتـها وتسخـيرها وجـعلها صالحـة للاستـخدام والاستفادة .

ب ـ الأمر بالمشى فى مناكـبها، وليس المقصود بالمشى مـجرد الظاهر وإنما

---

(١) نفس التقرير السابق ص ١٤

(٢) التنمية والبيئة للدكتور شوقى أحمد دنيا مرجع سابق ص ٥٣

(٣) سورة الملك : ١٥

ممارسة النشاط الاقتصادى الإنتاجى، وإلا فمجرد المشى بمفهومه المباشر قد لا يغنى شيئًا فى تمكين الإنسان من الأكل .

ج ـ طلب الأكل، والمقصود هنا مطلق الانتفاع والاستفادة[1] ومن تدبر تلك الآية يتضح لنا أنه لتحقيق الحياة فى الدنيا والتمتع بطيبها لابد من توفر شرطين هما: بيئة صالحة مهيأة، ثم إحداث تنمية لتلك البيئة، فلا حياة بغير بيئة، ولا حياة بدون تنمية، كما أنه لا تنمية بغير بيئة، فإذا ما جاء الإنسان وقام بأعمال إنمائية ترتب عليها إفساد البيئة فإن استمرارية قيامه بالتنمية محكوم عليها بالعدم والفشل لفقدان ركن من أركانها كما أن مقصود الشريعة الإسلامية هو المحافظة على مقومات الإنسان الخمس (الدين والنفس والعقل والنسل والمال)[2] وذلك من خلال تنمية رشيدة تحسب حساب البيئة وتقومها بقيمتها الحقيقية وليس بثمن بخس مثل ما تم فى التجربة الغربية للتنمية، ويلاحظ أن مفهوم المال هنا (ضمن مقومات الإنسان الخمس) يشمل كل ما على الأرض مما يحتاجه الإنسان ، والمحافظة عليه تتطلب من جهة عدم تركه معطلاً، ومن جهة أخرى حسن استخدامه، فهل المجتمع المتخلف يحافظ على أمواله وثرواته ؟ وهل المجتمع المتقدم الذى لم يراع البيئة فى تقدمه قد حافظ هو الآخر على أمواله وثرواته؟ كما أن التنمية فى الإسلام تستهدف من الناحية الاقتصادية إشباع الحاجات الحقيقية للإنسان بغير إسراف وتخمة، وهى من هذا الوجه لا تتعارض على الإطلاق مع حماية البيئة والمحافظة عليها.

هذا وينتج عن العوامل السابقة للاعتداء على البيئة وإفساد الأرض الكثير من الآثار الضارة الخطيرة بالبيئة .

(١) الإسلام والتنمية الاقتصادية ، للدكتور شوقى دنيا، دار الفكر العربى، القاهرة ٩٣

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالى، دار المعرفة ، بيروت ، ج ٣ ، ص : ٢٧٧ .

٣ـ من آثار الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة.

يعتبر الأثر المباشر للعدوان على البيئة هو تدهور عناصرها ومكوناتها وفسادها بدرجة أو بأخرى حسب جسامة الاعتداء وامتداده، ومعنى تدهور البيئة هو عدم قدرتها على مد الإنسان بما يحتاجه وما لا يستغنى عنه لا فى حياته ولا فى رفاهيته، ولذا ففساد البيئة هو بالضرورة فساد للإنسان نفسه؛ الذى يعود عليه بالضرر فى النهاية، وقد أشار إلى ذلك فى ختام آية ظهور الفساد فى الأرض بقوله تعالى : ﴿**لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[1] فالأثر السلبى يستقر فى النهاية على الإنسان[2] .

كما يمكن اعتبار صور ومظاهر الإفساد فى الأرض (السابق الحديث عنها) هى نفسها بمنظور آخر آثار ومترتبات، فالتلوث صورة من صور الإفساد وهو فى نفس الوقت أثر من آثار هذا السلوك المنحرف، وكذلك التدمير والاستنزاف والتعطيل .

وعمومًا فإنه يمكن استعراض بعض آثار الإفساد فى الأرض والاعتداء على البيئة فى جانبين هما آثار غير اقتصادية وأخرى آثار اقتصادية .

حيث إن : ـ

أ ـ الآثار غير الاقتصادية لإفساد الأرض والاعتداء على البيئة

وهى الآثار التى تصيب الإنسان نفسه وصحته نتيجة لتلوث وتدهور البيئة، وقد نبهت إلى ذلك اللجنة العالمية للبيئة والتنمية[3] فى تقريرها بأن الإجهاد البيئى هو سبب ونتيجة فى نفس الوقت للتوتر والنزاعات السياسية ، وغالبًا ما تتم

(١) سورة الروم : ٤١

(٢) نظم الدرر، للبقاعى، مرجع سابق ، ج ١٥، ص ١٠٤

(٣) اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم ١٤٢ ، ١٩٨٩ ص ٢٧

الصراعات الدولية التى تصل إلى حد القتال والحروب لفرض أو مقاومة السيطرة على الموارد الأولية وإمدادات الطاقة وأحواض الأنهار والممرات البحرية، كما أنه سوف تتزايد وتتفاقم هذه الصراعات كلما ازداد شح الموارد وتدهورت البيئة، بالإضافة إلى نشوب العديد من الصراعات الداخلية (بسبب تدهور البيئة وانغلاق خيارات التنمية) وحدوث هجرات جماعية ولجوء الملايين من البشر (بسبب الجفاف وتدهور البيئة وتعرية التربة)، وعمومًا فإن هناك آثار بيئية تهدد بتغير كوكب الأرض تغييرا جذريا وتهدد بالخطر حياة العديد من أنواع الكائنات الحية التى تقطنه ومنها الجنس البشرى » وعلى سبيل المثال فإن طبقة الأوزون التى تحمى كوكب الأرض من أضرار الأشعة فوق البنفسجية الضارة بالحياة على كوكب الأرض (والتى حدث بها ثقب نتيجة لأسباب كثيرة خاصة بنشاط الإنسان منها التفجيرات النووية وإطلاق الصواريخ إلى الفضاء والطيران النفاث والمرذوذات الضارة مثل البخاخات والأيروسولات وغيرها) ينتج عن تدمير تلك الطبقة من الأوزون الكثير من الأضرار والآثار منها (١).

١ ـ انتشار سرطان الجلد للإنسان.

حيث تُقدِّر الجمعية الأمريكية لمرضى السرطان زيادة انتشارحالات سرطان الجلد فى السنوات الأخيرة وقد تصل إلى نحو ٦٠٠,٠٠٠ حالة جديدة على الأقل من المصابين بسرطان الجلد تشخص بعد انقضاء كل صيف فى الولايات المتحدة، وذلك نتيجة لتدفق المصطافين على الشواطئ لتعرُّض أجسادهم لأشعة الشمس المباشرة ، وأن على الأقل ٢٧,٦٠٠ حالة من هذه الإصابات تكون سرطانًا إيجابيًا والمعروف طبيا باسم «ميلانوما Melanoma» وأن نسبة ٧٪ من هذه الإصابات الإيجابية تكون مميتة. ولم تكن هذه النسبة من الإصابات الجلدية بهذا

(١) الإنسان وتلوث البيئة ، للمؤلف ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦ .

القدر الكبير فى السنوات الماضية. بل ازدادت أعدادها فى السنوات الأخيرة .

وهذا يعد برهانًا واضحًا على صحة تفسير أن نفاذ قدر أكبر من الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض لنضوب الأوزون فى الغلاف الجوى هو العامل المسبب لهذا المرض. ويعزو الأطباء الأمريكيون هذا التزايد فى انتشار المرض إلى إقبال كثير من الناس بعد الحرب العالمية الثانية على التمتع بالإجازات الصيفية على الشواطئ، مع حرصهم على التعرض لأشعة الشمس ليكسبوا بشرتهم اللون البرونزى، وأن الإصابة (بالميلانوما) ربما تحدث تراكميًا.. بمعنى اختزان الجسم للمؤثرات سنة بعد أخرى، حتى تصبح الإصابة السرطانية إيجابية[1] وبصفة عامة فإن الإصابة بسرطان الجلد يتعرض لها سكان المناطق الشمالية ذوو البشرة البيضاء وخاصة ذوى البشرة الحمراء كالأوروبيين ذوى الشعور الصفراء والذين تتأثر بشرتهم بالتعرض مددًا قصيرة للشمس، أما سكان خطوط العرض المتوسطة وذوى الشعور السوداء والداكنة كالقوقازيين والأسيويين، وسكان حوض البحر المتوسط فهم أقل عرضة للإصابة بهذا النوع من السرطان، أما ذوى البشرة السوداء (مثل سكان جنوب إفريقيا وجنوب أمريكا) فنادراً ما تظهر بينهم هذه الإصابات .

وهذا التباين بين نسبة إصابات ذوى البشرة البيضاء والسوداء بسرطان الجلد هو خير دليل على أن الأشعة فوق البنفسجية هى العامل المؤثر، حيث إن خطوط العرض القريبة من خط الاستواء تتعرض لأشعة الشمس متعامدة على سطح الأرض. أما فى مناطق خطوط العرض المتوسطة فإن أشعة الشمس تصل إلى سطح الأرض مائلة عليه بزاوية، ويزداد ميل هذه الزاوية كلما زاد خط العرض شمالاً، وهذا الميل يعنى التعرض لقدر أكبر من الأشعة فوق البنفسجية. والسبب

(١) ثقب فى الأوزون ، للمهندس سعد شعبان ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف، العدد رقم ٥٩٦، ١٩٩٢ ص٨٥

فى ذلك أن هذه الأشعة فى طريقها إلى الأرض تسلك ـ نتيجة لميلها من الغلاف الجوى ـ طريقا أطول مما يجعل غاز الأوزون يتعرض لقدر أكبر من التلف، وبالتالى يسمح بنفاذ قدر كبير منها إلى الأرض .

ولذلك يجب عدم التعرض الزائد لأشعة الشمس على الشواطئ مع ارتداء الفانلات والملابس التى تغطى بعض أجزاء الجسم ولقد دلت بعض الإحصائيات العلمية على أن النقص فى طبقة الأوزون لو بلغ١٪ فإن الأشعة فوق البنفسيجة التى تصل إلى الأرض تزداد بنسبة تعادل ٢٪، وبالتالى فإن معدل الإصابات بسرطان الجلد يزداد بمعدل ٤٪ وهناك إحصائيات أمريكية تقول بأن نقصا قدره ٣٪ فى طبقة الأوزون يعنى: حدوث ثمانية عشر ألفا من الإصابة بسرطان الجلد كل سنة .

٢ ـ التأثير الوراثى (حدوث تلف فى الحمض النووى .D. N. A):

حيث إن تعريض جلد الإنسان لقدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية يمكن أن يحدث تلفا بخلايا الجلد Epidermal أى: تحت البشرة الخارجية للجلد مباشرة بسبب تلف الحمض النووى .D.N.A المركز فى نوايات هذه الخلايا، وينجم عن ذلك انقسام هذه الخلايا دون تحكم وحدوث الأورام. وهذا الانقسام قد يحدث نتيجة للتعرض المتكرر لجرعات من الأشعة السينية أو الحروق أو نتيجة لامتصاص الجلد المتكرر لجرعات من الكيماويات مثل بعض (الكريمات) بالإضافة إلى تعرض الجلد للأشعة فوق البنفسجية بقدر كبير .

وبعد أن يدوم هذا التعرض لسنوات طويلة يبدأ ظهور الأعراض على هيئة بثور سرطانية تسمى (كيراتوسيز Keratoses) أى: بثور ويغلب حدوث هذا فى الأشخاص ذوى السن المتقدم أو المتوسط وعادة ما يكون ظهور هذه البثور فوق الأماكن التى لا تغطيها الملابس أغلب الوقت ولأن حمض D.N.A هو المسئول

عن نقل الصفات الوراثية فإن إصابته تكون نتيجة للإسراف فى التعرض للأشعة فوق البنفسجية حينما ينتقل من جيل إلى جيل وراثيًا .

٣ ـ حدوث المياه البيضاء (الكتاركت) فى العيون:

حيث إن تسرب قدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض بسبب نقص طبقة الأوزون يؤدى إلى حدوث عتامة العيون المعروفة باسم المياه البيضاء أو الكتاركت

٤ ـ حدوث أمراض متعددة بالجهاز التنفسى والأزمات الصدرية والنزلات الشعبية:

٥ ـ حدوث أمراض أخرى:

وذلك مثل:

أ ـ الشيخوخة المبكرة وتسمم الدم والإرهاق العصبى .

ب ـ العمى الجليدى Snow Blindness

ج ـ شيخوخة الجلد وأمراض جلدية أخرى.

د ـ ضعف الجهاز المناعى فى الجسم لمقاومة انتشار الأورام السرطانية.

هـ ـ أمراض القلب والسرطان .

٦ ـ نقص إنتاجية المحاصيل الزراعية :

يقول علماء النباتات: إن لدى كل النباتات أنسجة وقائية تجعلها تتأقلم مع كافة المؤثرات الخارجية، لذلك يتباين تأثير الأشعة فوق البنفسجية على النباتات المختلفة مع تساوى جرعات الأشعة فوق البنفسجية المعرضة لها .. فمثلاً نبات فول الصويا يقل إنتاجه بنسبة ٢٥٪ عند تأثره بجرعة من الجزء (ب) من الأشعة فوق البنفسجية السابق الحديث عنها، كما درست تأثير جرعات مختلفة من هذه الأشعة على ٢٠٠ نوع من النباتات .

ولقد ظهر أن القطن والكرنب وبعض البقول حساسة نحو جرعات هذه الأشعة، واتضح أن نموها يقل وتوقف الإنبات بإرادتها، كما اتضح أيضًا توقف عمليات بناء الأنسجة فى ثلثى النباتات محل التجربة، وهذا يعنى أن تسرب الأشعة فوق البنفسجية سيضر بكثير من المحاصيل. أى: سيقلل من غلتها وإنتاجها وسيلحق الضرر بكثير من الأشجار أيضًا .

ولقد وضح هذا التأثير فعلاً اليوم فى كثير من الدول التى تكسو الغابات رقعة كبيرة منها؛ إذ ثبت أن نسبة كبيرة من أشجار هذه الغابات قد ألم بها المرض وأصبحت أعضائها مريضة بآفات لم تكن معروفة من قبل، ودب الجفاف إلى أعضاؤها أو دب النخر فى سيقانها وتهاوى كثير منها ساقطا إلى الأرض بعد أن ذبلت أعضاؤه وجفت أوراقه، ولقد أظهرت إحصائية فى ألمانيا الغربية عام ١٩٩٠ أن نسبة ٤٥ ـ ٥٠٪ على الأقل من أشجار الغابة السوداء ألمت بها الآفات، ويرجع العلماء ذلك إلى تزايد ثانى أكسيد الكربون مختلطًا بعناصر أخرى فى الجو نتيجة للإسراف الشديد فى حرق الوقود فى السيارات التى تخترق الطرق عبر هذه الغابة بالإضافة إلى تزايد الأشعة فوق البنفسجية الناتجة من ثقب الأوزون.

٧ ـ إصابة الثروة الحيوانية بالأمراض:

حيث يمتد التلوث إلى الأعشاب والزراعات التى تتغذى عليها الحيوانات، وهذا يعنى أن الضرر سيلحق أيضًا بالثروة الحيوانية. لذلك تبدو الصورة قاتمة؛ لأن ثقب الأوزون لن يكون أثره نقص إنتاج المحاصيل والإسهام فى نشر المجاعات فقط؛ بل أيضا التأثير على الثروة الحيوانية بنقص مصدر غذائها ، كما ثبت أن تأثيره على قطعان الماشية الأليفة يصيب بعضها ـ مثل الإنسان ـ بمرض فى عيونها هو التهاب الملتحمة المعروف باسم (العين الحمراء Pink Eye) .

٨- تأثير الأشعة فوق البنفسجية على الثروة السمكية:

فلقد وجد أن تدفق كبير من الأشعة فوق البنفسجية يقلل من الطحالب والنباتات ذات الخلية الواحدة المعروف بأسماء (البلانكتون) (والبروتوزو Protozoa) والتى تتغذى عليها الأسماك، كما يتسبب أيضا فى هلاك يرقات الأسماك التى تعيش قريبًا من سطح ماء المحيطات والأنهار .

٩- تغير المناخ على كوكب الأرض:

إن زيادة الأوزون فى طبقات التروبوسفير نتيجة لعامل التلوث ونقصه فى طبقة الاستراتوسفير نتيجة الزيادة فى الأشعة فوق البنفسجية تحدث بلاشك خللاً فى التوازن فى الغلاف الجوى، وتجعل هناك تغيرًا فى متوسطات درجات الحرارة فى طبقات الغلاف الجوى.

وهذا بدوره له تأثير على دورة الفصول وما يصاحب كل فصل من مناخ، تعودت عليه البشرية عبر عصور التاريخ السابقة عندما كان هذا التوازن مستقرًا ومتجددا بنفس القدر كل عام ، وهذا ما يجعلنا نشعر اليوم بحلول صيف مبكر أو خريف متأخر، أو شتاء يسود فيه برد قارس أكثر مما تعَوَّد عليه الناس. أو حلول ظواهر جوية (خاصة) فى غير موعدها مثل موعد حلول (الخماسين) فى مصر مبكرة، وكذلك (التوز) فى الكويت والسعودية، أو (الهبوب) فى السودان.

ويرتبط تغير المناخ بنقص الأوزون وكذلك بتزايد ثانى أكسيد الكربون فى الجو. ولقد قدر العلماء ما تحرقه الكرة الأرضية من عنصر الكربون عام ١٩٨٨م بما يقرب من ٦٦ , ٥ بليون طن، أى: أكثر من طن لكل كائن بشرى علمًا بأن كل

طن كربون ينتج ٣,٧ طن ثانى أكسيد الكربون، أي: أن ما ينتج سنويًا فى الكرة الأرضية ٢٤ بليون طن ثانى أكسيد الكربون[١] .

ولقد أجمع علماء البيئة على أن درجة حرارة الكرة الأرضية آخذة فى الارتفاع وستزداد بدرجة تنذر بالخطر، حيث إنه سوف ترتفع درجة حرارة الأرض فى كل مكان من ٣ ـ ٥ درجات مئوية من الآن وحتى عام ٢٠٥٠ ميلادية، ولقد أوضحت الدراسات أن الدول الصناعية مسئولة عن ٤٦٪ من المشكلة بينما روسيا (الاتحاد السوفيتى سابقًا) وأوروبا الشرقية مسئولتان عن ١٩٪ من المشكلة.

أما الدول النامية (وهى تمثل ٨٠٪ من سكان العالم) فهى مسئولة عن ٣٥٪ من المشكلة، ولقد كان المحتوى لغاز ثانى أكسيد الكربون منذ فجر التاريخ وحتى بداية هذا القرن يصل إلى ٢٧٠ جزءًا فى المليون، فى حين كان فى العصور الجيولوجية الأولى حوالى ٢٠٠ جزء فى المليون .. أما فى القرن العشرين فقد ارتفع إلى ٣٥٠ جزءًا فى المليون. كما أوضحت الدراسات أيضًا أن درجة تركيز ثانى أكسيد الكربون قد زادت منذ عام ١٩٥٨م حتى الآن ١١٪ ، ولقد قدر العلماء ما تحويه المحيطات من ثانى أكسيد الكربون بما يوازى ٣٩ تريليون طن.. أي: ما يزيد على ٥٠ مثل ما يوجد فى الجو، ويؤدى ارتفاع نسبة ثانى أكسيد الكربون إلى رفع درجة حرارة الكرة الأرضية. مما يؤثر بدرجة كبيرة على الزراعة العالمية الحساسة لتغير المناخ. فالمناطق الرئيسية لزراعة الحبوب بأمريكا الشمالية ووسط الصين ستصبح أدفأ وأشد جفافًا لقلة الأمطار فى تلك المناطق مما يعرض أرواح الملايين فى العالم للخطر، ويقدر العلماء ضحايا نقص الغذاء الناتج من تغير المناخ الزراعى ما بين ٥٠ ـ ٤٠٠ مليون شخص نتيجة للنقص فى

(١) الإنسان وتلوث البيئة ، للمؤلف ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

إنتاج الحبوب (مثل الأذرة والقمح والأرز وفول الصويا) بنحو ١٧٪ فى المتوسط والزيادة فى احتياجات الماء من ٩ ـ ١٢٪ وذلك فى حالة ارتفاع درجة الحرارة درجتين وهو المتوقع حدوثه بعد ٥٠ سنة ، كما سيؤثر تغير المناخ على التنوع البيولوجى وهجرة كثير من الكائنات القادرة على الهجرة من أماكن وجودها إلى أماكن أخرى، وقد يؤدى عدم قدرة الكائنات على الهجرة إلى فنائها.

كما تشير التنبؤات أيضًا إلى أن منسوب سقوط الأمطار مع عدد ساعات شروق الشمس سوف يتغير ربما بالزيادة فى بعض المناطق، والنقصان فى مناطق أخرى .

ولقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن ارتفاع درجة الحرارة والدفء على الكرة الأرضية يرجع إلى عدة أسباب هى :

١ ـ تصاعد خمسة غازات مسئولة عن معظم الحرارة المتصاعدة من الأرض وأثرت على المناخ العالمى، حيث تزيد درجة الحرارة العالمية بزيادة معدلات النمو السكانى، وهذه الغازات هى :

أ ـ انتشار أوزون المستويات المنخفضة، وهو الذى يتولد من عوادم السيارات والمسئول عن ٨٪ من الدفء العالمى .

ب ـ مركبات الكربون (الكلوروفلوركربون) والتى تسبب ٢٠٪ من الدفء العالمى، وهى المواد المستخدمة فى أجهزة التبريد وتكييف الهواء وأية أجهزة مصدرها البخاخات .

ج ـ أكاسيد النيتروز التى تنبعث من انحلال الأسمدة الأزوتية، ومن مخلفات الغابات وإزالتها .

د ـ غاز الميثان : Methane

غاز الميثان يشكل الجزء الأكبر من الغازات التى تتصاعد من آبار البترول، فهو يتسرب إلى الجو من حقول النفط وحقول الغاز الطبيعى، ومن عمليات استخراج الفحم أو تصنيعه، كما أن نوعيات كثيرة من البكتريا تقوم بتوليده عند تفاعلها مع بعض المواد العضوية كالأسمدة ، أو عندما تغمر بعض المزروعات تحت المياه مثلما يحدث فى حقول الأرز ومفرخ الدواجن أو بعض مناطق التقطير، كما يتصاعد غاز الميثان من الأسمدة العضوية التى يحرص الفلاحون على اقتنائها فى كثير من دول العالم وبعض الدول الأوروبية ويطلقون عليها اسم (الكومبوست) وفى ريف مصر يسمى (السماد البلدى) باعتباره مصدراً هاماً لتسميد المزروعات وإكساب التربة قدراً كبيراً من الخصوبة خصوصاً فى الأراضى المستصلحة حديثًا، وفى استراليا يطلق على أكوام هذا السماد العضوى اسم (ترميت Termite)، والكوم الواحد منه يستطيع أن يطلق ٥ لترات من غاز الميثان فى الدقيقة الواحدة .

ولقد أجريت دراسات فى جامعة كاليفورنيا، وأثبتت أن غاز الميثان قد تضاعف فى الغلاف الجوى خلال القرنين الماضيين، وأجرى وفد من العلماء الروس والأمريكيين دراسات على الثلوج المستخرجة من القارة القطبية الجنوبية وثبت لهم أن نسبة غاز الميثان قد تضاعفت فى الجو خلال المائة والستين عامًا الماضية . وما زالت الأسباب مجهولة حتى الآن عن؛ لماذا يحتفظ الغلاف الجوى بكميات ضخمة من غاز الميثان تجعل إحداثه لتأثير ما يسمى بظاهرة (البيت الزجاجى) أكثر قدرة ٢٥ مرة من غاز ثانى أكسيد الكربون ولا زالت الأبحاث مستمرة حول ذلك .

هـ ـ غاز ثانى أكسيد الكربون . والمسئول عن ٥٠٪ من الدفء العالمى وقد سبق الحديث عنه .

٢ـ ظاهرة البيوت الزجاجية (الدفيئة) Green House Effect:

أطلق العلماء لفظًا مجازيًا على هذه الظاهرة هو اسم (التأثير الصوبى أو ظاهرة البيوت الزجاجية أو الدفيئة، ومرجع هذه التسمية إلى أن الحرارة المكتسبة بواسطة الأرض من الشمس طوال النهار تشع إلى الجو فى فترة الليل مرة أخرى منعكسة إلى أعلى، ولكن لزيادة نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو أدى إلى وجود غلالة ثانى أكسيد الكربون المتزايدة فى طبقة التروبوسفير تعمل كمظلة تقوم بعكسها ثانية إلى الأرض؛ إذ إنها لا تستطيع النفاذ إلى الطبقات العليا للجو (حيث يتحد ثانى أكسيد الكربون وغازات أخرى مثل الميثان مع بخار الماء لحبس الحرارة داخل جو الأرض) .

وهذا يشبه تمامًا ما يحدث فى (الصوبة الزراعية البلاستيكية) أو (البيوت الزجاجية) التى تستخدم للاحتفاظ بالحرارة اللازمة لنمو بعض أنواع النباتات، ويشير علماء أمريكا إلى أن أثر البيت الزجاجى على الغلاف الجوى ظهر فى أمريكا بشكل واضح ، حيث كشفت حالة الجو فى الجنوب الشرقى من الولايات المتحدة بهطول الأمطار أثناء الصيف عام ١٩٩٠م ، ويتوقع العلماء ازدياد تأثير البيوت الزجاجية خلال السنوات الثلاثين القادمة على الأقل وارتفاع درجة حرارة جو الأرض أكثر بمقدار قد يصل إلى أربع درجات مئوية، الأمر الذى يمكن أن تكون له نتائج خطيرة، والغازات التى تساهم فى ارتفاع درجة حرارة الأرض فى ظاهرة البيوت الزجاجية نسبتها كما يلى:

٤٩٪ غاز ثانى أكسيد الكربون ، ١٨٪ غاز الميثان، ٦٪ غاز أكسيد النيتروز، ١٣٪ مصادر أخرى ، ١٤٪ الكلوروفلوروكربون .. أما مصادر هذه الغازات فتساهم فيها الطاقة بنسبة ٥٦٪ ، والزراعة بنسبة ٢١٪ ، والثلاجات بنسبة ١٥٪ ، والصناعة بنسبة ٦٪ ، والمواد الطبيعية بنسبة ٢٪ .

ولذا فالسبب الواضح لوجود غاز ثانى أكسيد الكربون هو الطاقة (٥٦٪) أى: تزايد حرق الوقود المستخدم فى المصانع والسيارات بالإضافة إلى حرق الغابات عن عمد فى بعض الدول مثلما يحدث فى منطقة غابات الأمازون فى البرازيل، وذلك لإقامة المساكن للسكان، وهو أمر شائع فى كثير من غابات إفريقيا وأندونيسيا والفلبين أيضًا. والضرر الذى يلحق بالبيئة من جراء هذه الحرائق ليس مقصورًا على قذف آلاف الأطنان من غاز ثانى أكسيد الكربون إلى الجو، بل يمتد أيضًا إلى كون هذه الغازات عالية الحرارة، وبالتالى فهى ترفع درجة الحرارة فى الغلاف الجوى بقدر ليس ضئيلاً، وفضلاً عن ذلك فإنها تقلص (الغطاء الأخضر) للأرض الذى هو ينبوع الرحمة للبشر، والذى يعطيها إكسير الحياة وهو غاز الأكسجين .

ومن الجدير بالذكر أن إحدى الدراسات للدكتور (روبرت بولنج) رئيس قسم الفلك فى جامعة أريزونا ذكر فيها أن كارثة الحرارة المقبلة قد تكون بعيدة الاحتمال ، وقال: إننا مقبلون على فترة قليلة الحرارة وكثيرة الأمطار وشديدة البرودة، أى: أن العلماء اتفقوا جميعًا على أن الفترة القادمة سوف تشهد تغيرا فى مناخ الكرة الأرضية وفى الحياة على وجه الأرض، وأكد معظمهم أننا مقبلون على عصر ترتفع فيه الحرارة بينما البعض منهم ذكر أننا مقبلون على عصر بارد مثلما حدث فى الفترة ما بين ١٥٠٠ و ١٨٥٠ ميلادية. ولا زالت الأبحاث مستمرة حول هذا الموضوع لتعطى لنا دلالات واضحة ومؤكدة حول ذلك .

وعمومًا درجة الحرارة للجو تشير كلها إلى عواقب وخيمة وهى صورة قاتمة لمستقبل لا يسر.

وبعض هذه الاحتمالات هى :

١ ـ ارتفاع منسوب مياه البحار والمحيطات لزيادة حجمها وأثره على

الشواطئ ، فهناك نماذج رياضية «تشير إلى أن هذا الارتفاع يمكن أن يبلغ ٣٠ سنتيمترًا خلال الأربعين السنة القادمة، ولا يمكن تجاهل أن يكون أحد أسباب هذا الارتفاع هو ذوبان ثلوج جبال الجليد فى المنطقتين القطبيتين وانسياب مياهها إلى المحيطات، وعواقب مثل هذا الارتفاع يمكن تصور خطورتها البالغة على كثير من المناطق التى يقل مستواها عن مستوى سطح البحر مثل دولة هولندا التى تنفق ملايين الجنيهات كل سنة لمنع البحر من الطغيان على أراضيها وسواحلها. ومثل دولة بنجلاديش وجزر المالديف وولاية كاليفورنيا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومثل دلتا نهر النيل، حيث إن الثابت حاليًا أن مستوى مياه البحر يرتفع ملليمترًا واحدًا كل عام، أى: أنه يرتفع ١٠ سنتيمترات كل قرن، ولاشك أن الارتفاع المضطرد فى درجة الحرارة سيزيد عن هذا المعدل .

وهذا ما نشاهد آثاره فى مصر حالياً، فالنحر قد أكل شواطئ مصيف رشيد خلال الأعوام الأخيرة وهذا يحدث أيضًا فى مناطق رأس البر والبرلس وإدكو، بل وفى الإسكندرية بلغ النحر مداه عندما ابتعدت منارة الإسكندرية إحدى عجائب الدنيا السبع بمسافة ٢ كيلو متر من الشاطئ، كما أنه سوف يلتهم البحر نحو ٢٠٪ من مساحة الدلتا بمصر، والمشكلة فى التهام الأرض وفى ملوحة الأرض الخصبة التى سيتدهور إنتاجها من المحاصيل، وأن تزايد هذا النحر يعنى تهجير آلاف السكان وخسارة آلاف الأفدنة، وضياع ملايين الجنيهات فى الإنشاءات القديمة والزراعات القائمة، وضرورة إنفاق ملايين أخرى فى إقامة الحواجز والسدود .

ولقد أحصى بعض العلماء المناطق التى يمكن أن تتأثر بهذا الارتفاع فى مستوى المياه فوجد أنه ٧٠٠ مدينة ساحلية على وجه التقريب. ولقد قدرت الولايات المتحدة الأمريكية أن إنقاذ شواطئها يستلزم إنفاق ٣٠٠ مليار دولار على الأقل .

٢ ـ تغير المناخ على وجه الأرض : وقد سبق الحديث عنه ولقد سبق للبشرية أن شهدت تغيرات مناخية سابقة، في حقب مختلفة حدثت بسببها تغيرات مختلفة في معالم الحضارة ، وكان السبب الأساسي في هذه التغيرات هو اختلاف درجة الحرارة ، فقد غطَّى الجليد كل أوروبا في العصور الجليدية ثم تراجع عنها وكانت مناطق شمال إفريقيا ذات أمطار غزيرة، ثم تحولت إلى صحراء.

وهذه التحولات التي شهدتها الحياة نتجت عن تغييرات في درجات الحرارة كانت تقل عن أربع درجات، فما بالنا والمتوقع أن يزيد الارتفاع في درجة حرارة جو الأرض نتيجة تزايد النشاطات التي تلوث الغلاف الجوي على ٤ درجات مئوية في القرن القادم ؟! والذي لا شك فيه أن ارتفاع درجة الحرارة سيتبعه ازدياد البخر من مياه البحار والمحيطات، وهذا بدوره سيؤدي إلى زيادة الأمطار في بعض المناطق وقلتها في مناطق أخرى، ومعنى ذلك أن حزام المطر الموجود حاليا سيتحرك وتصبح بعض المناطق الدائمة الخضرة شبه قاحلة أو قاحلة .

وعلى الجانب الآخر ستتلقى مناطق أخرى مجدبة قدرا من الأمطار وتخضر بالتالي، أي: بمعنى آخر أن التوزيع الجغرافي للمحاصيل سيصيبه تغيير كبير وعن أثر تغيرات المناخ على نهر النيل فسوف تكون بالسالب مع نقص قدره ما بين ٢٠ ـ ٢٥٪ في الموارد المائية، ويتنبأ العلماء بأنه إذا لم تتخذ إجراءات فعالة فإن الصحراء الإفريقية الكبرى سوف تمتد لتشمل أجزاء واسعة من إفريقيا، وأن الدول التي تعتمد في غذائها على الأمطار الكثيفة لإنتاج المحاصيل سوف تعاني من الجفاف، وستزداد مشكلة التصحر. (أي زحف رمال الصحراء لتأكل بعض الأراضي المنزرعة والقرى والمدن المتاخمة للصحراوات). أي: أنه يتوقع مزيد من المجاعات ستقبل عليها البشرية.. وعلى سبيل المثال فقد تم عمل (نموذج رياضي) على الحاسب الإلكتروني لظروف دولة إفريقية (هي أوغندا) التي تعيش

على البن فتبين أنه لو زادت درجة الحرارة بمعدل درجتين فإن ذلك سيؤدى إلى القضاء على البن الأوغندى كلية، وتغير المناخ يعنى: تغير طول فترة الشتاء وطول فترة الصيف وهذا بدوره يعنى: تغير إنتاج المحاصيل .

٣ ـ أما عن الصحة فقد ذكرت الأبحاث أن هناك ضغوطًا بسبب الحرارة وارتفاعًا ملحوظًا فى درجة الحرارة يؤدى إلى بعض الوفيات وإلى انتشار بعض الأمراض والتى سبقت الإشارة إليها .

ب ـ الآثار الاقتصادية لإفساد الأرض والاعتداء على البيئة:

تزداد الآثار الاقتصادية لإفساد الأرض بزيادة دور العامل الاقتصادى فى الاعتداء على البيئة، وتظهر الآثار فى جوانب متعددة سواء من حيث ما يحدثه من ندرة فى الموارد، أو من تحول للوفرة فى بعضها إلى ندرة، أو من سلع حرة إلى سلع اقتصادية، أو من تزايد فى نفقات الإنتاج، أو من تدنى فى مستويات الجودة، أو فى إمكانية استمرارية النمو الاقتصادى أو إنجازه، أو فى اختلال حجم وهيكل التجارة الدولية وتقسيم العمل الدولى، إلى غير ذلك من الجوانب الاقتصادية التى تتأثر بدرجة أو بأخرى بفساد البيئة، وعموماً من أهم تلك الآثار ما يلى [(١)]:

١ ـ تدمير الموارد المالية والبشرية: حيث تدهور البيئة معناه بوضوح شديد تدمير وإفناء العديد من تلك الموارد على اختلاف أنواعها وطبائعها (من مياه وتربة ومعادن وهواء ونبات وحيوان وإنسان وخلافه)، وندرة هذه الموارد تؤدى إلى توقف الإنتاج أو تقلل كثيرًا من حجمه، وترتفع تكلفته وأسعار مخرجاته، ومعنى ذلك تخفيض فى مستويات المعيشة ومزيد من الصعاب والعقبات فى طريق تنمية العالم النامى، ولذا فإن الحفاظ على البيئة شرط ضرورى لإمكانية قيام تنمية شاملة ومستمرة للنهوض بالمجتمع وتطويره .

---

(١) نحو نظام اقتصادى عالمى جديد، للدكتور / إسماعيل صبرى عبد الله، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ص٢٤٩ .

٢ - **اختلال فى هيكل الأموال:** فيوجد نوعين من الأموال فى الاقتصاد هما: أموال حرة (وهى لا يتطلب الحصول عليها دفع ثمن أو مقابل ومن أمثلتها الهواء والماء وأشعة الشمس وغيرها) وأموال اقتصادية (وهى التى يتطلب الحصول عليها دفع ثمن أو مقابل مثل السلع والخدمات وغيرها)، وتدهور البيئة يؤدى فى الغالب إلى تدهور هذه الأموال وتحولها من أموال حرة إلى أموال اقتصادية يبذل فى الحصول عليها أحيانا أغلى الأسعار وربما يتعذر الحصول عليها بأى ثمن ، فعلى سبيل المثال الهواءعنصر ضرورى لإنتاج أى سلعة سواء بالنسبة للقائمين على الإنتاج من البشر أو بالنسبة للمنتجات نفسها، ويؤدى تلوثه إلى إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض فيقل جهده وإنتاجه بالإضافة إلى إنتاج سلعة غير جيدة فى معظم الحالات، وهذا يعنى أن توفر الأموال الحرة (والتى هى عناصر كبرى فى النظام البيئى) شرط أساسى لتواجد واستمرارية السلع الاقتصادية .

٣ - تدنى مستويات جودة المنتجات: حيث عدم توفر الموارد الطبيعية (نتيجة لتلوثها أو استنزافها) يجعل الإنسان يلجأ إلى إحلال موارد اصطناعية محلية محلها (مثل الألياف الصناعية والمطاط الصناعى وغيرها) وتلك المنتجات الصناعية تكون منخفضة الجودة وقصيرة العمر وعدم كفاءتها الإشباعية بالإضافة إلى أنها قد تؤدى إلى بعض الأضرار للإنسان (مثل الحساسية لجلد الإنسان من الألياف الصناعية وغيرها) .

٤ - تصاعد تكلفة الإنتاج[١] : حيث إن الإسراف والتبذير فى استخدام الموارد يؤدى (إن عاجلا أو آجلا) إلى نقص كبير فى عرضها، ومعنى ذلك ارتفاع أسعارها ، كما أن تلوث تلك الموارد يؤدى إلى نفس النتيجة، وعمومًا فإن استنزاف البيئة وتلوثها وتدهورها يؤدى فى النهاية إلى مزيد من الارتفاع فى مستويات الأسعار وهو بذلك يمثل أحد مصادر التضخم .

(١) التنمية البيئية للدكتور شوقى أحمد دنيا مرجع سابق ص ٨٥

٥ ـ اختلال هيكل التجارة الدولية وتقسيم العمل الدولى: فلقد أخذت الدول الصناعية فى ممارسة ضغوطًا حيال الدول النامية من حيث التجارة الدولية وتقسيم العمل الدولى (وذلك تحت ضغط المشكلات البيئية) مما يعرقل كثيراً من إنجاز تلك الدول النامية للتنمية، ومثال ذلك توطيد الصناعات الملوثة للبيئة فى ربوع الدول النامية ومنع دخول منتجات الدول النامية بحجة عدم توافر الشروط الصحية المطلوبة وغير ذلك من الممارسات التى تعوق التنمية بدول العالم الثالث[1] إلى غير ذلك من الآثار الاقتصادية الأخرى لإفساد الأرض والاعتداء على البيئة .

خامسًا : طرق حماية البيئة فى الإسلام

١ ـ مفهوم حماية البيئة فى الفكر الوضعى المعاصر :

فى ظل الشعور المتزايد بجسامة المضار المترتبة على تدهور البيئة هب العديد من الجهات والمنظمات محليًا وإقليميًا ودوليًا للإسهام فى حماية البيئة وتقديم ما تراه من طرق ووسائل فعالة فى هذا الصدد، ولقد تنوعت المداخل والاجتهادات وذلك تبعًا لتنوع الاختصاصات من جهة، ولتنوع مظاهر التدهور البيئى من جهة أخرى، ولتعدد عوامله من جهة ثالثة، ولتغاير وتباين المشكلات البيئية بين كل من الدول النامية والدول المتقدمة ... بل بين الدول النامية وبعضها البعض من جهة رابعة، وعمومًا فإن تلك الاهتمامات والاتجاهات قد تركزت حول مجموعة من العناصر التى تشكل فيما بينها حزمة متكاملة من العلاج، ومن أهم الاتجاهات بهذا الخصوص لحماية البيئة :

---

(1) WRUBIN S.L AND GRAHAM T.R, ENVIRONMENT AND Trade LERSWES ALLAHELL OSMAN, AND CO. PULISHERS, 1982

١ ـ البعض يرى التركيز على مشكلة الانفجار السكانى فى الدول النامية وضرورة علاجها؛ لأنه لا جدوى من أى جهد يبذل لحماية البيئة فى ظل وجود تلك المشكلة .

٢ـ البعض الآخر يرى أن حماية البيئة يتركز على قاعدتين هما: علاج المشكلة السكانية (بوقف النمو السكانى) وعلاج مشكلة التنمية (بوقف النمو الاقتصادى)، وهذا غير ممكن تنفيذه بالإضافة إلى أن البيئة فى حاجة إلى تنمية تمدها بالمال والتكنولوجيا التى تعمل على حمايتها والمحافظة عليها (١).

٣ـ وهناك من يرى استخدام السياسة الاقتصادية بحيث يعمل على حماية البيئة من خلال ترشيد الإنفاق العام وترشيد الضرائب وكذا ترشيد الرسوم والأثمان العامة وترشيد نظم الملكية(٢) .

٤ـ كما أن الإصرار المتزايد على تطبيق مبدأ (من يفسد يدفع) أى: من يفسد البيئة يدفع تكاليف إصلاحها، وإن كان الصدى الدولى له ما زال متطامنا إلى حد بعيد، كما برهن على ذلك مؤتمر قمة الأرض حيث تملصت الدول الصناعية من مسئولياتها عن تدهور البيئة فى الدول النامية ومن ثم عن تحملها للتكاليف المطلوبة لعلاج هذه المشكلات البيئية (٣).

٥ـ كما أن هناك اتجاهًا للتوجه القوى نحو استخدام التكنولوجيا وإسهامها الفعال فى حماية البيئة من جهة ، وخدمة عمليات التنمية فى الوقت ذاته من جهة أخرى، وعلى سبيل المثال فيمكن ترشيد استهلاك الطاقة وفى نفس الوقت المحافظة على البيئة عن طريق القيام بما يلى : ـ

---

(١) التنمية والبيئة للدكتور شوقى أحمد دنيا مرجع سابق ص ٨٧

(٢) تقرير ١٩٩٢ مرجع سابق ص ١٦١

(٣) التنمية والبيئة نفس المرجع الأسبق ص ٨٩

أ ـ تعميم استخدام المصادر الطبيعية للطاقة مثل استخدام الطاقة الشمسية (حيث يسهل استخدامها فى البيئة المصرية والعربية عمومًا) وطاقة الماء أو طاقة الرياح .

ب ـ ترشيد استخدام الطاقة فى الريف المصرى مع تعميم استخدام البيوجاز فى عمليات التسخين وطهو الطعام والإنارة وخلافه (وذلك عن طريق جمع المخلفات الصلبة الزراعية الملوثة للبيئة مثل قش الأرز وتبن القمح وحطب الذرة وخلافه وبواسطة عمليات تخمير فى خزان ينتج غاز البيوجاز كما يستخدم ناتج عمليات التخمير السابقة كسماد عضوى لرفع خصوبة التربة الزراعية [١].

ج ـ التوسع فى استخدام وقود لوسائل النقل غير ملوث للبيئة مثل التوسع فى إنشاء محطات الغاز الطبيعى؛ لتموين وسائل النقل المختلفة وكذا التوسع فى استخدام بنزين خالى من الرصاص وغير ملوث للبيئة .

د ـ ترشيد استخدام السيارات وغيرها من وسائل النقل بحيث تكون أقل استهلاكًا للطاقة .

هـ ـ إعادة استخدام زيوت التشحيم .

و ـ استحداث أجهزة متطورة تكنولوجيًا للاستخدام المنزلى والفردى وفى المصانع تكون أقل استهلاكًا للطاقة إلى غير ذلك من الوسائل والطرق .

ويلاحظ على الاتجاهات السابقة لمفهوم حماية البيئة فى الفكر الوضعى المعاصر مايلى[٢]:

١ ـ لاشك أن هذه الاتجاهات لها أهمية فى التغلب على مشكلة تلوث البيئة

(١) الإنسان وتلوث البيئة للباحث مرجع سابق ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
(٢) التنمية والبيئة للدكتور شوقى أحمد دنيا مرجع سابق ص ٨٩ ـ ٩١ .

وحمايتها ومنع إفسادها أو تدهورها بصفة عامة .

٢ ـ عدم توفر خطة شاملة واضحة ونظرة متكاملة بين جميع دول العالم للمحافظة على البيئة ومنع تلوثها .

٣ ـ أن عنصر الإلزام (سواء على المستوى الدولى أو على المستوى المحلى) لم يأخذ حقه، وبدونه لا يتجاوز كل ما قيل أن يكون مجرد حبر على ورق .

٤ ـ أن الجهود المبذولة فى الوقت الحالى لحماية البيئة يبدو أنها تخيرت الطرق السهلة ونأت بأنفسها عن المسالك الوعرة (رغم أنها أكثر فعالية وكفاءة) ، حيث إنها قد ابتعدت تمامًا عن دراسة جذور وأسباب الاعتداءات على البيئة والتى تتمثل أولاً وقبل كل شيء فى المعتقدات والقيم والثقافات (حيث تحدد نظرة الإنسان الصحيحة للكون ولما فيه ولما هو عليه من سنن وقوانين، كما تحدد معايير السعادة والحياة الطيبة للإنسان)، وقد مرت عليه الجهود المبذولة مروراً عابراً ولم توليه عنايتها وذلك باعتراف علماء الغرب أنفسهم كما ذكرنا .

٥ ـ أن الموقف من التكنولوجيا على ما به من قوة غير أنه يفتقر على الأقل إلى عاملين لضمان قيامه بمهمته الإيجابية على أكمل وجه وهما :

أ ـ تواجد الإرادة السياسية القوية التى تحدد للتكنولوجيا أهدافها وما يطلب منها بوضوح .

ب ـ توافر التمويل الكافى لإنجاز التكنولوجيا (خصوصًا للدول النامية التى ليس فى إمكانها فى معظم الحالات القيام بذلك بدون دعم قوى وفعال من الدول المتقدمة). وحتى الآن لا يزال هناك عقبات تحول دون توافر هذين العاملين لاستخدام التكنولوجيا فى حماية البيئة ومنع إفسادها وتدهورها .

٦ ـ كما أن أخطر مشكلة تواجه حماية البيئة حماية حقيقية هى: الفقر

المتفشى واللامساواة الشديدة، وهذه المشكلة لم تنل حقها حتى الآن برغم التحذيرات القوية بأنه بدون علاج هذه المشكلة فلن تعالج المشكلات البيئية .

٧ ـ كما أن الجوانب الإدارية والتشريعية والتنظيمية (التى تسهم إيجابيًا فى تحقيق هذه المتطلبات السابقة) لم تحرز الجهود المذكورة حيالها نجاحًا كبيراً برغم التحسن الكبير الذى طرأ عليها مؤخرًا وبرغم ما أخذت تحتله من مكانة بين متطلبات العمل البيئى السليم .

٨ ـ كما أننا نجد كثيراً من التضارب بين تقرير اللجنة العالمية لحماية البيئة وما أسفر عنه مؤتمر قمة الأرض حيال مسألة توحيد أو فصل مسئولية حماية البيئة ومسئولية تدهورها، وهل من الأفضل ألاّ يكون المسئول عن حماية البيئة هو نفس الجهة المتجه لها أم العكس ؟ ثم ما هو الأسلوب الصحيح الفعال لمواجهة ملايين الاعتداءات البشرية على البيئة ؟ خاصة فى ربوع البلدان النامية (حيث العديد من الوحدات الإنتاجية والاستهلاكية الصغيرة تسهم بقوة فى العدوان على البيئة)، ثم كيف يمكن لحكومات دول العالم أن تواجه ذلك العدوان؟ إلى غير ذلك.

هذا هو باختصار مفهوم حماية البيئة فى الفكر الوضعى المعاصر ولننظر فى السطور التالية حول مفهوم حماية البيئة فى الإسلام لنقارن بينهما والتعرف على أيهما أقرب للواقع والصواب للبيئة الطبيعية لحمايتها ومنع تلوثها .

٢ ـ مفهوم حماية البيئة فى الإسلام:

إن المنظور الإسلامى حيال طرق وأساليب حماية البيئة لا يغاير على طول الخط المنظور الوضعى، بل هو فى الحقيقة يتفق معه فى الكثير مما ينادى به حاليا، لكنه يتفوق عليه؛ وذلك لتعامله مع عناصر جديدة تكسب الجهود مزيداً من

الكفاءة والفعالية وفيما يلى سوف نستعرض هذا المفهوم من خلال الحديث عن:-

أ - مبادئ وأسس المنهج الإسلامى فى استغلال مكونات البيئة .

ب - عناصر الحل الإسلامى وطرقه لحماية البيئة من التلوث ومنع إفسادها وتدهورها .

ج - أمثلة ونماذج من حماية البيئة فى الإسلام حيث إن :-

أ - مبادئ وأسس المنهج الإسلامى فى استغلال مكونات البيئة :

يقول تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**(١) .

ويقول تعالى : **﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**(٢) .

حيث إن أهمية التصوير الإسلامى للبيئة تكمن فى قدسية مصدره، وثبات المبادئ التى يرتكز عليها، فضلاً عن ارتباطها بعقيدة المسلم وتكوينه الوجدانى، فالممارسات البيئية الصحيحة (كإماطة الأذى والقذر عن الطريق ونحوه) تعتبر ضربا من ضروب التقرب إلى الله يستوجب فاعلها الثواب باعتبارها شعبة من شعب الإيمان بالله، فعن أبى هريرة (٣) عن النبى ﷺ قال «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان» وعن أبى ذر قال: قال النبى ﷺ : «عُرضت علىّ أعمال أمتى حسنها وسيئها، فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى

(١) سورة القصص : ٧٧

(٢) سورة غافر : ٤٠

(٣) متفق عليه

يماط عن الطريق، ووجدت فى مساوىء أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن » وعن عائشة[1] رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبرالله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمسى يومئذ وقد زحزح عن النار» وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين ».

وفى رواية للبخارى ومسلم «بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له، فغفر له » كما يشتمل هذا المنهج الإسلامى على أساس معنوى يزداد عمقًا فى وجدان المؤمن ينمو بعقيدته، معتمدًا على نظافة القلب والضمير والوجدان من سخائم الغل والحقد والحسد، فيحوط تصرفات البشر بسياج متين من مكارم الأخلاق ويعتصم من التردى فى حمأة الرذائل، وإلا أصبح الناس كمن يحرث فى البحر أو يطلب من الماء زبدًا .

وإن المنهج الإسلامى فى التعايش السلمى مع البيئة منهج شامل، فهو كل لا يتجزأ، ووحدة متماسكة لا تنفصم عراها، وهو طوق نجاة البشرية الوحيد.. ففى ظله يعمل الإنسان للدنيا والآخرة، وبسمو تعاليمه تنتظم علاقة العبد بربه وبإخوانه وبسائر المخلوقات، فالإنسان الذى سقى الكلب ورحمه، أدخله الله الجنة، بينما المرأة التى عذبت القطة أدخلها الله النار، حيث الإسلام ينمى حوافز الفرد ويدفعه للعمل النافع والإبداع، ففى تحسين العمل وتجويده تحصيل لمرضاة الله وحسن ثوابه، حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

---

(١) رواه مسلم

(٢) سورة التوبة · ١٢٠

ويقول الرسول ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» .

كما يضع الإسلام لكل تصرف ضوابطه وقيوده التى تحد من طغيانه وجموحه، ففى الحديث «نعم المال الصالح للعبد الصالح»، ففى نماء ثروة الأفراد ونقائها نماء لثروة الأمة ونفع لأبناء الوطن كافة، ولهذا فقد حرَّم الإسلام الإسراف والتبذير وجعل المبذرين إخوان الشياطين، كما حرم الترف الذى يقسم الشعوب إلى أقليات ناعمة مترهلة عاطلة وأكثرية مطحونة محرومة متطلعة .

وعمومًا فإن مبادئ المنهج الإسلامى فى استغلال مكونات البيئة تشتمل على النقاط التالية(١) : ـ

١ ـ البيئة للجميع: حيث إن موارد البيئة من أجل نعم الله على بنى البشر، وأن الله قد أعطانا جميعا حق الانتفاع بها، فلا يحق لطائفة الاستئثار بها دون غيرها.

٢ ـ الإنسان وصى على البيئة لا مالك لها: فالإنسان خليفة عن الله فى ملكه ووصى على البيئة وليس مالكا لها، وعليه أن يأخذ منها بقدر حاجته، مع أداء حق هذه النعمة وشكرها والمحافظة عليها، مع إعطاء حق الله فيها للمحتاجين، وشكر النعمة عنصر أساسى من عناصر استدامتها حيث يقول تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾(٢) .

كما أن كفران النعمة مدعاة لزوالها حيث يقول تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾(٣) .

---

(١) البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى للدكتور/ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ص١٤٦ ـ ١٤٩
(٢) سورة إبراهيم : ٧
(٣) سورة النحل : ١٢٢

٣ ـ أمانة الحفاظ على البيئة جزء من عقيدة المؤمن : فقد قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»(١) ويشمل ذلك كل أذى يزال من طريق المسلمين ومستقراتهم .

٤ ـ أن التراث الإسلامى غنى وحافل ببرامج الإصلاح البيئى: والحلول العملية لقضايانا ومشكلاتنا والتى تناسب بيئاتنا وعاداتنا وتقاليدنا، ولكننا نهمل ذلك ونلجأ إلى التقنيات المستوردة غير المناسبة لظروفنا وإمكانياتنا .

ولذا يجب علينا أن نتعامل مع البيئة من منطلق القواعد الفقهية الأصولية العامة مثل : «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، «ولا ضرر ولا ضرار»(٢)، «والتخلية تسبق التحلية» وغيرها .

أما أسس المنهج الإسلامى فى استغلال مكونات البيئة فيشتمل على عدة عناصر منها:

١ ـ إحكام التدبير مع دقة التقدير: فالمتتبع لآيات القرآن تتجلى له هذه الحقيقة فى الكون الذى نعيش فيه من إعجاز فى الخلق ودقة فى الصنع وروعة فى الأداء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ**﴾(٣) . فنحن مأمورون بتدبر جميع الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾(٤) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) رواه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى.
(٣) سورة ق : ٦ ـ ١١
(٤) سورة طه : ٥٥

حيث من الأرض خلقنا للعمل والاكتساب، وفى الأرض نعود للدود والتراب، ومنها نخرج للعرض والحساب كما أن فى السماء نتدبر أرزاقنا حيث يقول تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(١) .

حيث تلفتنا هذه النصوص والآيات إلى أن هذا الكون بأسره قائم على العدل والحق، فإذا استقام الناس على ذلك استقامت لهم الحياة وإذا تنكبوا هذا الطريق ظهر الفساد فى البيئة سواء فى البر أو البحر أو الجو .

٢ ـ كف الأذى مبدأ إيمانى هام: فلقد جاء الإسلام بقواعد سامية لإرساء مبدأ كف الأذى ودفعه سواء فى الجانب المادى أو المعنوى ، فعلى سبيل المثال حرم بعض الأطعمة وجعلها نجسة العين لما تحمله فى طياتها من أذى للإنسان إذا أقدم على أكلها مثل قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾(٢) .

كما حرص الإسلام على نظافة الماء وطهارته والبعد عن تلويث المياه ولو بطريق الخطأ أو بطريق غير مباشر، فقال أبو هريرة(٣) قال رسول الله ﷺ : «لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه «وعنه قال: قال رسول الله ﷺ :(٤) «لا يغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب ، فقال أبو السائب (راوى الحديث).

كيف يغتسل يا أبا هريرة؟ قال يتناوله تناولا »

ويقول ﷺ (٥): «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد، وقارعة الطريق، والظل»

---

(١) سورة الذاريات : ٢٢
(٢) سورة المائدة : ٣
(٣) رواه مسلم
(٤) رواه مسلم
(٥) رواه أبو داود وابن ماجه

ولقد أكـد العلم الحـديث خطورة تلويث الموارد المـائية والظل والطـرقات (من حيث نقل الأمـراض الطفيلية المـتوطنة وغيـرها كالبلهارسيا والإنكلستـوما والدوسنتـاريا وغيـرها)، ومـا ينطبق على هذه الملـوثات ينطبق على غـيـرها من الملوثات البيـئية الحـديثة (حيث إنها لـم تكن مـوجودة على عهـد رسولنا الكريم عليه الصلاة وأفضل السلام)، وبذلك يتضح لنا أن رسولنا الكريم ﷺ يعتبر هو الواضع الأول لقواعد الصحة الوقائية فى إطار من الإعجاز العلمى لم يظهر للبشر إلا بعد أربعة عشر قـرنًا من الزمان (وسوف نتحدث عن ذلك فى باب لاحق بإذن الله) ، ولقـد استفـاد المسلمـون الأوائل منه؛ لأن منهجـهـم قد تمثل فـى قول الله تعالى: ﴿ **أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(١) .

٣- التوسط فى مرافق الحياة:

يدعو الإسلام إلى التوسط والاعتدال فى مـرافق الحياة مع التذكرة بأن الآخرة هى خير وأبقى حيث يقول تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾(٢)، ويقول تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾(٤) ويقول الرسول ﷺ : «خير الأمور أوسطها»، كما روى الترمذى عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء»، ويقول اللـه تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(٥) .

---

(١) سورة النور : ٥١

(٢) سورة غافر : ٣٩

(٣) سورة البقرة : ١٤٣

(٤) سورة النساء من الآية : ٧٧

(٥) سورة القصص : ٧٧

٤ـ العمل الدائم والسعى الدائب :

فالإنسان فى ظل الإسلام مطالب بأن يعمر الحياة بالعمل النافع المفيد، وأن يسعى فيها حثيثًا واضعًا فى حسبانه أنه مجزى بهذا العمل، إن خيرا فخير، وإن شرًا فشر حيث يقول تعالى : ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(١).

وقد حث الرسول ﷺ الأمة الإسلامية على العمل حيث قال ﷺ : «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»(٢).

وعن أنس قال(٣): قال رسول الله ﷺ : «من بات كالأمن طلب الحلال بات مغفورا له».

وذكر الحاكم من حديث ابن عباس «أن داود كان زرادا (يصنع الزرد والدروع من الحديد)، وكان آدم حراثًا، وكان نوح نجارًا، وكان إدريس خياطًا، وكان موسى راعيًا» .

٥ـ الرضا بما قسم الله :

وهو أسلوب قيم من أساليب تعلم القناعة، وهو وسيلة لشكر المنعم على ما أنعم، وعلى العاقل أن ينظر فى أمور الدنيا إلى من هو أسفل منه (صاحب الحظ القليل)، وينظر فى أمور الدين ومكارم الأخلاق إلى من هو فوقه صَاحب الحظ الكبير)، وهذا يعتبر واجبًا عليه؛ لأنه تنافس فى الخير وتسابق إلى الرفعة والرقى، ففى الحديث عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولاتنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»،

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥

(٢) رواه البخارى

(٣) رواه ابن عساكر

متفق عليه، وهذا اللفظ لمسلم، وفى رواية البخارى: «إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّلَ عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه» وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، وإنما الغنى غنى النفس»(١) .

ويقول تعالى : ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾(٢).

٦ـ الترشيد :

وهو أحد الأسس المهمة للمنهج الإسلامى والتى يرتكز عليها فى استغلال مكونات البيئة والتعايش السلمى معها، فالترشيد للمسلم أسلوب حياة وليس ظاهرة مؤقتة، ولا شعارًا يرفع عند حلول الأزمات المادية أو عند نقص الموارد الطبيعية (كالماء وسائر الثروات) كرد فعل لها، حتى إذا ما انقشعت سحب هذه الأزمات، وتبددت مخاوفها عاد الناس أدراجهم بالإسراف والتبذير والإهدار للموارد، كما أن الترشيد لا يعنى التقتير والبخل المذمومين، وإنما هو الاعتدال فى كل أمر وعلى أى حال، ومن مظاهر الترشيد فى المنهج الإسلامى(٣) : ـ

أ ـ الترشيد فى الإنفاق :

حيث يقول تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾(٤).

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه (٥)».

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة النساء : ٣٢
(٣) البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى، للدكتور / عبد الحكم الصعيدى، مرجع سابق، ص ١٦٦ـ١٦٧
(٤) سورة الفرقان : ٦٧
(٥) رواه مسلم

ب- الترشيد فى المطعم والمشرب:

حيث يقول تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

وعن عبد الله بن محصن الأنصارى الخطمى قال: قال رسول الله ﷺ : «من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [2]».

ج- الترشيد فى استخدام الموارد الطبيعية:

ومن أبرز مظاهر الترشيد فى هذه الموارد هو الترشيد فى استخدام الماء، حيث حرص الإسلام على ضرورة المحافظة على الماء كما وكيفا حتى لا تتعطل وظيفته ومهمته وبالتالى تتعطل الحياة، وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «لا تسرف» فقال: يا رسول الله أوَفى الماء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر»[3] .

وعن أُبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «للوضوء شيطان يقال له: الولهان فاتقوا وسواس الماء»[4].

وعن أم سعد قالت: قال رسول الله ﷺ «يجزئ فى الوضوء مُدٌّ وفى الغسل صاع وسيأتى قوم يستقلون ذلك فأولئك خلاف أهل سنتى والآخذ بسنتى فى حظيرة القدس متنزه أهل الجنة [5]» ومن الغريب والمدهش حقًا أن الرسول ﷺ يدعو إلى ترشيد استخدام المياه منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان فى وقت الوفرة الهائلة من الماء التى تزيد عن حاجة سكان الأرض فى ذلك الوقت .. بينما

(١) سورة الأعراف من الآية : ٣١

(٢) رواه الترمذى وحسنه

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه الترمذى

(٥) رواه أبو بكر عبد العزيز فى كتاب الشافى.

نحن الآن فى الوقت الحالى فى نهاية القرن العشرين تعانى جميع دول العالم من أزمة المياه وذلك بدرجات مختلفة بسبب الزيادة الرهيبة فى السكان، حيث يتناقص متوسط نصيب الفرد من المياه باستمرار، وهناك بعض دول العالم فى آسيا وإفريقيا وغيرها بدأت تعانى من الجفاف والعطش، بل وسيشهد العالم فى السنوات المقبلة معارك طاحنة بين الدول والأفراد للحصول على نقطة الماء من أجل الطعام والشراب وغيره (أى لزراعة الأرض المستصلحة وللشرب والغسيل وخلافه) ولقد صدق رسولنا الكريم بدرجة تدعو للدهشة والإعجاب ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

د ـ الترشيد فى الملابس:

روى معاذ بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها»[2].

والمراد ترك الملابس المحرمة كالحرير والديباج. وعن حذيفة قال: «نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه»[3].

ويقول رسولنا الكريم «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[4].

وهذا فى الملابس والحلى المشروعة، ولا شك أن تحقيق التوازن بين هذين المطلبين (ترك الملابس فى الحديث، وبين محبة الله لظهور أثر النعمة على العبد

(١) سورة النجم: ٤
(٢) رواه الترمذى وحسنه
(٣) رواه الترمذى
(٤) رواه أحمد

وذلك باتخاذ الزينة واللباس المباح) هو الترشيد والاعتدال .

هـ - الترشيد في العبادة :

وهذا يعني الاقتصاد في العبادة مع إتمامها، فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت هذه فلانة تذكر من صلاتها، قال «مه» (نهي وزجر) عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا»[1] وكان أحب الدِّين إليه ما داوم صاحبه عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشادَّ الدِّين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[2].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «هلك المتنطعون[3] «قالها ثلاثًا، والمتنطعون هم المتشددون في غير موضع التشدد.

و - الترشيد في أكفان الموتى :

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلبًا سريعًا[4]» أي: يبلى بسرعة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»[5].

---

(١) رواه أبو بكر عبد العزيز في كتاب الشافي كما سبق في صـ ١١٧ .
(٢) رواه الترمذي وحسنه.
(٣) رواه مسلم
(٤) رواه أبو داود
(٥) رواه البغوي في المصابيح

٧ـ انقياد الكون لأمر الله :

إن كل ما فى هذا الكون، من عرشه إلى فرشه مخلوق لله ومنقاد وخاضع لأمره، والحياة الإنسانية تسير وفق هذا النظام، فمن سلك طريق التقوى وتزكية النفس وفقه الله للفلاح، ومن سلك طريق الفجور والتردى كانت نتيجة عمله الخيبة والبوار، وعن ذلك يقول تعالى : ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[١].

والمشكلة أن كثيرًا من الناس يسئ فهم هذه الحقيقة ، ويخيل إليهم أنهم قادرون على الخروج من هذه السنن ناسين أو متناسين أن الذى يختار أيًا من الطريقين فلابد أن يخضع لقانونه، وأن شرف الغاية لابد أن يسبقه نبل الوسيلة هذا وإن علماء الحضارة والاجتماع يرون أنه لا سبيل للنجاة من المصير المشئوم إلا بردة روحية، وتشبث بالقيم الأخلاقية، واسترداد للمناهج الدينية المتدهورة بحيث يعود للإنسان توازنه الطبيعى بعد اختلاله لقرون طويلة من تأثير المادة، كما يجب التمسك والاستعانة بالتقاليد الدينية التى تتضمن الإرشادات الأخلاقية لحماية البيئة، بل لحماية البشرية، وهذا ما يقرره المنهج الإسلامى الذى سبق أن أوضحناه ليكون نبراسًا للسالكين .

ب ـ عناصر الحل الإسلامى لحماية البيئة :

إن الحل الإسلامى لمشكلات البيئة القائمة والمتوقعة يرتكز على عدة عناصر تتفاعل وتتكامل فيما بينها مقدمة مواجهة فعالة حيال إفساد الإنسان للبيئة، ومن أهم تلك العناصر ما يلى[٢] :-

---

(١) سورة الشمس : ٧ ـ ١٠

(٢) التنمية والبيئة ، للدكتور شوقى أحمد دنيا، مرجع سابق ، ص ٩٢ ـ ١٠٠ .

١ ـ الاعتماد على مدخل الوقاية والعلاج معًا:

فالإسلام يتعامل مع المشكلات البيئية على مستويين: (مستوى الجذور العميقة والقريبة، ومستوى ما ينجم عنها وينتج) فهو يعمل جاهدًا على عدم حدوثها، وإذا حدثت عالجها بما تستحق، ومن ثم تجده يحرص كل الحرص على جعل العامل العقائدى والثقافى بحيث يباعدان بين الإنسان والاعتداء على البيئة ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مليئات بالآيات الكريمة والأحاديث والمواقف التى توضح للإنسان وضوحًا بينًا أهمية ما يحيط به من كائنات حية أو غير حية، وكيفية التعامل معها تعاملاً صحيحًا فى ضوء أهميتها له من جهة، وكونها خلق الله تعالى من جهة أخرى، ومعنى ذلك أنها تربى فيه السلوك البيئى الصحيح بالإضافة إلى سَنّ التشريعات الملزمة التى تحول دون ذلك العدوان وتتعامل معه بفاعلية وكفاءة إذا وقع، ولتوضيح أهمية العقيدة فى تصرفات الإنسان حيال البيئة واستخدامه لها نسوق الحديث التالى الذى رواه البخارى ومسلم عن الرسول ﷺ قال: «إن المسلم يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»(١).

قال ذلك فى عرض تفسير التغير الجوهرى فى استهلاك أحد الأفراد بين يوم وليلة عندما كان كافرًا ثم أصبح مسلمًا .

٢ ـ التعامل مع الإسراف بكفاءة وفاعلية:

يعتبر الإسراف خلف معظم المشكلات البيئية (من حيث وجودها ومن حيث استفحالها)، ولذلك يمكننا القول بأن تواجد نوعية بيئية جيدة رهين بالتعامل الكفء مع ظاهرة الإرهاب وبقدر النجاح فى مواجهة هذه الظاهرة بقدر ما يكون النجاح فى حماية البيئة، وكما ذكرنا فإن طرق الحماية الوضعية لم تضع هذا العامل موضعه الصحيح (من حيث منشأه ومخاطره وكيفية مواجهته) وفى أحسن حالاتها نجد بعض الإجراءات العقابية التى قد يكون لها أثر غير مباشر حيال الحد

---

(١) فيض القدير، المناوى، المكتبة التجارية الكبرى ، ج ٦، ص ٢٥١ .

منه، لكننا فى الإسلام نجد الأمر على غير ذلك تمامًا، فالإسراف هو جريمة فى نظر الإسلام (كما سبق أن ذكرنا) ولذلك جاءت النواهى الصريحة في الكتاب والسنة، فالإسراف سلوك مذموم مستهجن فى نظر التربية والثقافة والعقيدة الإسلامية، كما أنه انحراف جوهرى فى السلوك الإنسانى حيال الكون بصفة عامة وحيال الأموال بصفة خاصة، ولذلك ربط الإسلام بقوة بين الإسراف والإفساد فى الأرض حيث يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[1] . وبالتأمل نجد الإسراف مصدرًا للتلوث والاستنزاف، ولم يقف الأمر بالإسلام عند هذا الحد فى التعامل مع الإسراف، بل إلى التعريف بمظاهره وأبعاده المختلفة سواء فى الأكل والشرب والملبس والمسكن والانتقال.. فى كل شيء حتى فى الشعائر لا يرحب بالإسراف فى أدائها، وكما ذكرنا قول الرسول ﷺ لأحد الصحابة بينما يتوضأ من جدول: «ما هذا السرف ؟ فقال : أفى الوضوء إسراف ؟ فقال: نعم ولو كنت على نهر جار [2]» فى الوضوء إسراف ومن جدول مياه كبير، والماء المستعمل يرتد ثانية إلى الجدول ولا يضيع .. والزيادة هنا مهما كانت فهى ضئيلة .. ومع ذلك جاء النهى الصريح إشارة إلى أن الإسراف فى حد ذاته وبغض النظر عن ملابساته، سلوك مرفوض إسلاميًا، وقد عالج الإسلام الإسراف حيث ذكر الإمام الغزالى[3] أن بعض العلماء يجيزون فرض الضرائب للحد من الإسراف وإن كان هو لم ير ذلك ..

٣ـ التأكيد الحازم على نظافة البيئة وعدم تلوثها :

فكما هو معلوم لا صلاة بغير طهارة لكل من الجسم والملبس والمكان

(١) سورة الشعراء: ١٥١- ١٥٢

(٢) رواه ابن ماجة، سنن ابن ماجة ، ص ١٤٧، ج ١

(٣) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ابن بسام ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .

وهناك العديد من الأحاديث التى تؤكد على أهمية النظافة سواء للإنسان أو للبيئة وتحظر أى عمل من شأنه أن يحدث تلوثًا بيئيًا ومن ذلك النهى النبوى الصريح عن التبرز والتبول فى الطريق وفى المياه وفى أماكن الإيواء والراحة، وكذا الحث على إماطة الأذى عن الطريق وخلافه (سبق أن تحدثنا عن بعضها وسوف نذكر أمثلة للبعض الآخر فيما بعد) .

ولا يقف الأمر بالتشريع الإسلامى فى كل حالاته عند حد النواهى والأوامر وإنما أوجد آلية التنفيذ حيث أوجد ما يعرف بـ «جهاز الحسبة»، ومن أهم مسئوليات المحتسب وصلاحياته المنع من كل ما يؤدى إلى تلوث البيئة وعدم نظافتها، سواء فى ذلك الهواء أو الماء أو الأماكن أو المواد والمنتجات ، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ يمنع المحتسب استخدام رجال الأعمال لمواد وأدوات ملوثة، يستوى فى ذلك المواد الخام والمواد المساعدة وكذلك رءوس الأموال وكذا الأوانى والأدوات والجهد البشرى والأيدى العاملة حيث يجب أن تقدم خدماتها نظيفة غير ملوثة .

ب ـ كما يمنع المحتسب رجال الأعمال من استخدام آلات وأساليب ملوثة (والتى ينتج عنها تلوث بيئى للهواء أو الماء أو الطريق أو غيره مثل مداخن الأفران والحمامات والذبح فى الطريق) كما يأمر المصانع والأسواق بكنس وتنظيف أرجائها من الأوساخ والفضلات (القمامة) والتفتيش على المحلات بحيث تكون ذات مواصفات بيئية خاصة فى مبناها وموقعها وآلاتها ومنتجاتها .

د ـ كما يتابع المحتسب نظافة المياه المستخدمة فى الشرب ويمنع تلويثها، وكذا عدم إلقاء الفضلات فى العراء مكشوفة أو إلقاء القمامة فى الشوارع والطرقات وغيرها .

وعموماً فكل ما نهت عنه الشريعة الإسلامية وجب على المحتسب إزالته ومنعه ، وما أباحته الشريعة أقره على ما هو عليه وبذلك فإن دور الدولة التدخل بعدة صور منها المنع من إصدار ما يفسد البيئة وإزالة مراكز الإفساد والتلوث (مثل المصانع التى تلوث الهواء أو الماء أو التربة)، وكذا تضمين المفسد قيمة ما أفسده، بالإضافة إلى التعليم والإرشاد والتربية البيئية وتعريف الناس بالطرق والأساليب والأدوات الصحيحة التى تحقق لهم مطالبهم وفى الوقت نفسه تحافظ على البيئة .

٤ ـ التأكيد على المحافظة على البيئة الحيوية (المكونات البيولوجية للبيئة) والحرص على تنميتها :

فقد سبق أن ذكرنا أن آيات القرآن الكريم أشارت إلى أن كل ما يحيط بالإنسان (من مخلوقات حية أو غير حية) إنما هى من نعم الله تعالى التى خلقها من أجل الإنسان، ومعنى ذلك ضرورة المحافظة عليها وكذا ضرورة احترامها وتقديرها ، وقد أوضحت ذلك السنة النبوية الشريفة وأكدته، ومن ذلك الأحاديث الصحيحة التى تدل على دخول امرأة النار بسبب سوء معاملة قطة ؟ ودخول رجل عاص الجنة لحسن معاملته لكلب، كما تحذر الأحاديث وتنهى عن سوء معاملة الحيوان ومنها «من قتل عصفوراً عبثا جاء يوم القيامة يعج إلى الله يقول: يارب إن هذا قتلنى عبثًا لم ينتفع بى ولم يدعنى آكل من خشاش الأرض[(١)]» هذا لمجرد قتل عصفور واحد فما بالنا بملايين الحيوانات والطيور والأسماك وغيرها التى يقتلها التلوث أو الاستنزاف والتصحر وخلافه، ومنها أيضًا « لا تقصوا نواصى الخيل فإن فيها البركة ولا تجزوا أعرافها فإنها أدفاؤها ولا تقصوا أذنابها فإنها مذابها [(٢)].

(١) رواه غير واحد بعبارات متفاوتة انظر فيض القدير للمناوى ص ١٩٢ .

(٢) رواه أبو داود وغيره ، سنن أبى داود، مكتبة عيسى الحلبى ، ص ١٤٧ ج ٣.

وعن البيئة النباتية نجد التحذير الشديد من تدميرها (خصوصًا قطع الأشجار) حيث يقول ﷺ :«من قطع سدرة (شجرة) صوب الله رأسه فى النار»(١) وفى حديث آخر: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل فإن له فيها أجرًا»(٢) .

ويقول «الماوردى»(٣) «نفقات البهائم واجبة على أربابها لقول النبى ﷺ : «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم» تدل على أمرين منها: على حراسة البهائم بإطعامها حتى تشبع وسقيها حتى تروى وسواء كانت مأكولة أو غير مأكولة (كالقطط والكلاب ونحوها) فإن قصر فيها حتى هلكت أو أنهكت أثم، وعند امتناع صاحب البهائم عن إطعامها وسقيها فإن ولى الأمر يلزمه بذلك أو يبيعها، وعلى المحتسب واجب القيام بذلك ضمن مهامه الأخرى، وبذلك يكون الإسلام هو أول من دعا إلى الرفق بالحيوان وعدم قتله أو تعذيبه وذلك قبل أن ينشئ الغرب جماعة الرفق بالحيوان بأربعة عشر قرنًا من الزمان، وإذا كانت هذه الأوامر تتجه إلى الأفراد على السلوك العدوانى لهم على البيئة، فإنها تتجه من باب أولى إلى الحكومات (لعظم المضار المترتبة على عدوانها على البيئة)، وعلى ذلك فإن الدولة ممنوعة من تدمير الغابات والنباتات، وفرق شاسع بين التدمير والاستخدام الحسن، كذلك الحال فيما على أرضها من طيور وحيوانات .

٥ ـ التحذير الصارم من أن الإنسان هو المتحمل فى النهاية لنتيجة عدوانه على البيئة :

فلقد حرص الإسلام على تأكيد وجود ارتباط طردى قوى بين حال الإنسان وحال سلوكه نحو بيئته إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وشكر الإنسان لله على هذه النعم

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٦٥ ج ٢

(٢) رواه البخارى انظر: فتح البارى ص ٥

(٣) الحاوى الكبير للماوردى ، كتاب النفقات تحقيق عامر بن سعيد .

يبقيها وينميها، وكفران الإنسان لهذه النعم يزيلها، وبزوالها تتحول حياة الإنسان إلى ضنك ومشقة إن لم تقض على حياته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(١) .

وعمومًا فإن طاعة الله تعالى عامة وشاملة فتشمل الائتمار بأوامره والانتهاء عن منهياته، ومن ذلك أوامره بحسن معاملة البيئة ، والنهى عن العدوان عليها .

٦ ـ التعامل الفعال مع قضية المسئولية والإدارة عن حماية البيئة:

حيث إن الفكر المعاصر يعتبر حماية البيئة من أهم المهام العامة التى تقع على كاهل الدولة، أى: أن توفير نوعية جيدة من البيئة يعتبر أحد أهم المجالات التى يجب على الدولة النهوض بها .

أما الإسلام والفكر الإسلامى فقد اهتم بهذه القضية اهتمامًا متزايدًا وواضعًا لها الحلول العملية المناسبة لها، ومن أمثلة ذلك :

أ ـ بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة قام بتخطيطها وفق معايير بيئية جيدة، وقام الرسول (عليه السلام) بتأمين مصادر المياه العذبة وحرض الصحابة الأغنياء على توفير ذلك، وقد سار على نهجه الخلفاء الراشدون ، وهو نفس العمل تقريبًا الذى يقوم به العلماء الآن عند إنشاء وإقامة المدن الجديدة من توفير المرافق الأساسية (من مياه وطاقة ومراعٍ وهواء نقى وخلافه) .

ب ـ أن الإسلام قد حمَّل الأمة كلها (جميع الأفراد سواء حكام أو محكومين) مسئولية المحافظة على البيئة، فالحاكم يغير المنكر بالقوة الفعلية،

---

(١) سورة : الأعراف : ٩٦

ورجال الفكر والعلم والإعلام بالدعوة والتعريف، والجماهير الغفيرة من الشعب بالاحتقار والازدراء لكل من يعتدى على البيئة فالمسئولية هنا كاملة وتضامنية (فرض كفاية) والجميع مسئولون عن توفير ذلك، وإذا لم يتحقق ذلك أثم المجتمع كله، وبذلك فإن المنكر لا يجد أرضية صلبة يعيش عليها فى الإسلام، حيث يقول الرسول الكريم ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان من بالأسفل كلما أراد الماء صعد إلى الأعلى، فقالوا : لو أنا خرقنا فى موضعنا هذا خرقًا (لكى يحصلوا منه على الماء بدون مشقة) فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» رواه البخارى فى صحيحه، هذا الحديث يشع بدلالاته الصريحة والضمنية القوية على أن الكل مسئول عن الفساد ونفس هذا الكلام هو مايردده العلماء الآن من أننا جميعا فى قارب بيئى واحد وأن ما يحدث لأى بقعة من الأرض يؤثر بالتالى على بقية البقع من كوكب الأرض.

٧ـ الوعى الكافى بأهمية مراعاة كل من التنمية والبيئة على حد سواء:

حيث نظرة الإسلام إلى التنمية والبيئة نظرة متوازنة تشتمل على ضرورة تخير أهداف وسياسات وأدوات للتنمية بحيث لا تمثل عدوانًا على البيئة ، كذلك اتخاذ سياسات بيئية غير متنافية مع متطلبات هذا النمط من التنمية، وعن طريق استخدام أساليب أو آلات ومواد تحافظ على البيئة ولا تلوثها، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وعن طريق تطبيق قاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، وكل ذلك يتطلب دراسات دقيقة لكل من المدخلات والمخرجات وإذا رجحت المضار منع التصرف، وإن كانت له منافع والعكس صحيح .

٨ـ إقامة نظام عقابى رادع :

من الملاحظ أن العقوبات المعاصرة التى تطبقها الدول حاليًا معظمها غير كافٍ لتحقيق عنصر الزجر والردع، ولذلك تجرأ الكثيرون على ممارسة الاعتداءات على البيئة وتلويثها، ولكن فى الإسلام: الوضع مختلف حيث تتعدد العقوبات وتتدرج وتتنوع لتصل إلى حد القتل لمن يسعى فى الأرض فسادا حيث يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾(١) .

حيث الحد الأدنى للعقوبة فى الإسلام هو تحميل وتضمين المعتدى قيمة ما أفسده، وهناك العقوبات المالية وغيرها التى من حق الدولة ومن واجبها توقيعها على كل من يسلك طرق الفساد وتلوث البيئة .

٩ـ الاهتمام الكبير بالتربية البيئية السليمة :

فالإسلام يحرص على تربية الفرد المسلم منذ نعومة أظفاره على احترام ما حوله (من بيئة حيوية وغير حيوية) كما يربى فيه منذ الصغر البعد عن الإسراف والتبذير ويربى فيه النظرة المستقبلية البعيدة المدى فيما يتعلق بشئون الدنيا «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا» .

كما أن الإسلام يحرص على أن يتعلم الناس ذلك من خلال المدارس والجامعات وأجهزة الإعلام والثقافة وغيرها، لأن معرفة ذلك من العلم النافع الذى شدد الإسلام على معرفته .

---

(١) سورة المائدة : ٣٣

١٠- النظرة الإقليمية الإسلامية لمشكلات البيئة والتنمية:

فالإسلام ينظر للمسلمين جميعًا على أنهم أمة واحدة ولأراضيهم على أنها دار واحدة (مع الأخذ فى الاعتبار ما عليه الدول الإسلامية الآن من استقلالية وسيادة) حيث يعترف الإسلام بهذا التنوع والتجزؤ، وفى نفس الوقت يعتبر ذلك كله داخل إطار كبير وداخل حدود واسعة هى حدود أمة الإسلام أو العالم الإسلامى.

يتضح لنا ذلك فى الجهاد وفى النصرة وفى التكافل والتضامن والعلاقات الاقتصادية وغير ذلك ، فالخطاب فى كل تلك المجالات يتجه أساسًا إلى المسلمين ومع هذا المنطلق يمكن للعالم الإسلامى أن يتعامل بكفاءة وسهولة مع مشكلات البيئة والتنمية وذلك من خلال توفير أكبر قدر ممكن من التوازن بين متطلبات كل منهما، عكس ما إذا تحملت كل دولة بمفردها كل عبء حماية البيئة وإنجاز التنمية، ففى ذلك من العسر والمشقة ما فيه بالنسبة لغالبية الدول بصفة عامة وللدول الإسلامية بصفة خاصة .

□□□

الباب الثانى

مفهوم التربية البيئية فى الإسلام

الفصل الأول : مفهوم التربية البيئية في الإسلام

ويحتوى على :

١ ـ تمهيد

٢ ـ مفهوم التربية البيئية فى الإسلام على ضوء : ـ

أ ـ الوسط الذى تتم من خلاله التربية البيئية

ب ـ الجانب المستهدف من التربية البيئية

٣ ـ مداخل التربية البيئية فى الإسلام

الفصل الثانى : أساليب التربية البيئية وطرائقها في الإسلام

ويحتوى على :

١ ـ أساليب وطرائق المدخل للتربية البيئية المتمركز حول الفرد

ويقسم إلى : ـ

أ ـ أساليب وطرائق التنمية المعرفية للفرد

ب ـ أساليب وطرائق التوجيه الانفعالى للفرد

ج ـ أساليب وطرائق التدريب السلوكى للفرد

٢ ـ أساليب وطرائق المدخل للتربية البيئية المتمركز حول البيئة

أ ـ الأساليب والطرائق التربوية من خلال البيئة الاجتماعية

ب ـ الأساليب والطرائق التربوية من خلال البيئة الطبيعية

الباب الثانى

الإسلام والتربية البيئية

تمهيد

يقصد بالتربية البيئية: عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته بما تشمله من موارد مختلفة ، ويتطلب هذا الإعداد إكساب المعارف البيئية التى تساعد على فهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان وعناصر بيئته من جهة، وبين هذه العناصر وبعضها البعض الآخر من جهة أخرى، كما يتطلب تنمية مهارات الإنسان التى تمكنه من المساهمة فى تطوير ظروف هذه البيئة على نحو أفضل، وتستلزم التربية البيئية أيضًا تنمية الاتجاهات والقيم التى تحكم سلوك الإنسان إزاء بيئته، وإثارة ميوله واهتماماته نحو هذه البيئة ، واكتساب أوجه التقدير لأهمية العمل على صيانتها والمحافظة عليها وتنمية مواردها(١) .

وفى وصية أبى بكر الصديق للقائد أسامة بن زيد درس فى التربية البيئية، حيث يقول له : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولاتقطعوا شجراً مثمراً ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل) (هكذا فى تاريخ الطبرى).

وتتحدد أهداف التربية البيئية فى النقاط التالية:.

١ ـ الوعى: ويقصد به مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على اكتساب وعى بالبيئة ومشكلاتها ذات الصلة، وإيجاد حساسية خاصة نحوها .

---

(١) بناء برنامج فى التربية البيئية لطلاب المدارس الثانوية الزراعية إعداد سليم محمد محمد السعيد، رسالة الدكتوراه كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٨٤، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

٢ ـ المعرفة : وتعنى مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على اكتساب خبرات متنوعة تتصل بالبيئة ومشكلاتها وتحقق لهم فهمًا أساسيًا لها .

٣ ـ المهارات: وتعنى مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على اكتساب المهارات اللازمة للتعرف على المشكلات البيئية وحلها .

٤ ـ الإسهام : ويعنى تزويد الفئات الاجتماعية والأفراد بغرض الإسهام الفعال على مختلف المستويات فى العمل على حل المشكلات البيئية .

٥ ـ التقويم : وهو معاونة الأفراد والجماعات على تقويم مقاييس وبرامج التربية البيئية فى ضوء ظروف كل مجتمع ويرى البعض[1] أن أهداف التربية البيئية تختلف من مرحلة إلى أخرى للفرد ولكنها تشتمل على : ـ

١ ـ معاونة الفرد على فهم موقفه فى الإطار البيئى، والإسهام بعناصر العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته .

٢ ـ معاونة الفرد على إدراك النتائج التى قد تترتب على اختلال توازن العلاقات البيئية .

٣ ـ توضيح دور العلم والتكنولوجيا فى تطوير علاقة الإنسان بالبيئة .

٤ ـ معاونة الفرد على إدراك تصور متكامل للإنسان وإبراز التفاعل بين العوامل الاجتماعية والحضارية والقوى الطبيعية .

٥ – تأكيد وعى بيئى لدى الفرد وتزويده بالمهارات والقيم والاتجاهات التى تجعله إيجابياً فى تفاعله مع البيئة .

---

(١) عدلى كامل فرج، طرق الانتفاع بالبيئة، مرجع فى التعليم البيئى لمراحل التعليم العام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص : ١٩ .

والوعى البيئى:

يقصد به إدراك الفرد لدوره فى مواجهة البيئة، وهو الإدراك القائم على المعرفة بضرورة حسن استغلال الموارد الطبيعية فى البيئة، والمشكلات البيئية مع اقتراح أنسب الأساليب لمواجهة هذه المشكلات .

ويشمل الوعى البيئى أبعادًا مختلفة منها:

١ ـ حسن استغلال الموارد الطبيعية (من حيث أهميتها للإنسان وخطورة استنزافها وإهدارها) وضرورة الحفاظ عليها بترشيد استخدامها .

٢ ـ ضرورة مواجهة بعض المشكلات البيئية الرئيسية (مثل تلوث الهواء وتلوث المياه وتلوث الغذاء بالمبيدات وغيره من الملوثات).

هذا ويوجد العديد من الوسائل التى يمكن أن تنمى الوعى البيئى نذكر منها ما يلى [١] : ـ

عقد الاجتماعات ، والحلقات الدراسية ، والمعسكرات والدورات التدريبية، والمحاضرات، والندوات، والمناقشات والمسابقات، والوسائل التعليمية بأنواعها (كالأفلام والشرائح والفيديو والملصقات وغيرها) والنقابات والمنظمات السياسية ، ومراكز الشباب والمجالس المحلية والمكتبات والمعارض، والمتاحف وتبادل الزيارات، واستخدام كافة وسائل الإعلام وغيره .. وفى جميع الوسائل السابقة ، يراعى وضوح المضمون البيئى ومناسبته لمستوى ثقافه المستقبل ، واستخدام الوسيلة المناسبة فى ضوء الظروف والإمكانات المتاحة .

وعمومًا فإن نظافة البيئة وحمايتها من التلوث ليس مسئولية كل الحكومة

---

(١) برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، جدول الأعمال البيئى للشباب دائرة الإعلام ، نيروبى ، كينيا ، بدون تاريخ، ص ٤.

وحدها أو جهاز أو مؤسسة .. ولكنها مسئولية كل مواطن يعيش فى المجتمع .

وفى الصفحات التاليه سوف نتحدث عن الإسلام ودوره فى التربية البيئية وتبدأ مع الفصل الأول حول مفهوم التربية البيئية فى الإسلام .

الفصل الأول

مفهوم التربية البيئية فى الإسلام

يمكن تحديد موقف المفهوم الإسلامى للتربية البيئية فى ضوء ما سبقت الإشارة إليه من مداخل الفهم للتربية البيئية واتجاهاتها على النحو التالى[1] :

أ ـ فى ضوء الوسط الذى تتم من خلاله التربية البيئية :

حيث مزج المفهوم الإسلامى بين مدخلى «التربية عن البيئة» و «التربية من خلال البيئة» فقد وجه الإسلام أفراده إلى المدخل الأول عن طريق الاستعانة بما ينفعهم من مصادر الخبرة غير المباشرة فى مجال الفهم للبيئة والانفعال بها والتعامل معها، كما أكد على المدخل الثانى، من خلال ما وجه إليه من الاستفادة بالخبرات المباشرة ، والاحتكاك بالبيئة والتفاعل معها، بالنظر والاستقراء والتجربة، لاكتساب الموجهات البيئية الإسلامية وقيمها المعرفية والوجدانية والسلوكية .

ويتميز مدخل «التربية عن البيئة» فى الإسلام بخصوصية قيامه على أساس الهداية وفروعها، وينطلق من الوحى وتوجيهاته، إذ لم يترك الإنسان لبصيرته الذاتية، أو نظره بعين الاعتبار لحكمة الخالق فى خلقه، فذلك من الأمور العسيرة، لذا أرسل الله سبحانه وتعالى إلى الرسل وسهل بهم الطريق على خلقه، لمعرفة جميع أحكام الشرع فى أفعال العباد، كما لم يترك الفرد لفطرته أو لأحكام

(١) التربية البيئية فى الإسلام (دراسة تحليلية) رسالة دكتوراة سعيد طه محمود أبو السعود، قسم أصول التربية، كلية التربية جامعة الزقازيق ١٩٩٢، ص ٢٢٨ - ٢٥٥ .

المجتمع؛ لأن الفطرة مجرد إحساس طبيعى كثيراً ما يتلوث ببعض العناصر الفاسدة، فينحرف مجراها، كما أن المجتمع غالباً ما يعبث به الهوى والمصلحة فى أحكامه وتزيغ .

فى مقدمة مصادر الإسلام للتربية عن البيئة، القرآن والسنة، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(١) ويقول تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٢) ثم يأتى بعد الوحى مصادر أخرى مما جاء عن الصالحين وأهل الخبرة من العلماء، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٣) .

يتضمن هذا المدخل ضرورة قيام التوعية البيئية وتنمية اتجاهاتها وسلوكياتها على ما جاء فى الوحى الإلهى من معايير وموجهات لعلاقة الإنسان بالبيئة ومشكلاتها، بما لا يتناقض مع ذلك من المصادر النافعة للخبرة المستفادة من أدبيات البيئة والتربية البيئية .

من ناحية أخرى فقد أكد الإسلام على «التربية من خلال البيئة» فى ضوء ما وجه إلى عدم فصل الإنسان عن بيئته وبما تركه للإنسان من عناصر الخبرة التى يمكن تعلمها بالخبرة والتجربة، فالحقائق العلمية الكونية متروكة تفصيلاتها للإدراك البشرى وبحثه وكده، وصوابه وخطئه، ولم يتكفل المنهاج القرآنى ببيان تفصيلاتها له، فالعقل البشرى يعيش عصره ومألوفه من الخبرات والعادات، كما أن التجربة وسيلة ضرورية لتمييز المعانى بالواقع، كالمفاسد والمصالح والحسن والقبيح فكلها تدرك بالتجربة وبها تستفاد؛ لأنها جزئية تتعلق بالمحسوسات، وصدقها وكذبها يظهر قريبًا فى الواقع، وهناك العديد من التوجيهات القرآنية التى

(١) سورة الزمر : ٢٧

(٢) سورة الحشر : من الآية ٧

(٣) سورة النحل : من الآية ٤٣

تحض على الاحتكاك المباشر بالبيئة والتعلم من خلالها، كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] .

ولم يقتصر التوجيه على التربية من خلال البيئة الطبيعية، وإنما وجه إلى تأثير البيئة الاجتماعية والتربية من خلالها كما سبق أن ذكرنا.

وهكذا يؤكد الإسلام فى ضوء هذا المدخل على ضرورة قيام التربية البيئية على أسس المعايشة والمشاركة فى البيئة الاجتماعية والطبيعية، والتفاعل مع مصادر الخبرة المباشرة واكتساب المفاهيم والاتجاهات والسلوكيات فى سياق عملية المعاناة الفعلية للخبرة والانفعال، ومدارستها بالنظر والاستقراء والتجربة وتنمى المهارات والكفاءات البيئية من خلال التمرس الفعلى عليها فى الواقع البيئى .

ب- وفى ضوء الجانب المستهدف من التربية البيئية:

أكد الإسلام فى سياق توجيهاته العامة على سيادة الإنسان وتكريمه على كافة المكونات البيئية الطبيعية وتسخيرها لمنفعته، واستخلافه فيها، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[3] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[4] .

---

(١) سورة العنكبوت : من الآية ٢٠

(٢) سورة الجاثية : ٣ ـ ٥

(٣) سورة الإسراء ٧٠

(٤) سورة لقمان : من الآية ٢٠

وقد يبدو الإنسان ـ في ظل هذا التسخير ـ الكيان المستهدف في علاقة الإنسان بالبيئة، ومن ثم يتبادر للذهن أن التربية البيئية في الإسلام، هي تربية من أجل الإنسان واستخلافه في الأرض وتسخير مكوناتها له .

ولكن الإنسان في انتفاعه من البيئة الطبيعية وتسخيرها، محكوم بالعديد من المعايير الإسلامية التي تستهدف صيانة البيئة من الظلم والأذى وعلاج مشكلاتها، مثل قيم الرفق والصيانة والاقتصاد والإصلاح والعناية والإعمار وغيرها من القيم، ومن ثم قد يصح القول بأن التربية البيئية في الإسلام «تربية من أجل البيئة» وصيانتها من المشكلات .

إلا أن غايات الإسلام لا تنحصر في تسخير البيئة للإنسان أو حمايتها وعلاج مشكلاتها فالمسلم يدور أبداً في فلك عقيدته، وهو يحيا لها، لا لتراب الأرض ولا لمصلحته[1]، فقد أكد الإسلام على أن منطلقه وغايته النهائية تتمثل في التوحيد لله، وما يتضمنه من الهداية إلى الخالق وسننه في الكون والإنسانية، والإخلاص له بالمشاعر، وعبوديته بالطاعات، وعملاً بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2] ويقول: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[3] .

وهكذا يستخلص أن التربية البيئية في الإسلام لا تتحدد بمعايير «التربية من أجل الإنسان» أو «التربية من أجل البيئة» ، وصيانتها من المشكلات والانتهاكات الإنسانية : بل يتعدى كل ذلك، إلى كونها تربية لتنمية معايير التوحيد لله في الأرض واستخلافه، وما تتضمنه هذه المعايير في مجالات الإدراك للبيئة ومشكلاتها، والانفعال بها، والتفاعل معها .

(١) عابد توفيق الهاشمي مرجع سابق ص ١٢
(٢) سورة الأنعام : ١٦٢
(٣) سورة الذاريات : ٥٦

ويتطلب هذا المفهـوم تكاتف جميع الجهود التربوية، والمناشط بصـدد البيئة ومشكلاتها فى إطار قـيم التوحيد والخلافة وتستهدفها كأطر مـعيارية، وأن تنتظم جميع الدراسات الإنسانية والطبيعية وتتكامل لتحقيق هذه الأهداف .

وفى ضوء ما سـبق يمكن تعريف التربية الـبيئية من المنظور الإسـلامى بأنها: «مجـموع العـمليـات والأنشطة التى تؤدى إلى تنميـة الهداية والإدراك للـمعايـير الإسلامية الحاكمة لعلاقة الإنسان بـالبيئة الكلية ومكوناتها ، وما يتضـمنه ذلك من التوعية بالمسئوليات والأدوار، وتنمية الاتجاهات والسلوكيات الفردية والجماعية بصدد البيئة ومشكلاتها، فى إطار معايير التوحيد والاستخلاف».

وبتحليل هذا التعريف فإنه يتضمن ما يلى :.

١ ـ ينطلق التـعـريف من مـعاييـر الإسـلام فى مـجالى التـوحـيـد والخلافـة ويستهدفها كـما يتضمن جميع أبعاد الحياة الشعورية للإنسـان كالمجال المعرفى (وما يعـتمد عليه من تنمـية الهداية إلى الخـالق ومعرفة أفـعاله وسننه فى البيئـتين الاجتـماعيـة والطبيعـية)، والمجـال الوجدانى (وما يشـير إليه من تنمـية مشـاعر الإخلاص لله والانتماء الإسـلامى ، والإنساني فى التعاطف مع الطبيـعة والتحرر الوجدانى منها)، والمجال السلوكى (وما يتضمنه من تنمية العبودية لله والممارسة للمعـايير الإسلاميـة فى مجالى المـعاملة الإنسانية والتسخيـر للطبيعة والانتـفاع منها).

٢ ـ ويؤكد على تنميـة المكونات الشعورية للإنسان على المسـتويين الفردى والجمـاعى ، وما ينطـوى عليه المـستوى الأول من الـوعى بالمسئوليات الـذاتية والاتجـاه الإيجابى نحـوها والاضطلاع بهـا، بينما ينطـوى المسـتوى الثـانى على التنمية للمـسئوليات الجـماعية، وللمشـاركة فى المجالات الإدراكيـة والوجدانية والسلوكية، بصدد البيئة ومكوناتها ومشكلاتها .

٣ ـ يستهدف الارتقاء بعلاقة الإنسان بالبيئة بمفهومها الشامل ومكوناتها الاجتماعية والطبيعية، فى المستويات المحلية والقطرية والإقليمية والعالمية، وفى إطار الوضعية البيئية المتوازنة، أو فى إطار ما تعانيه البيئة من مشكلات واختلالات ، والارتقاء بما يتحمله الإنسان من أدوار فى إطار التوجهات الإسلامية وما ينبثق عنها من تشريعات ووسائل فنية .

ثانياً : مداخل التربية البيئية فى الإسلام :

يمكن تحليل مداخل التربية البيئية فى الإسلام من خلال مدخلين رئيسين اصطلح عليهما الباحث (المدخل المتمركز حول الفرد)، (والمدخل المتمركز حول البيئة)، ويتفرع عن كليهما مداخل فرعية وفيما يلى تحليل للمدخلين الأساسيين وما يتفرع عنهما من فروع .

أ ـ المدخل المتمركز حول الفرد :

يتمثل هذا المدخل فى مجموع الإجراءات التربوية التى تنصب على الشخصية الإنسانية، والموجهة لتنمية المتعلم معرفيًا ووجدانيًا وسلوكيًا، وهكذا يمكن تصنيف فروع هذا المدخل إلى : التنمية المعرفية، والتوجيه الوجدانى الانفعالى، والتدريب السلوكى .

حيث إن :

١ . التنمية المعرفية :

وتتمثل فى تنمية عمليات الفكر والإدراك واكتساب المعارف والقدرة على الفهم والتحليل والتركيب والتقويم للمعانى المتصلة بالبيئة ونظمها وتفاعلاتها وسننها ومعايير التعامل معها، ولوسائل وقايتها وعلاجها من المشكلات فى إطار موجهات الإسلام، وتشريعاته، والوسائل الفنية .

وتتحقق التـربية المعرفـية فى ضوء الرؤية الإسلامـية للمشكلات البيـئية، من خلال تنمـية الوعى بالموقف الإسلامى من المـشكلات المختلفـة، وتحليل أبعاد هذا الموقف ومعرفة أدلته، وإدراك مخـتلف الاتجاهات وتقويمها، واتخاذ موقف فكرى منها، وكذا معرفة واستيعاب الموجـهات الإسلامية لعلاج كل مشكلة بيئية على حدة، وإدراك التشريعات البيئية والوسائل الفنية المنبثقة من هذه الموجهات، ومعرفة مـا أقره الإسلام من أدوار لكل من الفرد والجماعة والدولة، ومـسئولياتهم بصدد مختلف المشكلات البيئية .

٢ـ التوجيه الوجدانى الانفعالى :

ويتمثل فى إثارة الرغبـة والرهبة، وتنميه الميول والاتجاهات الإسـلامية، مما يؤدى إلى تحـقيق فـهم أفضل للبـيئـة، وارتقاء بالمـشاعـر والسلوكـيات البـيئـية الإسلامية.

ويتحقق التـوجيه الانفعالى فى ظل الرؤية الإسـلامية للمشكلات البيـئية، من خلال تنمية المشاعر والميـول والاتجاهات الموجهة لفهم الموقف الإسلامى من سائر المشكلات الـبيئية، وكـذا الاتجاهات الإيجابية لتبنـى هذا الموقف والالتزام به، سـواء كـانت هـذه الاتجـاهات فى مـجـالات الوقـايـة أو العـلاج، وفى إطار الموجهات أو التشريعات أو الوسائل الفنية .

فمـثلاً فى ضـوء الموقف الإسـلامى من مشكلات التـخلف (الفقـر والجهل والمرض) يـتمثل التـوجيـه الانفعـالى، فى تنميـة الاهتمام بـالتكافل الاجتـماعى الالتزامى والـتطوعى، والاتجاهات الإيجـابية الموجـهة لاحـترام العمـل وإتقانه، والصبـر فى أحوال الغنى والفقـر والصحة والمـرض، وتحفيـز الاتجاهات لطلب العلم وتعليمه وصيانة أدواته ووسائله، والاتجاهات اللازمة لصيانة كل من النظافة الشخـصيـة والعامة واتجـاهات الاعتـدال فى جميع الأحـوال، ونبذ الانحـرافات

الانفعالية كالتواكل والانسحابية والسلبية والشره والبطر، وغير ذلك من الموجهات التي سبق تفصيلها .

٣ـ التدريب السلوكى :

ويتمثل فى اكتساب الأفراد سائر المهارات البيئية وسلوكياتها وتدريبهم على سائر العادات والطاعات وأعمال العبودية لله، بما يحقق مردودا إيجابيا على كل من الفهم للبيئة والاتجاهات البيئية وسلوكياتها .

ويتمثل التدريب السلوكى فى ضوء الموقف الإسلامى من المشكلات البيئية، فى اكتساب الأفراد ـ بجميع مستوياتهم ـ المهارات والكفايات اللازمة للتعامل مع المشكلات البيئية وفقا للمعايير الإسلامية وما توجه إليه فى مجال التشريعات والوسائل الفنية، وتدريب الأفراد على ممارسة هذه المهارات والكفايات فى مجالات الوقاية أو العلاج والتعامل مع الآثار .

فمثلا يتحقق العلاج لمشكلتى استنزاف الموارد الطبيعية والتلوث من خلال تدريب الأفراد على كافة أشكال صيانة الموارد البيئية من الإسراف والتفريط والإفساد، والتمرس على أساليب الإصلاح لاختلالاتها، وإعمار وتنمية المناطق غير المأهولة، بالإضافة إلى التدريب على أنسب الأساليب الاستهلاكية والإنتاجية والاقتصادية فى جميع الأحوال، والالتزام التطوعى بالتشريعات البيئية المنبثقة من روح الإسلام وموجهاته فى مجال التعامل مع هاتين المشكلتين وتحمل التبعات والمسئوليات عن الانتهاكات فى حق كل من البيئة الاجتماعية والطبيعية .

ب ـ المدخل المتمركز حول البيئة :

يؤكد الإسلام على الدور التربوى للبيئة سواء كانت اجتماعية أو طبيعية، ويصدق هذا التأثير على ما يتصل بالتربية عموماً ، والتربية البيئية خصوصًا، فكل

من البيــئة الاجتــماعية والبـيئة الطبـيعية يـعد مصدراً ومـجالاً يتم من خلاله تنمـية المـعارف والاتجـاهات والسلوكـيات البـيـئـيـة الفردية أو الـجمـاعيـة ، فى إطار المـوجهـات الإسلامـية، ويـلخص ذلك قول الله عـز وجل : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١).

وهكذا ، وفى إطار هذا الـمدخل يـمكن تحليل التـأثيـر التـربوى للبـيـئـة فى مجالين :

١ـ تأثير البيئة الاجتماعية :

يؤكد الإسلام على الأثر الفعـال للبيئة الاجتماعية، فى تحـقيق أهداف التربية الإسـلامية، وتتنوع وسـائـل التأثيـر للوسط الاجـتمـاعى، بين التـربية والتـعليم ، والتوجيـه والإرشاد، والقدرة والمصـاحبة(٢)، وقـد عدد المـفكرون المـسلمـون المنافع التى تحققها المـخالطة للبيئة الاجتماعيـة ، ذكر منها الغزالى ما يدخل فى مجال التربية والتعليم والتعلم ، والتأديب والتأدب، والاستفادة بالتجارب(٣)، وقال ابن خلدون :«إن الإنسان ابن عوائده ومـألوفه لا ابن طبيعته ومـزاجه ، فالذى ألفه فى الأحوال حتى صار خلقًا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة»(٤) والمناخ الاجـتمـاعى الصالح أثره الإيجـابى فى التـشريط لأفـعال العـباد، واسـتجـاباتهم الإيجابية، وكف ما يناقـضها، هذا فضلا عن دوره فى تنمية المعـانى الإسلامية فى إطار الهداية، وتـدعيم اتجاهاتهـا وسلوكيـاتهم الإيجابيـة، (فالبيـئة الإيمـانية التى تمارس فيها المعانى الإسلامية تنشط الإنسان فى ممارستها قولاً وسلوكًا ،وتزدهر

(١) سورة الذاريات : ٢٠ ـ ٢١

(٢) عابد توفيق الهاشمى: مرجع سابق ص ١٧٣ (بتصرف)

(٣) الغزالى (أبو حامد) : مرجع سابق ج ٣، ص ٢١٥ (بتصرف)

(٤) ابن خلدون (عبد الرحمن) مرجع سابق ج ١ ص ١٧٠ ـ ١٧١

حينما تجد بيئة صالحة مشجعة، يتذوق فيها الإنسان معانى الخير الذى يمارسه ويرى بأم عينيه آثاره الحسنة فى واقعه، ويزداد تعلقًا به، إضافة إلى آثار الخير الإسلامى نفسها دعاية إعلامية من غير إعلان لعظمة الإسلام فى إصلاح الواقع، مما يغرى الكثيرين بالإقبال على الإسلام يفهمونه ويمارسونه)[1]، كما سبقت الإشارة، فإن البيئة التى يتسابق فيها الصالحون فى التعبير عن مشاعر المحبة والإيثار وغيرها من المشاعر الإيجابية تورث فى نفوس أقرانهم ما يماثل هذه المشاعر فتزيد مرة أخرى فى بيئة التنظيم الاجتماعى ودًا وتكافلاً وإحسانًا وهكذا يتحقق نوع من التدعيم الانفعالى والسلوكى المستمر، وعلى النقيض من ذلك البيئة الفاسدة التى تشتعل فيها روح المنافسة على المآرب الخاصة وفضول العيش فتورث فى النفوس الضغائن ومشاعر الحقد والحسد، نتيجة لفوات المقاصد والأهداف، ونتيجة للترقب والتربص للآخرين ممن فازوا بهذه المقاصد، فترتد هذه المشاعر فى البيئة الاجتماعية فى صورة سلوكيات الشماتة والسخرية والتشاحن ، والتفحش بالقول والفعل، وتزداد النفوس اشتعالاً وغضبًا. ويستمر التدعيم السلوكى الانفعالى، فى اتجاهات السلبية من وإلى البيئة، كما تحتجب عن هذه البيئة المعانى الإسلامية ، لغياب النماذج الفردية التى تجسدها ، ولعدم التمرس عليها سلوكياً .

ومما جاء من نماذج التأثير التربوى للبيئة، ما أكد عليه الإسلام من تأثير كل من الأسرة وجماعة الرفاق والمجتمع الأوسع، فبالنسبة للأسرة جاء قول الرسول ﷺ : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟)[2] ويشير الحديث إلى

---

(١) عابد توفيق الهاشمى: مرجع سابق ص ٤٨.

(٢) متفق عليه: مرجع سابق ج٣ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ وأخرجه مالك

تأثير البيئة الأسرية فى الفرد، بالقـدوة أو الترغيب أو التعليم، سلبًا أو إيجابًا ، وقد سبق الحديث عنه فى باب سابق .

كما يشير الإسلام إلى تأثير بيئة التنظيم الاجتماعى وبخاصة جماعة الرفاق أو ما يعرف بالأخـلاء، إيجابًا أو سلبًا، كما جـاء فى قوله تعالى : ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٣) . وهكذا تبـين الآيات السابقـة التأثير السلبى لقرناء السوء فى الدنيا والآخرة ، كما جاء عن الرسول ﷺ :

« **مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك (أى يعطيك) ، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة**»(٤)، وفى الحديث إشارة إلى تأثيـر كل من الرفيق الصـالح ورفـيق السوء، فـضلا عن الـترغـيب فى مصـاحبـة ومجالسة من ينتفع منه دينًا ودنيا، والتنفير من مضاد ذلك .

ولا يغـفل رجال التـربية مـا للمناخ المـدرسى العام، ومـا يشيع فـيه من قـيم وسلوكيات وما يشـمله من علاقات متعددة بين المشتـركين فى العمل المدرسى،

(١) سورة الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩

(٢) سورة فصلت : ٢٥

(٣) سورة يونس : ١٢

(٤) متفق عليه، مرجع سابق ، ص ٢٠٣

من تأثير على ما يكتسبه التلميذ من قيم واتجاهات وسلوكيات[1] .

كما أكد الإسلام على التأثير التربوى للبيئة الجماعية على الفرد، من خلال ما تحض عليه من الخير، وتأمر به من المعروف، أو تنهى عنه من المنكر والمفاسد ومن ذلك ما جاء فى حق المسلمين من قول الله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[2] بينما جاء فى حق المنافقين قوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[3].

وتلعب تشريعات المجتمع بخاصة، دورًا تربويًا من خلال ما تساهم به من تشكيل الاتجاهات وتنمية المدارك وتعديل السلوكيات، وتكون بمثابة ضوابط أخلاقية واجتماعية للأفراد، وروادع للمستفيدين منهم بصفة خاصة، أو إصلاح لهم وتثبيت للمصلحين والمحسنين فى البيئة، وللشريعة الإسلامية آثارها التربوية عندما تعرض من خلال الأساليب المختلفة وخاصة العبرة من التاريخ، والترغيب والترهيب، والحض على التقوى ومخافة الله[4]، ويكتسب الفرد هذه التشريعات ويتعلم ما توجه إليه من ضوابط من خلال مؤسسات المجتمع وبخاصة التربوية .

وقد أشير إلى أنه، على الرغم من أهمية النموذج النفسى للتنمية والتحديث، وهو المتضمن مسبقًا فى المدخل المتمركز حول الفرد، وما يمكن أن تنميه

---

(١) رئاسة الجمهورية ، المجالس القومية المتخصصة ، التعليم والحفاظ على البيئة ، مصر ، مرجع سابق ص ٢٤.

(٢) سورة آل عمران : ١١٠

(٣) سورة التوبة : ٦٧

(٤) عبد الرحمن النحلاوى ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ، ط٢ ، دار الفكر، دمشق ، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨)، ص ٦٥ ـ ٦٦) بتصرف .

الجهود التربوية فى إطار هذا النموذج، من التصورات والمعارف والمهارات والقابلية للتغير والنظام ـ إلا أنه لن يستطيع أن يخلق الفرص المعززة لهذه السمات ؛ لأن ما يصنع الفرص المعززة هى التغيرات البنيوية فى الواقع الاجتماعى والثقافى نفسه(١) ومن ثم يجب أن نهتم بالبيئة الاجتماعية ، وإصلاحها والتعامل معها بما يساعد على تدعيم وتعزيز الجهود التربوية .

٢ـ تأثير البيئة الطبيعية :

أشار الإسلام إلى تأثير البيئة الطبيعية على فكر الإنسان ووجدانه وسلوكياته، وقد يكون هذا التأثير إيجابيًا أو سلبيًا، فالبيئة الطبيعية وما بها من مكونات من جملة ابتلاء الإنسان، كما أنها تحكم تصرفاته سواء كانت صعبة المراس أو وافرة وغنية، وسواء كانت صالحة ونظيفة أو فاسدة وملوثة .

وفضلاً عما سبق فقد أكد الإسلام على ما للبيئة الطبيعية ومكوناتها، وما يحكمها من سنن ـ من تأثير إيجابى على فكر الإنسان وهدايته إلى خالقه ، وعبوديته ، والإخلاص له بالمشاعر، يقول تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾(٢) ويقول: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾(٣) ويقول : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾(٤) ويقول : ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ . وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا**

---

(١) محمود قمبر وآخرون، التربية وترقية المجتمع، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(٢) سورة فصلت : ٥٣

(٣) سورة الروم · ٢٤

(٤) سورة الزخرف : ١٠

رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[1] .

ومن ثم جاء توجيه الإسلام إلى التربية من خلال البيئة الطبيعية والاستفادة مما يحكمها من سنن إلهية .

(١) سورة ق : ٦-٨

الفصل الثانى

أساليب التربية البيئية وطرائقها فى الإسلام

اتخذ الإسلام أساليب تربوية وطرائق متنوعة لتحقيق غاياته وأهدافه وفى مجال التربية البيئية لا يمكن فصل هذه الأساليب والطرائق عن موجهات الإسلام وقيمه، وما تقوم عليه فلسفته التربوية (فنوع الأسلوب المتبع واختيار المضمون يتأثران لا محالة بأنظمة القيم الخاصة بالأفراد والمجتمعات أيضًا، وسرعان ما يصبح بعض هذه القيم، ضمنًا أو صراحة جزءا من محتوى المنهج (منهج مستتر أحيانًا) ويؤثر بالتالى على المتعلمين سواء كانوا فئة صغيرة أو كبيرة [١].

وارتباطًا بما سبق من مداخل التربيه البيئية فى الإسلام، يمكن تحليل الأساليب والطرائق إلى ما يتصل بالمدخل المتمركز حول الفرد، وما يتصل بالمدخل المتمركز حول البيئة .

حيث إن :

أولاً : أساليب وطرائق المدخل المتمركز حول الفرد :

تعامل الإسلام مع جميع عناصر الخبرة الشعورية للفرد، ومن ثم تنوعت أساليبه وطرائقه فى مجال التربية البيئية معرفيًا ووجدانيًا وسلوكياً [٢].

(١) اليونسكو، التربية السكانية، اهتمام مامر، مرجع سابق ص ١١٠.

(٢) التربية الإسلامية فى الإسلام، دراسة تحليلية ، رسالة دكتوراة ، مرجع سابق ص ٢٣٦.

١- أساليب وطرائق التنمية المعرفية:-

تنوعت أساليب وطرائق التنمية المعرفية حول البيئة ومشكلاتها، ومعايير التعامل معها فى الإسلام، وقد تمثلت أهميتها فيما يلى :

أ- التوجيه المباشر إلى المعانى الإسلامية والمفاهيم الخاصة بالبيئة، ومشكلاتها ومعايير التعامل معها، ومن أنواع التوجيه المباشر، أسلوب الوعظ وهو (النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل)[(١)]، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ**﴾[(٢)] ، وهناك ما يعرف بأسلوب التلقين، وهو يقوم على إمداد الفرد بما يحتاجه من مفاهيم ومعان ومعارف بغض النظر عن بيان الحكمة والمنفعة من ورائها .

وقد يصنف التلقين أو المدخل المباشر ، عمومًا إلى أسلوبين ، يصطلح على الأول منها النمط التوجيهى Diretive، وتوظف فيه العمليات اللفظية لتوجيه المتعلم إلى نوع جديد من السلوك أو دعم لون من السلوك قائم يراد تثبيته واستمراره بينما يصطلح على النمط الثانى الأسلوب الإعلامى Informative، وهو الذى يهدف إلى إضافة شىء إلى ما يعرف، أو تعديل جانب منه[(٣)] وقد يتفرع التوجبه المباشر فى استراتيجيتين للتعلم، وتقوم الأولى على الإقناع وتفسير الحكمة من التوجيهات ، كما فى قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**

(١) عبد الرحمن النحلاوى، مرجع سابق ، ص ٢٨١

(٢) سورة النساء : من الآية ٥٨

(٣) المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، دراسة نفسية تربوية سيد عثمان، مرجع سابق ص ١٦٨ .

وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١) ، وتقوم الاستراتيجية الثانية على الالتزام بغض النظر عن تفسير الحكمة من التوجيه، كما فى قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(٢) وقوله تعالى: **﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**(٣) .

وقد لجأ الرسول ﷺ وهو الأسوة الحسنة للمسلميس ، إلى التلقين والتوجيه المباشر، فضلاً على الكتاب المنزل، وهو كله من أوله إلى آخره تلقين وتوجيه(٤). هكذا يكون التوجيه المباشر مطلبًا تربويًا فى مجال التنمية المعرفية للفرد بجميع مستوياته الإنمائية ، فالبشر جميعًا مهما علت مراتبهم واستقامت نظراتهم لا يمكن أن يتم بنيانهم النفسى كله بالتلقى التلقائى عن طريق القدوة وغيرها، ولابد أن يحتاجوا إلى التلقين والتوجيه بين الحين والحين)(٥) .

والأطفال على وجه الخصوص أكثر احتياجًا إلى التوجيه المعرفى المباشر نظرا لشغفهم بالمعرفة وحب الاستطلاع لديهم، علاوة على نقص خبراتهم بالمقارنة بالكبار .

وهناك حاجة ضرورية لاستراتيجيتى الإقناع والالتزام ، فلا بأس من أن تستند المعرفة والمعلومات الخاصة بالبيئة ومشكلاتها ومعايير التعامل معها ـ إلى أسس منطقية واقتناع، خاصة بالنسبة للناضجين، فهذا أدعى إلى الاستفادة من التوجيهات المعرفية والعمل بها أكثر مما لو كان التوجيه والتلقين على أسس غير مفهومة للمتعلم . ومع ذلك فهناك أمور لابد من الإلزام بها معرفيًا دون اشتراط

(١) سورة المائدة : ٩٠ ـ ٩١
(٢) سورة البقرة : ١٧٣
(٣) سورة الأعراف : ٥٦
(٤) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٢ ، دار الشرق ، القاهرة ١٩٨١ ص١٢٢.
(٥) نفس المرجع السابق ص ١٢٣.

معرفة الحكمـة من ورائها خاصة بالنسبة للأطفال الصـغار الذين تضعف قدراتهم عن إدراك الحكمـة، ومن هنا قد يكون اشـتراط اقـتناعـهم ، لتنفيـذ ما يتلقـونه من مفـاهيم ومعلومـات، مضرا بـهم وبغيرهم إلا أن هنـاك حدودًا للتوجـيه المـعرفى الإلزامى من المــربين الذين يقع عـليـهم العبء الأكـبـر فى عـمليــة التـدريس والتعليم[1] فيجب ألا يأمروا إلاّ بما له فائدة حقـيقية ، ويكون الأمر قاصرًا على ما لا يحسن الطفل التصـرف فيه، وأن يتركوا له مـجالاً للاختيار، حـتى ينشأ بطريقة إيجابـية معـتمـدًا على ذاته قادرًا على التـفكير وإلا انتـهى به الأمر إلى الاسـتكانة والانطواء إذا كان لينًا، أو إلى التمـرد إن كان شديد المراس[2]، ومن الأمور التى يلزم بها المتعلم معرفيًا، مـاثبت من توجيهات الإسلام وأوامر الخالق ونواهيه وإن لم يفهم الحكمة منها، لأن المسلم ملزم بالطاعة المطلقة لخالقه[3]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[4].

ولو فعل الإنسـان ما يؤمر به من خالـقه لكان خيرا له، إذ يقـول تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**﴾[5] . ويقـول: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[6].

ويشتـرط فى التعليم اللفظى، كـأداة أساسيـة للتوجيـه المباشـر، أن يكون للألفاظ معنى فى ذاتهـا، ومغزى لدى المـتعلم، وأن يكون التعليم اللفـظى ذا بنية وتنظيم،

(١) أسلمـة مناهج العلوم المدرسـية (تصـور مقـترح) حمـدى أبو الفتـوح ط١ ، دار الوفاء للـطباعة والـنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٦، ص ١١٧
(٢) محمد قطب، مرجع سابق ، ص ١٢٦
(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٢٤
(٤) سورة الأحزاب : ٣٦
(٥) سورة النساء : ٦٦
(٦) سورة البقرة : ٢٣٢

فى عباراته وألفاظه، وأن يكون صادق الصلة بالواقع، ويكون المعلم ذا مصداقية أى : لا يعلم غيره ما لا يؤمن به[1] أى يكون التوجيه صادرا عن أسوة حسنة مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[2] ، كما يشترط أن يقوم التوجيه والوعظ على الرفق والحلم من المعلم، فكما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[3]. ومن هنا قال ابن حزم «فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار فقد أخطأ وتعدى طريقته ﷺ وصار فى أكثر الأمر مغريًا للموعوظ بالتمادى على أمره لجاجًا ومرجعًا للواعظ الجافى، فيكون فى وعظه مسيئًا لا محسنًا» [4].

ومن المقومات الأخرى للتوجيه المباشر، التدريج من البسيط إلى المعقد، والصبر على مقاومة التغيير، وحق المناقشة والاعتراض والمخالفة من المتعلم[5] ومراعاة الفروق الفردية .

ب- التربية بالاعتبار:

« العبرة أو الاعتبار حالة نفسية توصل الإنسان إلى معرفة المغزى والمآل لأمر ما يشاهده الإنسان، ويتبصر فيه باستقرائه وموازنته ومقايسته ومحاكمته محاكمة عقلية، فيصل إلى نتيجة مؤثرة يخشع لها قلبه، فيندفع بذلك إلى سلوك فكرى واجتماعى مناسب»[6]

ومن أنواع الاعتبارات كما جاء فى القرآن والسنة[7] .

(١) انظر سيد عثمان، مرجع سابق ، ص ١٦٩ - ١٧٣

(٢) سورة الصف : ٢ - ٣

(٣) سورة ال عمران : ١٥٩

(٤) سعيد طه محمود أبو السعود رسالة الدكتوراة مرجع سابق ص ٢٤٠

(٥) انظرسيد عثمان ، مرجع سابق ، ص ١٧٩

(٦) عبد الرحمن النحلاوى ، مرجع سابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣

(٧) المرجع السابق ص ٢٧٢ - ٢٧٨

١ ـ الاعتبار بالقصص، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾(١) .

٢ ـ الاعتبار بنعم الله ومخلوقاته ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(٢).

٣ ـ الاعتبار بالحوادث التاريخية، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾(٣) .

وهكذا يمكن الاستناد إلى منهج الاعتبار والتأمل فيما يعرض للمتعلم من مفاهيم ومعلومات بيئية فى سياق ما يدرسه من القصص القرآنى أو النبوى ، وقياسًا عليها القصص الأدبية ذات النهج الإسلامى المحقق للخير، وكذا التفكير والتأمل الذاتى من المتعلم فيما يعرض له من دراسات حول الكائنات والتاريخ الإنسانى واستخلاص السنن الإلهية فى خلقه من الكائنات الطبيعية أو من بنى الإنسان .

ج ـ الأسلوب القصصى :

استخدام الإسلام الأسلوب القصصى فى جميع مجالات التنمية للفرد معرفيًا ووجدانيًا وسلوكيًا، كما استخدمت القصة كوسيط لتحقيق بعض الأساليب التربوية الأخرى كالتربية بالاعتبار أو الأمثال أو الموعظة (فهى سجل حافل بجميع التوجيهات)(٤)، ولعل مجال التنمية المعرفية من أهم المجالات التى

---

(١) سورة يوسف : ١١١

(٢) سورة المؤمنون : ٢١

(٣) سورة ال عمران : ١٣

(٤) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ج١ (فى النظرية) دار الشروق القاهرة ١٩٨٠ ـ ص ١٩٤ .

يستخدم فيها الإسلام الأسلوب القصصى، لمعرفة سنن الله فى خلقه من الصالحين والمحسنين أو المفسدين والمسرفين، وما ينطوى تحت هذه الأنماط من نماذج إنسانية، ولمعرفة العديد من الموجهات القيمية الإسلامية الحاكمة لعلاقة الإنسان بالبيئة ومشكلاتها، يقول تعالى : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[١] .

واستخدام القرآن ـ وكذا السنة ـ للأسلوب القصصى يزكيه كأسلوب تربوى فى مجال التنمية للمفاهيم والمدركات وسائر المعارف الخاصة بالبيئة ومشكلاتها ومعايير التعامل معها سواء للكبار أو الصغار ، وخاصة لما لهذا الأسلوب من مميزات أهمها قدرته على إثارة انتباه المتلقى، وإحداث نوع من التربية المستترة دون مواجهة للفرد أو تلقين مباشر ويدعم من تأثير الأسلوب القصصى ما يثيره من انفعالات ومشاعر بجانب الوعى كما يتميز الأسلوب القصصى بقدرته على تنمية التفكير العلمى والمنطقى خاصة عندما يكون الحوار القصصى مدعومًا بالحجة والبرهان بين شخوص القصة [٢].

ويتضمن ما سبق إمكانية استخدام القصة سواء كانت دينية أو أدبية من خلال علوم اللغة والأدب، على أن يصاغ النوع الأخير بلغة مهذبة وسهلة ومشرقة لجمهور المتعلمين ، وأن يبتغى الفضائل[٣]، كما ينبغى أن يناقش المتعلمون فيما يعرض لهم من قصص لاستخلاص العبر والمدركات المرغوبة .

(١) سورة يوسف : ٢ ـ ٣

(٢) عبد الرحمن النحلاوى، مرجع سابق، ص ٢٣٧

(٣) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ١٥٥

د. أسلوب الحوار:

ومعنى الحوار «أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر ، عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف.. وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر ، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا »(1).

وهكذا يمكن أن يقتدى المربون بأسلوب الحوار القرآنى والنبوى فى مجالات التنمية المعرفية للمتعلمين، خاصة فى مجال الارتقاء بالوعى البيئى، وما يرتبط به من المدركات والمفاهيم حول البيئة وقضاياها ومعايير التعامل معها، وآثارها فى الدنيا والآخرة، ومن الممكن الاستفادة بالحوار القرآنى أو النبوى، والصياغة لأنماط من الحوار على شاكلته لتحقيق الأغراض المعرفية فى مجال التربية البيئية. ويمكن للمعلم الاستفادة مما فى النصوص القرآنية والنبوية، من أشكال الحوار، ويناقش المتعلم فيها ويتعرف على رأيه وموقفه منها ـ بقصد تنمية وعيه وتفكيره عن الحياة والعلاقات الاجتماعية ودور الإنسان ومهمته فى الكون(2). وينبغى تشجيع المتعلمين على الحوار المنطقى الهادف الموضوعى بخصوص القضايا البيئية وموقف الإنسان منها، وقد يشارك المتعلم، ذاتيًا فى الحوار أو يستمع إليه .

ومن أهمْ التطبيقات لأسلوب الحوار وبخاصة الجدلى فى مجال التربية البيئية، ما يعرف بأسلوب المجابهة أو المعارضة Confrontation وفيه يواجه الطالب العديد من الآراء المختلفة والمتناقضة بين ما يدرسه وما يعتقده ومن واجب المعلم أن يناقش هذه الاختلافات والتناقضات، وقد يقدم المعلم مقتطفات صغيرة أو كبيرة لآراء متباينة لخبيرين (أو أكثر) وربما يوضح

(1) عبد الرحمن النحلاوى، مرجع سابق ص ٢٠٦

(2) عبد الرحمن النحلاوى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤

الاتجاهات ويوازن بينها، ويترك الحكم النهائى للطالب دون إلزامه برأى معين وهناك الكثير من الأفكار المتناقضة والقضايا الجدلية التى يمكن أن يثار حولها الحوار بين مؤيد ومعارض، مثل قضايا السكان ومعدلات نموها .. وقضايا تعارض المصلحة الفردية والمصلحة العامة(١) وغير ذلك من القضايا الجدلية فى التربية البيئية ويمكن بالقياس على ذلك إجراء الحوار العلمى الهادف حول قضايا البيئة من خلال الندوات والمؤتمرات . وقد يشارك طلاب المراحل التعليمية المتقدمة فى مثل هذه الأنشطة وقد يكتفى بالمشاركة السلبية، سواء بالاستماع أو المشاهدة، بالنسبة للمتسويات الأدنى .

هـ ـ أسلوب التشبيه (ضرب الأمثال):

اتخذ الإسلام ـ من خلال القرآن والسنة ـ الأمثال طريقة لتنمية المعرفة بالقضايا الإسلامية، ومنها الموجهات لعلاقة الإنسان بالبيئة قال المولى عز وجل : **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**(٢).

وتتعدد الأغراض المعروفة لضرب الأمثال ، ومنها التذكر كما فى الآية السابقة، ومنها التفكر مصداقًا لقوله تعالى: **﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(٣) ومنها العلم والتعقل مصداقًا لقوله تعالى: **﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾**(٤) ومنها الحجة والاقتناع ؛ مصداقًا لقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾**(٥) .

(١) أسس وأهداف وأساليب ووسائل التربية البيئية، محمد السيد جميل، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض ١٩٩٠ ـ ص ١٢٧

(٢) سورة الزمر : ٢٧

(٣) سورة الحشر : ٢١

(٤) سورة العنكبوت : ٤٣

(٥) سورة الكهف : ٥٤

وقد تعددت وسائل التمثيل ومجالاته إذ لا يترك القرآن شيئًا خلقه الله، فيه دلالة على قدرته ويمكن أن يُؤَدَّى غرض التمثيل به، إلا ضربه مثلاً؛ ليعقل من يعقل، ويبصر من يبصر، ويذكر من يذكر(١) .

ومن وسائل التمثيل ومجالاته فى الإسلام، والنماذج البشرية لبيان معنى الكفر والإيمان(٢) والعلاقات الاقتصادية لتفسير معنى التوحيد أو الشرك(٣) ، وأنماط البيئات الاجتماعية كالقرية(٤) والقصة الإنسانية لتفسير سنة إلهية فى البيئة الاجتماعية(٥)، وقد يضرب المثل بأحد الموارد البيئية، كالنبات الذى يختلط بالماء فيصبح هشيمًا ـ تمثيلاً للحياة الدنيا(٦)، والحبة التى تنبت أضعاف أضعافها لتمثيل الإنفاق فى سبيل الله(٧)، وقد تستخدم الموارد لتفسير السنة الإلهية، كما جاء من حديث الرسول ﷺ فى تشبيه المؤمن بالخامة من الزرع والمنافق بالأرزة، واختلاف أحوالها بداية ونهاية ، وقد يستخدم المورد البيئى كالشجرة الطيبة أو كالشجرة الخبيثة؛ لبيان معنى سلوك معين كالكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة (٨)، وقد تستخدم الكائنات الحية وسلوكياتها فى البيئة لتقريب المفاهيم المعنوية والأمور الغيبية إلى الأفهام(٩)، كما جاء فى تشبيه من يتخذ، من

(١) القرآن رؤية تربوية زهير محمد شريف ج ١ دار الفكر، عمان ١٩٨٢ ـ ص ١٦١
(٢) كما ورد فى سورة التحريم : ١٠
(٣) كما ورد فى سورة الزمر : ٢٩
(٤) كما ورد فى سورة النمل : ١١٢
(٥) كما ورد فى سورة الكهف : ٣٢ ـ ٤٣
(٦) كما ورد فى سورة الكهف : ٤٥
(٧) كما ورد فى سورة البقرة : ٢١٦
(٨) كماورد فى سورة إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٥
(٩) عبد الرحمن النحلاوى ، مرجع سابق ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠

المشركين، أربابا ـ بالعنكبوت التى تتخذ لها بيتا من أوهن البيوت[1] .

ويمكن أن يفيد المعلمون من الأمثلة القرآنية والنبوية لتنمية المفاهيم والمعانى ومختلف أشكال الوعى البيئى، هذا بالإضافة إلى الاستعانة، بما يفيد من أمثلة واقعية لها معنى ومغزى من بيئة المتعلم ـ لتحقيق سائر الأغراض المعرفية بصدد البيئة ومشكلاتها ومعايير التعامل معها، وقاية أو علاجًا. كما أنه يستخدم أسلوب التمثيل والتشبيه لتحقيق وتيسير مختلف العمليات المعرفية، وخاصه فيما يتصل بالمعانى البيئية، تذكرًا ومعرفة وفهمًا، وتفكرًا وتعقلاً وإقناعًا وغير ذلك من العمليات .

٢ ـ أساليب وطرائق التوجيه الانفعالى:

مثلما جاء فى التنمية المعرفية، اتخذ الإسلام أساليب تربوية وطرائق مختلفة لتنمية المشاعر والاتجاهات الإيجابية ، وتتمثل أهم هذه الأساليب فيما يلى :

أ ـ الترغيب والترهيب:

تعامل الإسلام مع حالتى الرغبة والرهبة فى النفس الإنسانية، وحفزهما بما تستند إليه من الموجهات القيمية فى مجال الإخلاص، وهما قيمتا الرجاء والخوف، وما يتفرع عنهما من موجهات فى مجالات الانفعال بالبيئة، وقد جاء عدد كبير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، موجهًا لتحقيق هذه الغاية، «صراحة أو ضمنًا» ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾[2] . وقوله تعالى عن زكريا عليه السلام وأهله: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا**

---

(١) كما ورد فى سورة العنكبوت : ٤١

(٢) سورة الأعراف : ٥٦

يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] ويقول كذلك: **﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾**[2] .

« والترغيب وعد يصاحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة .. مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذه ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله .. والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو غير ذلك مما نهى الله عنه، أو على التهاون فى أداء فريضة مما أمر الله به » [3].

ويمتاز أسلوب الترغيب والترهيب فى الإسلام باعتماده على الإقناع والمنطق؛ إذ إنه لا طائل من الترغيب فى ثواب الآخرة والترهيب من عذابها بدون غرس أسس العقيدة الصحيحة، كما يصاحبه تصوير فنى رائع للنعيم والعذاب يمكن أن يفهمه العديد من الناس، ويتميز هذا الأسلوب فى الإسلام عنه فى سائر المناهج الأرضية، وبأنه يعدد من مساحة الترغيب والترهيب لتشمل الدنيا والآخرة معًا، كما فى قوله تعالى : **﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾** [4].

وتتعدد درجات الترغيب والترهيب بتعدد درجات الرجاء والخوف التى يتعامل معها الإسلام فى هذا المجال، فمن درجات الترغيب رضوان الله وثواب المحسنين والناجين من عذاب النار، والحياة الطيبة فى الدنيا وتيسير طرق التوبة وغيرها من الدرجات، ومن درجات الترهيب الحرمان من ثواب الله وجنته،

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٠

(٢) سورة النازعات : ٣٧ ـ ٤١

(٣) عبد الرحمن النحلاوى ، مرجع سابق ص ٢٨٧ .

(٤) سورة طه : ١٢٧

وعذاب النار، وعدم قبول التوبة أو الهداية إليها والتعجيل بالعقوبة فى الدنيا، والهلاك وأدنى من ذلك الترهيب بالعقوبة البدنية والحدود وغيرها مما يقوم به أولى الأمر فى الحياة الدنيا .

«ومن الناس من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكى يستقيم ».

ومما ينبغى على المربى ـ قبل أن يتعامل بأسلوب الترغيب والترهيب ـ أن يستشعر هو شخصيًا انفعالات الرغبة والرهبة فتنتقل إلى طلابه أو أبنائه العدوى الانفعالية والاقتداء والمحبة له والتقليد ويمكن أن يستعين فى هذا المجال بالإقناع والحجة وتبصرة الأفراد بذنوبهم مهما تضاءلت وإيقاظ مشاعر المسئولين عن أعمالهم ونواياهم، وعن أعمارهم وأوقاتهم، وحفز الأعمال بثواب المجدين والمجتهدين .

ب ـ الاستحباب والتنفير:

أقر الإسلام المحبة لله ولصنعه فى خلقه ولطاعته، والكراهية للشيطان ولحزبه ولسائر المعاصى، يقول تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾**(١) .

وهكذا تعاملت التربية الإسلامية مع عنصرى المحبة والكراهية فى نفس البشريه ووجهتهما وفقًا للمعيارية الإسلامية، لتقوية المحبة لكل ما يقره الإسلام من الموجهات والقيم، والتنفير وإثارة الكراهية لمضاداتها من الموجهات السلبية.

(١) سورة الحجرات : ٧

ومما يشير إلى الاستحباب ، تصريح القرآن أو السنة بما يحبه الله من الموجهات كالتقوى(١) والإحسان(٢) والصبر(٣) والتوكل(٤)، والتوبة والتطهر كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾(٥).وجاء فى السنة «اليد العليا خير من اليد السفلى»، واليد العليا المعطية واليد السفلى السائلة(٦) .

ومما يشير إلى التنفير ما جاء فى القرآن والسنة من التصريح بكراهية الله تعالى لبعض الصفات والأعمال كالظلم(٧) والعدوان(٨) والخيانة(٩) والإسراف(١٠) والفساد(١١) .

وقد يأتى الاستحباب أو التنفير عن طريق رسم المستحب فى صورة جميلة أو مكرمة، بينما قد يظهر المكروه فى صورة مزرية تثير السخرية والامتعاض. وقد يستخدم فى هذا الصدد أسلوب التشبيه أو التمثيل، أو غير ذلك، ومما جاء جامعًا للاستحباب والتنفير فى نص واحد قول الرسول ﷺ : «إن المؤمن يأكل فى معًى واحد، وإن الكافر أو المنافق يأكل فى سبعة أمعاء(١٢) وكذا ما جاء عن قول الرسول ﷺ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب. ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها »(١٣).

---

(١) سورة آل عمران : ١٦
(٢) سورة آل عمران : ١٣٤
(٣) سورة آل عمران : ١٤٩
(٤) سورة آل عمران : ١٥٩
(٥) سورة البقرة : ٢٢٢
(٦) أخرجه النسائى مرجع سابق ج ٥ ـ ص ٦٢
(٧) سورة الشورى : ٤٠
(٨) سورة المائدة : ٨٧
(٩) سورة الأنفال : ٥٨
(١٠) سورة الأعراف : ٣١
(١١) سورة البقرة : ٢٠٥
(١٢) متفق عليه ، مرجع سابق ج٣ ، ص ٥٩ .
(١٣) أخرجه النسائى مرجع سابق ج ٨ ، ص ١٢٥

ويحبب الحديثان السابقان فى الإيمان والذكر وصورة المؤمن، وينفِّران من النفاق والكفر وصورة صاحبيهما، ومما جاء يؤكد على هذا المعنى فى مجال التنفير وحده، قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾(١).

ويمكن للمربى الاستعانة بما جاء فى القرآن والسنة فى مجال الاستحباب والحث على الاتجاهات والسلوكيات البيئية الإيجابية ، والتنفير مما يتناقض معها ونبذ أشكال الانتهاك البيئى، كما يمكنه الاستعانة بما يتناسب مع هذا الأسلوب من أشكال الإثارة الوجدانية، سواء من خلال أساليب التشبيه والتمثيل، أو الوثائق أو الصور الفوتوغرافية أو المقالات المنشورة فى المجلات، فيكفى مثلاً أن يعرض المعلم على تلاميذه صورتين فوتغرافيتين تصور إحداهما المجاعات فى دول الساحل الإفريقية المسلمة، وأخرى تصور أشكال الترهل والتخمة والموائد العامرة وحجم نفاياتها فى الدول الغربية أو بعض الدول الإسلامية، وما يمكن أن يتركه هذا العرض على الطلاب المتعلمين ـ من أشكال التأثير الوجدانى ، والمحبة لبعض الاتجاهات والسلوكيات والكراهية للبعض الآخر .

جـ ـ الاستخفاف والتفخيم:

استخدم الإسلام أسلوب الاستخفاف والتفخيم ، بما يؤدى إلى تعديل معايير التقويم والحكم على المعانى والسلوكيات، وبما ينسجم مع الرؤية الإسلامية ومعاييرها ـ وذلك لتنمية مشاعر التحقير والاستهانة بما قد يستعظمه الإنسان، أو الاستعظام والإكبار لما قد يستهين به أو يستصغره .

وهناك العديد من الأمثلة على استخدام هذا الأسلوب فى الإسلام، كما جاء

(١) سورة محمد . ١٢

فى القرآن الكريم من تشبيه مـن ينفق أمواله رئاء النـاس بالصخر الأملـس الذى لا يفيد مما يصيبه من المطر فيتركه صلدًا، وتشبيه المنفق أمواله ابتغاء مرضاة الله بالحديقة ذات الأرض الصالحة التى تفيد مما يصيبها فتؤتى ضعفى أكلها[1] ومن أوضح الأمثلة فى هذا الصدد ما جاء من قوله تـعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[2] وذلك مـما يشيـر إلى احتقار فكر المشركين وضعف عـقيدتهم ، وعلاوة على ما سبق فهناك من الأمثلة القرآنية مـا يشير إلى احتـقار نعيم الدنيا فى مـقابل التفخيـم لنعيم الآخرة[3] وكذا تفخيم عمل المـحسنين وثوابهم بتشبيه أعـمالهم بالجنة التى تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ويضاعف الله لمن يشاء[4] .

ويمكن للمربى توجـيه وجدان المـتعلمين ، بمـا يجعلهم قادرين على تقـييم الأشياء والأعمال والدنيـا والآخرة، وفقًا للمعيارية الإسلامـية، وينبههم إلى وضع كل منها فى موضـعه الصحيح، وقد يسـتعين إلى جانب مـا جاء فى القرآن والسنة بما يساعد من أخبار الصالحين والمـصادر الوثقى من المعرفة، وعليه أن يبصرهم بنتائج أعمالهم وآثارها على البيئة سلبًا أوإيجابًا فضلاً عن جزائها الأخروى.

وتقع على المتعلمين مسئولية التـحقق من مواقفهم واتخاذ القرارات وتحديد الإجراءات التى سيقومون باتخاذها، وطالمـا أن الأحكام التى يتوصلون إليها مبنية على عملية تقويم واتخاذ قرار بطريقة واعيـة ومستنيرة تأخذ فى الحسبان العواقب الشخـصيـة والاجتمـاعيـة فلا مـجال لأن تكون اتجاهـاتهم وقراراتهم وأعـمالهم

(١) سورة البقرة : ٢٦٤

(٢) سورة الحج : ٧٣

(٣) كما ورد فى سورة البقرة : ٢٦١

(٤) كما ورد فى سورة البقرة : ٢٦١

مفروضة عليهم مسبقًا بأى حال من الأحوال[1] .

وبالإضافة إلى هذه الأساليب فهناك من الأساليب الأخرى ما يساهم فى مجال التوجيه الوجدانى، كأسلوب ضرب الأمثال ، كما جاء ضمنًا فى أساليب الترغيب والترهيب[2] والاستحباب والتنفير[3] والاستخفاف والتفخيم[4]، وكذا التربية بالعبادات ، وما تثيره من مشاعر الخشوع والخضوع لله والصفاء للقلوب من الحقد والحسد والحرص على الدنيا، علاوة على المشاركة الوجدانية للمسلمين للقلوب من الحقد والحسد والحرص على الدنيا، علاوة على المشاركة الوجدانية للمسلمين واتجاهات التكافل معهم، فعلى سبيل المثال، توقظ شعيرة الحج مشاعر المساواة والانتماء والإخاء للمسلمين والتواضع فى حقهم علاوة على الخشوع للواحد القهار، واستحضار يوم الحشر وما يوقظه فى القلوب من مشاعر مختلفة .

٣ ـ أساليب وطرائق التدريب السلوكى :

حرص الإسلام على أن يكون سلوك الإنسان وفقا لما تعلمه من معارف وما اكتسبه من اتجاهات مصداقًا لقوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**[5] ويقول تعالى : **﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾**[6].

---

(١) كما ورد فى سورة البقرة : ٢٦١

(٢) منها سورة البقرة : ٢٦١ ، وسورة محمد : ١٥ ـ ١٤٤

(٣) منها سورة الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ١٧٩ ، وسورة الفرقان ١٤٤

(٤) منها سورة البقرة : ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، وسورة العنكبوت : ٤١

(٥) سورة الصف : ٢ ـ ٣

(٦) سورة النجم : ٣٩ ـ ٤١

وفى ضوء أهمية السلوك فى ظل الرؤية الإسلامية تبرز أهمية التدريب السلوكى وقد أكد الإسلام على مختلف الأساليب والطرائق التربوية، والقائمة على أساس التدريب السلوكى عمومًا والبيئى خصوصًا، وفيما يلى تحليل لأهم هذه الأساليب والطرائق .

أ ـ التربية بالممارسة والتجربة :

كانت أولى خطوات التدريب السلوكى فى الإسلام ، توجيه الفرد إلى العمل والممارسة ليكتسب كلاً من الخبرة والرزق. وقد سبقت الإشارة إلى ماورد عن الرسول ﷺ مع من جاء طالبًا الصدقة فوجهه إلى العمل المناسب وأعانه عليه ولم يكتف بالنصح والموعظة(١) . كما أنه طلب من المسيئ صلاته أن يعود لصلاته فيصلى ، وكرر ذلك عدة مرات ، وحتى طلب منه الرجل أن يعلمه، فشرح له الكيفية، بعد أن جرَّب معه التعلم بالممارسة وهذا أدعى إلى ثبات العلم واستقراره فى القلب والذاكرة وإتقان العمل ومحبته والشعور بالمسئولية عنه. وقد أشار ابن خلدون إلى أن المباشرة للأحوال الجسمانية المحسوسة أوعى لها وأكمل ، وأتم فائدة وأكثر رسوخًا(٢) .

وتتضمن التربية بالممارسة المشاركة الفعلية من المتعلمين فى مختلف الأنشطة التربوية لا أن يقفوا موقف المتفرج أو المستمع، وإلا كان مصيرهم الفشل عند أول اختبار حقيقى فى الحياة، ويرى الكثيرون من رجال التربية والنشاط المدرسى الذى يمارسه التلميذ بتلقائية، ويختار أن يمارس بحرية، وتقل فيه عوامل الكف والضغط ـ من أنسب المجالات لكى يكتسب التلميذ ما نريد له

(١) التربية البيئية فى الإسلام ، سعيد طه محمود ، مرجع سابق ص ٢٥٠

(٢) عبد الرحمن بن خلدون مرجع سابق ج ٢ ص ٢٨١

أن يكتسب من قيم واتجاهات وسلوكيات[1] وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أهمية الدراسات العملية والتجارب المعملية فى مجال التربية البيئية لما تحققه من أهداف أهمها: ـ

١ ـ تنمية مهارات التفكير العلمى، من ملاحظة، وقياس ، وجمع البيانات، وتنظيمها وتصنيفها والخروج بقوانين وأحكام عامة .

٢ ـ تنمية العديد من المهارات اليدوية مثل استخدام الأجهزة وجمع العينات وحفظها .

٣ ـ إتاحة الفرصة للتلاميذ كى يتعلموا عن طريق العمل وحل المشكلات واتخاذ القرارات بشأنها .

٤ ـ اكتساب اتجاهات عملية مثل الحذر فى استخلاص النتائج، وتقدير الجهود المبذولة للمحافظة على البيئة .

٥ ـ تهيئة الفرص للعمل، والبحث على أسس فردية أو جماعية .

وتبرز أهمية الدراسات العملية وسائر الأنشطة المدرسية كمكمل لما يتم بالخارج من دراسات بيئية، كما قد تكون الدراسات العملية بديلاً صناعيًا للدراسات الحقلية أو الميدانية التى لم يألفها أغلب المعلمين، ولم يعدوا لها الإعداد الكافى .

وهناك العديد من الأنشطة ذات الطابع البيئى والتى يمكن أن يتمرس عليها التلاميذ عمليًا ومعمليًا داخل المدرسة، سواء فى الفصل أو فى الحديقة المدرسية أو حظيرتها أو متحفها أو مكتبتها أو فنائها أو معملها، فضلا عن المعسكرات الصيفية داخل المدرسة. كما يمكن أن يقوم التلميذ ببعض التجارب البيئية مثل

---

(١) رئاسة الجمهورية ، المجالس القومية المتخصصة ، التعليم والحفاظ على البيئة فى مصر ، مرجع سابق ص٢٤

قياس مكونات الهواء، أوحجم التلوث بالماء أو أثر الضوء والحرارة فى الكائنات الحية ، وقياس آثار تلوث الهواء والماء والتربة على الكائنات الحية .

ومما أشير إليه من خصائص النشاط التربوى الإسلامى والتى تعد شروطًا للنشاط المدرسى ما يلى [1]:

١ ـ أن يكون النشاط بريئًا من كل فحش أو إسفاف أو محرمٍ .

٢ ـ أن يكون النشاط التعليمى واقعيًا لامصطنعًا ، فتعلم الصلاة مثلاً يكون بإقامتها وليس مجرد تمثيلها . وكذا سائر الفروض الاجتماعية .

٣ ـ أن يكون النشاط محققًا للغاية المثلى للتربية الإسلامية وهى شريعة الله وعبوديته .

٤ ـ أن تقاس نتائج النشاط بما يتركه من آثار تربوية وأخلاقية .

٥ ـ أن يكون المربى عاملاً إيجابيًا فعالاً وقدوة فى هذا النشاط .

ب ـ التربية بالعبادات :

تعتبر العبادات والشعائر الإسلامية إلى جانب كونها هدفا للإسلام وتربيته ـ مدخلا ووسيلة من وسائل التربية الإسلامية فى المجالات الشعورية وبخاصة السلوكية .

ولما كانت العبادات الإسلامية تصنف ضمنا فى المجال السلوكى للموجهات الإسلامية ـ فإن تربية الفرد عليها تعد تدريبًا سلوكيًا، وفضلاً على ذلك فإن ارتباط العديد من السلوكيات البيئية بعبادات الإسلام وشعائره، يجعل من التربية على العبادات تدريبًا بيئيا فى نفس الوقت، فعلى سبيل المثال جاء فى

(١) عبد الرحمن النحلاوى مرجع سابق ص ١٩٠ ـ ١٩١

تأثير الصلاة قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[1] .

وجاء فى تأثير الحج قوله تعالى : ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾[2] . حيث تربط الآية الأولى بين الصلاة والبعد عن سلوكيات الفجور والتفحش والمنكرات بينما تربط الآية الثانية بين الحج وذكر الله وشكره على الرزق من الأنعام وإطعام الفقراء، كما جاء فى تأثير الصوم على السلوكيات البيئية الحديث القدسى قال الله :« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنة، فإن كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم ..» إلخ[3]. هذا بالإضافة إلى فريضة الزكاة التى تعد أهم وسائل الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعى بين الأغنياء والفقراء: فهى تنقى الأنفس من الشح والبخل وتعودهم الإنفاق والبذل فى حق الغير .

ويتطلب هذا الأسلوب من المربين أن يقوموا بتوجيه المتعلمين إلى مكانة العبادات من الإسلام وتبصرتهم بها من الواجبات البيئية وتشجيعهم على الالتزام بهذه العبادات وتدريبهم عليها وإتاحة الوقت المناسب لها فى خطط البرامج التعليمية والتربوية .

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

(٢) سورة الحج . ٢٧ ـ ٢٨

(٣) متفق عليه ، مرجع سابق جـ٣ ، ص ١٩

ج ـ التربية بالعادة:

العادة هى الحالة التى تتكرر على نهج واحد . وهى كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد[١] . ومن ثم الكفاءة البيئية ومهاراتها تتأصل فى السلوك الإنسانى، من خلال التكرار المنتظم لفترة معينة، وبعدها تصبح المهارة السلوكية أمرا يسيرا يأتى بغير جهد ، بل على العكس من ذلك يتمثل الجهد فى محاولة تغيير العادة أو كفها .

ويكون عمل العادة فى السلوك الإنسانى أشبه ما يكون بالقانون الطبيعى، ويساعد الجهاز العصبى على التعود بمقدار ما يكون رافضًا أو معوقًا لذلك فى بادئ الأمر حيث تجذب الوصلات العصبية الخبرة المتصلة بها لتسير فيها فى الموعد المحدد أو المناسبة المحددة لاستخدام تلك الخبرة. وارتباطًا بمدى مرونة الجهاز العصبى ومشاغله ـ تكون درجة اليسر والصعوبة فى تكون العادات، ومن هنا كان تكون العادات فى الصغر أيسر منه فى الكبر .

وقد أكد العديد من المفكرين المسلمين على أهمية العادة فى ترسيخ السلوكيات الإيجابية، وكف غيرها حيث قال ابن خلدون :«الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته»[٢] وأكد الغزالى على فضل العادة فى مجال الأخلاق الاجتماعية ، حيث أشار إلى أهمية المواظبة على أضداد الغضب مدة مديدة فتصير بالإعادة أمرًا مألوفًا هينًا على النفس[٣] .

وتعتبر الشعائر ـ وفى مقدمتها الصلاة ـ من أهم السلوكيات الإسلامية التى

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، مرجع سابق ، ص ٣٩

(٢) ابن خلدون(عبد الرحمن) : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢

(٣) الغزالى (أبو حامد) : مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٣ (بتصرف).

يتضح فيها التأثير التربوى للعادة، فمع تكرار سلوكياتها تصبح عادة لصيقة بالإنسان لا يستريح حتى يؤديها، وليست الشعائر التعبدية وحدها هى العادات التى ينشئها منهج التربية الإسلامية، ولكنها فى الواقع كل أنماط السلوك الإسلامى وكل الآداب والأخلاقيات الإسلامية. وهكذا تتدرج الأخلاقيات البيئية فى الإسلام، وبخاصة الجانب السلوكى منها فى مجال العدل والإحسان ـ فيما يمكن تربية الأفراد عليه بطريقة العادة منذ الصغر، فتصبح بمرور الوقت صفات تلقائية لديهم .

ومن الأهمية أن يبدأ التعويد للأفراد، بما عظم من الأمور وبخاصة العبادات والواجبات البيئية ثم ينتقل المربى إلى أشكال التطوع والإحسان . وينبغى ألا يقهر المتعلمون على اعتياد المتغيرات ، فكما سبقت الإشارة كان عمر ـ ﷺ يقول : «لا تكرهوا أولادكم على عاداتكم، لأنهم خلقوا لجيل غير جيلكم»(١). ويجب أن يتنبه المربون إلى بعض المخاطر والمشكلات المرتبطة بأسلوب العادة، حيث قد تتحول العادة إلى آلية سلوكية عمياء فاقدة للبصيرة والنية، وخالية من الإحساس بالقيم الحقيقية التى هى الرصيد الواقعى للسلوك (٢) .

ومن ثم وجب على المربى أن يعمل على التبصرة الدائمة للمتعلم وإثارة مشاعره الداخلية فيما وراء السلوك الذى يربيه بالعادات، وتجديد النشاط وتنويعه كلما أمكن . وقد تفيد القدوة الصالحة وأساليب الثواب والعقاب فى تأصيل العادة السلوكية وتدعيم أثرها التربوى .

د ـ التربية بتفريغ الطاقة وشغل الفراغ :

غالبا ما يكون لدى النشء والشباب طاقة بدنية فائضة وكذا أوقات فراغ

(١) عايد توفيق الهاشمى: مرجع سابق ، ص ٧٠

(٢) محمد قطب : مرجع سابق ، ص ١٤٥ (بتصرف) .

تتطلب التوجيه بطريقة مفيدة لكل من الفرد والبيئة، وتكمن الخطورة فى عدم وجود الأنشطة النافعة التى تفرغ فيها الطاقة الزائدة ، ويشغل بها فراغ الوقت؛ وذلك لأن الجهد سيستنفد لا محالة فى شىء ما فإن لم يستفد فى الخير فلابد أن يستفيد فى الشر[1] .

وقد حرص الإسلام على إفراغ كل طاقة زائدة وعلى شغل فراغ الوقت بالطاعات لله، سواء بالعبادة المفروضة أو بالعمل الصالح الذى يقى الفرد ذل السؤال خاصة إذا كان مكلفًا ، ومن هنا قال الرسول ﷺ لمن سأله الصدقة لا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب [2]، أى : لديه الطاقة البدنية التى يجب أن تستغل فى العمل الذى يعف به نفسه ، ولا بأس من تشجيع الصغار على القيام ببعض الأعمال فى المنزل أو خارجه ، إذا كان سنهم يسمح ، من أجل إفراغ بعض الطاقات الزائدة لديهم كما قد يكلفوا بترتيب أشيائهم[3] أو يكلفوا ببعض الأنشطة الخفيفة، كالمساعدة على قدر مجهودهم، فى أعمال البستنة والتشجير أو نقل بعض الأدوات الخفيفة والآمنة، وغير ذلك مما يساعد فى أعمال الصيانة للبيئة وإصلاحها ، فضلاً عن مشاركتهم فى الأنشطة الثقافية والاجتماعية داخل المدارس والمساجد والنوادى، والمسلم دائمًا يجد ما يشغل به وقته، فإذا فرغ من الفرائض والعبادات والعمل الذى يحقق به كفايته من الرزق، فإنه يشغل وقته فى عيادة المرضى، وزيارة الأصدقاء وفى الذكر ، وحفظ القرآن ، وصلاة التطوع والمرح النظيف مع الأهل والأبناء[4] .

وقد أقرت السنة النبوية كما أقر السلف الصالح، ممارسة بعض الرياضات

---

(١) المرجع السابق: مرجع سابق ، ص ١٥٧

(٢) أخرجه النسائى : مرجع سابق ج ٥ ص ١٠٠

(٣) محمد قطب : مرجع سابق ، ص ١٥٨ بتصرف .

(٤) المرجع السابق : ص ١٥٩ ـ ١٦٠ بتصرف

البدنية كالعدو والسباحة والرماية والفروسية، ومن ثم يمكن أن يصرف فيها الجهد الفائض ويشغل بها وقت الفراغ مما يفيد فى تقوية البدن وصيانة صحته، وإعانته على العمل والعبادة، فضلاً عن الإفادة فى تجديد النشاط الذهنى ، والترويح عن النفس .

كما يعتبر اللعب بأنواعه المختلفة من أهم المداخل التربوية لشغل الفراغ وتفريغ الطاقة الزائدة فى مجال التربية البيئية الإسلامية، فكما نقل عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :كنت ألعب بالبنات العرائس فربما دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى الجوارى، فإذا دخل خرجن ، وإذا خرج دخلن(١) كما روى عن عائشة أنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر، فهبت الريح فكشفت ناحية الصدر من بنات لعائشة لعب فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت: بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال : ما هذا الذى أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذى عليه ؟ قالت: جناحان، قال : فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه (٢)، وغير ذلك من الآثار الدالة على استخدام الإسلام واللعب كمدخل تربوى.

ويزعم من لا يعرف حقيقة التربية فى الإسلام، أن هذه التربية قد أهملت اللعب إلى حد كبير، ولم يمثل فى بنائها مقومًا أساسيًا من مقوماتها العديدة .. على أن نظرة موضوعية فاحصة لكثيرمن أحاديث نبى الإسلامﷺ وما خلفه المسلمون من تراث تربوى يتعلق بالطفل ربما أوقفتنا على اهتمام الإسلام

(١) أخرجه أبو داود سنن أبى داود ج ٤ ، مرجع سابق ص ٢٨٤

(٢) أخرجه أبو داود المرجع السابق ص ٢٨٥

باللعب وتقديره لدوره العظيم فى تشكيل الشخصية المسلمة فى سنوات طفولتها[1] فاللعب تدريب على المهارات اللازمة لحياة البالغين ويساعد الطفل على إسقاط المشاعر العدوانية على الدمى التى يلعب بها، ويساعد على علاج أنانيته[2] كما يعد رحلة متعبة واستكشاف واستقصاء لجوهر شخصية الطفل، ولينوع البيئة المحيطة به[3] ويلتقط بواسطته أنماط السلوك السائدة فى البيئة، ويعود على السلوك الاجتماعى المناسب بالفائدة فضلاً عن المعارف والاتجاهات الإيجابية [4].

ومن أهم الطرق التربوية التى تستوعب هذا الأسلوب ما يعرف باللعب التمثيلى أو طريقة اللعب والمحاكاة وتمثيل الأدوار وهى الطريقة التى يخرج من خلالها المتعلم مشكلاته الاجتماعية وآراءه نحو مختلف القضايا البيئية ويتفاعل مع عناصر المواقف التى يحاكى أصحابها أو يمثلها [5]. وجوهر هذه الطريقة تقمص الطفل أو المتعلم شخصيات الكبار[6] كما فعلت عائشة ﵂ وقولها عن عرائسها (بناتى) .

وتتمثل أهم خطوات هذه الطريقة[7] فى اختيار الموقف أو المشكلة، ثم اختيار الطالب لتمثيل الأدوار بواسطة المعلم أو باختيارهم الشخصى، ثم توزيع الأدوار وتمثيلها ، ثم تقويم الأدوار ومناقشة الآراء واقتراح الحلول وسواء فى

(١) حسن إبراهيم عبد العال مدخل وظيفى للتربية الإسلامية ، دراسات تربوية ، رابطة التربية الحديثة القاهرة ج ٧ ع ٤٠ ، ب١٩٩٢م ص٢٢٧ ـ ٢٩٧ .

(٢) كمال الدين حسين: اللعب ضرورة ثقافية للطفل، ندوة مستقبل ثقافة الطفل المصرى (استنسل) ١٥ـ ١٩ مايو ١٩٩٢ م ببورسعيد، وزارة الثقافة، المركز القومى لثقافة الطفل ١٩٩٢، ص ١ ـ ٣

(٣) حسن إبراهيم عبد العال: اللعب مدخل وظيفى للتربية الإسلامية مرجع سابق ص ٢٨١

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر المرجع السابق ص ٢٩١ ـ ٢٩٧

(٥) محمد السيد جميل مرجع سابق ، ص ١٣٥ بتصرف

(٦) حسن إبراهيم عبد العال مرجع سابق ص ٢٨٧

(٧) محمد السيد جميل: مرجع سابق ص ١٣٥

مجال ممارسة الرياضات البدنية، أو اللعب التمثيلي وغيره من أنواع اللعب لابد من وجود المربي والموجه لمساعدة الأفراد وبخاصة الأطفال على اختيار ما يناسبهم من الأنشطة المربية واختيار ما يناسبهم من الأدوار والتنسيق فيما بينهم، وتقويم الأدوار واستخلاص الحلول والموجهات .

هـ. الثواب والعقاب:

استخدم الإسلام الثواب والعقاب لتحفيز السلوكيات الإيجابية وتدعيمها، ولكف السلوكيات السلبية وتعديلها، ففي مجال التحفيز بالمثوبة جاء حديث الرسول ﷺ :« من أحيا أرضا ميتة فهي له..»(١) وذلك لما يشجع على إعمار البوار من الأرض، كما جاءت العقوبات وأقصاها العقوبة البدنية، لكف بعض الانحرافات في البيئة الاجتماعية كالزنا والسرقة وغيرها من ذلك قول الرسول ﷺ :«تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً»(٢) وفي ذلك رادع لمقترف المعصية وترهيب لغيره كما جاء الهجر والضرب من أشكال الإصلاح للزوجة الناشز (٣).

وهناك من الأعمال الضرورية التي يلزم قيام الطفل بها لإكمال نموه الجسمي أو النفسي أو العقلي، وهناك أعمال أخرى نجدها عادة سيئة تؤثر سلبيًا على نموه التربوي، وفي كلا الحالتين لابد من حوافز ومشجعات أو نواهٍ وزواجر (٤).

وتتنوع أنماط الثواب والتشجيع ، وكذا أنماط العقاب والروادع ، ما بين الأشكال المادية والمعنوية، والطبيعية والصناعية، ويعتبر حصول الفرد على ما تتوق إليه نفسه وتستريح شكلاً من أشكال الثواب والتشجيع. بينما يتمثل العقاب

(١) أخرجه أبو داود: مرجع سابق ج ٣ ـ ص ١٧٥

(٢) المرجع السابق ج٤ ، ص١٣٤

(٣) كما أشارت إليه سورة النساء : ٣٤

(٤) محمد قطب : مرجع سابق ، ص ١٣٧ (بتصرف)

فى حرمان الفرد من كل ما يتوق إليه ويسعد به، أو إصابته بما يكره أو يتألم به وقد يتمثل التشجيع والثواب فى ابتسامة أو بشر ، أو فى كلمة طيبة أو مكافأة نقدية أو شهادة تقدير، أو فى بعض اللعب أو الحلوى، وغير ذلك مما يتوق إليه الأطفال بصفة خاصة .

وتتراوح درجات العقوبة بين الكف عن التشجيع والإعراض المؤقت ، وإعلان عدم الرضا والعبوس والتقطيب، والزجر بصوت غاضب، والمخاصمة المتقطعة والطويلة، والحرمان من الأشياء المحببة .. وقد تصل إلى الضرب الخفيف ثم الضرب الموجع وهو أقصى الدرجات[1] وقد حرص الإسلام على الحلم والرفق كلما أمكن ، عملا بقول الله تعالى : ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[2] . ومن ثم أوصى المفكرون المسلمون بتقديم الثواب وأن يجريهم مجرى بنيه [3].

وقال ابن خلدون «من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس انبساطها، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفًا من انبساط الأيدى بالقهر عليه » [4].

وعندما يكون الثواب غير كاف للتحفيز على السلوك والتشجيع عليه، وعندما يتحول إلى سلاح غير مأمون العواقب، وبخاصة عندما يشترط الفرد لكى ينفذ ما

(١) المرجع السابق : ص ١٣٨

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩

(٣) الغزالى (أبو حامد) : مرجع سابق ج ١، ص ٥٤

(٤) ابن خلدون (عبد الرحمن): مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٠٣ ـ ٧٠٤

ينبغى عليه من أعمال ـ هنا تصبح المثوبة شرا خالصا لا خير فيه ؛ لأنها تعوق الإحساس بالواجب[١] ومن ثم تصبح العقوبة أداة ووسيلة بديلة للمثوبة لتقويم السلوك .

وثمة تأكيد فى مجال العقوبة بأن تبدأ باللين قبل الشدة والغلظة[٢]، وبطريق التعريض قبل التصريح ؛ لأن التصريح يورث الجرأة على الانحراف ويهيج الحرص على الإصرار[٣] وكذا أن تبدأ بالعقوبة قبل الحسبة[٤] .

وهكذا يمكن استخدام أسلوب الثواب والعقاب فى مجال التدريب السلوكى على الأخلاق البيئية الإسلامية، وبخاصة فى مجال القيام بالحقوق البيئية، أما قيم التطوع والإحسان فى كل من البيئة الاجتماعية والطبيعية ، فيمكن التحفيز عليها بالمثوبات وأشكال التشجيع ولا يجوز استخدام العقاب معها لطبيعتها الخاصة التى لا يقدر عليها إلا قلة من البشر ، ومن ثم لا يجوز ، مثلا أن يعاقب طفل لأنه لم يتبرع بكل لعبه إلى طفل آخر، أو يعاقب إنسان لأنه لم يؤثر حيوانًا جائعًا على نفسه .

وينبغى الموازنة بين الثواب والعقاب، واتباع ما يتناسب منهما مع كل حالة أو موقف، ومراعاة الفروق الفردية بين الأفراد، وعدم الإسراف فى المثوبات أو العقوبات ، والتدرج فيها ، وأن يكون خط العقوبة طويلاً ما أمكن كي لاتنفد الوسائل سريعًا ونحتاج إلى تكرار وسيلة واحدة أكثر من مرة ، كما ينبغى أن يقوم المربى بالعقوبة للإصلاح لا للتشفى والانتقام[٥] .

---

(١) محمد قطب : مرجع سابق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١

(٢) انظر كل من :

ـ المرجع السابق ، ص ١٣٩ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن) مرجع سابق ، ص ٥٥

(٣) الغزالى (أبو حامد) : مرجع سابق ، ص ٧٠٤

(٤) محمد قطب : مرجع سابق ، ص ١٣٦

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر : المرجع السابق : ص ١١٤ ـ ١١٥، ١٤٢ ـ ١٤٤ .

ثانيا : أساليب وطرائق المدخل المتمركز حول البيئة :

تنقسم الأساليب والطرائق فى هذا المجال إلى ما ينطلق من خلال البيئة الاجتماعية ، وما ينطبق من خلال البيئة الطبيعية .

حيث إن :

١ - الأساليب والطرائق التربوية من خلال البيئة الاجتماعية :

يلخص هذه الأساليب التربوية والطرائق قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾(١) حيث يشير الجزء الأول من الآية إلى ضرورة التزام البيئة الاجتماعية الصالحة بينما يشير الجزء الثانى إلى اجتناب بيئة المفسدين ممن اتبعوا أهواءهم .

وهكذا يمكن تحليل أهم الأساليب الإسلامية للتربية من خلال البيئة الاجتماعية إلى ما يلى (٢)

أ - اختيار البيئة الاجتماعية الصالحة لنمو أبعاد الحياة الشعورية للنفس الإنسانية ، ويتدرج هذا الاختيار من الأسرة الصالحة كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾(٣). فقد حرص الإسلام على بناء الأسرة على أساس سليم حرصًا على أعضائها، بداية من الزواج بالصالحين وتهيئة الجو الصالح من الأمومة والأبوة، فمن

---

(١) سورة الكهف : ٢٨

(٢) عابد توفيق الهاشمى: مرجع سابق ، ص ٣٩ - ٤١ (بتصرف) .

(٣) سورة الفرقان : ٧٤

توجيهات الرسول ﷺ قوله:«فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١) . مما يؤكد على دور المرأة الصالحة فى رعاية زوجها، ورعاية أطفالها وتربيتهم التربية الدينية السليمة، «فلا شيء ييسر التربية السليمة ويجعلها أقرب إلى إيتاء الثمرة المرجوة من الجو المستقر حول الطفل، والحب المرفرف حوله من خلال الأبوين»(٢) .

ويأتى بعد الأسرة الصالحة أهمية اختيار الأقران الصالحين، الذين قد يفوق تأثيرهم التربوى، المؤثرات الاجتماعية الأخرى، وبخاصة فى مراحل المراهقة، كما قال المولى عز وجل : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾(٣) .

ومن ثم ينبغى العناية باختيار من يصاحبهم النشء والشباب، لما لذلك من آثار عليهم بالسلب أو الإيجاب ، ومما جاء فى صفات الأقران الذين تؤثر صحبتهم قول الغزالى ينبغى فيمن تؤثر صحبته خمس خصال:

أن يكون عاقلاً، حسن الخلق، غير فاسق، لا مبتدعا ولا حريصا على الدنيا(٤).

ويتسع الاختيار للبيئة الصالحة ليشمل البيئة المدرسية، التى تتسم بالمعايير الإسلامية فى معاملاتها وتشريعاتها وخصائص العاملين بها وأنماط الثواب والعقاب، ويوصى أحد التقارير « بأن يسود المدرسة مناخ عام تشيع فيه القيم والسلوكيات المرتبطة بالحفاظ على البيئة وحسن استثمارها، وهى تلك القيم التى نود إكسابها للتلاميذ»(٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود ، مرجع سابق ج٢ ، ص ٢٢٦

(٢) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ٩٩

(٣) سورة الكهف : ٢٨

(٤) الغزالى (أبو حامد) : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٥

(٥) رئاسة الجمهورية، المجالس القومية المتخصصة: مرجع سابق ، ص ٣٠ .

وتتسع الدائرة البيئية بعد ذلك لتشمل المجتمع الصالح الذى يرعى كافة الجهود التربوية ويدعمها «فكل الجهود المضنية التى تبذل فى التربية عرضة لأن تذهب كلها ضياعًا حين لا يوجد هذا المجتمع، أو حين يوجد مجتمع يعادى الفكرة ويعمل على تحطيمها»(١) .

ب- اجتناب البيئة الفاسدة واعتزالها :

وجه الإسلام إلى ضرورة اجتناب البيئة الاجتماعية المنحرفة عن هدى الله، لما لها من آثار سلبية على أفكار الإنسان واتجاهاته وسلوكياته ، فعلى مستوى الأسرة يقول تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**﴾(٢) ويقول تعالى : ﴿**وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ**﴾(٣) . وعلى مستوى الصحبة والرفقة يقول تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾(٤) ، ويقول تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾(٥) ، وفى ضوء هذه المعانى قال ابن حزم :«إياك وموافقة الجليس السيئ ومساعدة أهل زمانك فيما يضرك فى أخراك أو فى دنياك وإن قل، فإنك لا تستفيد بذلك إلا الندامة حيث لا ينفعك الندم»(٦) ، كما حذر جعفر الصادق من مصاحبة خمسة :

---

(١) محمد قطب : مرجع سابق، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(٢) سورة التغابن : ١٤

(٣) سورة البقرة : ٢٢١

(٤) سورة النساء : ١٤٠

(٥) سورة النجم : ٢٩

(٦) ابن حزم (أبو محمد) : مرجع سابق ، ص ٦١.

الكذاب ، والأحمق ، والبخيل، والجبان، والفاسق[1] .

ج.التنبيه إلى مخاطر المسرفين والمفسدين ومن على شاكلتهم والتحذير من طاعتهم أو اتباعهم:

إذ يقول المولى عز وجل : ﴿**وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**﴾[2] ، ويقول تعالى: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[3] ويقول تعالى كذلك : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [4].

د ـ إصلاح البيئة الاجتماعية الفاسدة:

فلا يكفى نصح كل فرد، وتنبيهه، على حدة لأدواره ومسئولياته بغض النظر عن الآخرين ؛لأن مخاطر البيئة الفاسدة، قد تصل إلى الجميع وتلوثهم، ومن ثم ينبغي ، فيمن يجد فى نفسه الكفاءة ، اقتحام البيئة الفاسدة لإصلاحها ومكافحة الشر فيها فكما قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[5] ، ويتضمن هذا الأسلوب قيام الأفراد بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بشروطها، فى مختلف المستويات البيئية، كما يتضمن ذلك ألا تتحدد مهمة المسلم بإصلاح أسرته أو بيئته المحلية أو القطرية، وإنما تمتد وظيفته إلى البيئة العالمية بغير إكراه ولا عنت ، وذلك باعتبار قوامة

(١) الغزالي (أبو حامد) : مرجع سابق ج ٢ ، ص ١٥٦ بتصرف .

(٢) سورة الشعراء : ١٥١ ـ ١٥٢

(٣) سورة الكهف : ٢٨

(٤) سورة آل عمران : ١١٨

(٥) سورة البقرة : ٢٥١ .

الدين الإسلامى ، إذ يقول تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١) ، ومن ثم ينبغى أن يرتفع الصوت الإسلامى إلى المحافل الدولية والمؤتمرات بما يحقق الخير العام لكل البشر فى بيئتهم الأرضية، ويقيها من الكوارث ومختلف الانتهاكات البيئية .

هـ ـ الهجرة إلى بيئة صالحة :

حذر الإسلام من الركون إلى البيئة الفاسدة بعد عجز سبل إصلاحها ، وخشية الخطر على العقيدة، وما تفرزه من سلوكيات ، مصداقًا لذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾(٢). وقوله تعالى : ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣) ، هكذا إذا تعزرت الحياة فى بيئة فعلى المسلم أن يكافح فى بيئة أخرى ، «ولا عذر للمسلم أن يعيش مستضعفًا مغلوبًا على أمره وعقيدته مهدورة لا يستطيع أن ينتصر لها» (٤).

و ـ التأديب والتربية باستخدام البيئة الاجتماعية :

اتخذ الإسلام البيئة الاجتماعية وسيلة للتأديب، كما جاء فى حق من اشتكى إلى الرسول ﷺ أذى جاره، فأمره بإخراج متاعه إلى الطريق ، فجعل من يمر عليه يسأله ويعرف ذلك فيلعن جاره، وعندما بلغ ذلك إلى الجار، أتاه ، وقال :

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣

(٢) سورة هود: ١١٣

(٣) سورة النساء : ١٠٠

(٤) عايد توفيق الهاشمى : مرجع سابق ص ٤٠

«ارجع إلى منزلك فو الله لا أوذيك» وفى ذلك تأكيد على استخدام الإسلام النقد الاجتماعى أسلوبا للتربية الاجتماعية(١) .

كما اتخذ الإسلام الحرمان الاجتماعى أو المقاطعة كأسلوب للضبط الاجتماعى وتوجيه السلوك ، كما جاء فى وصف من خلفوا عن الجهاد ، بعد أن أمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم ـ فنزل قول الله تعالى : ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(٢) ، ويعلق على ذلك النحلاوى قائلا : «كانت هذه التربية بواسطة الضغط الجماعى الواعى المقصود من أبلغ الوسائل وأشدها تأثيرا فى النفوس» (٣).

ويستفاد من ذلك إمكانية وجودأساليب تربوية وطرائق قائمة على استخدام العقاب الاجتماعى، الذى قد يتضمن حرمان الفرد من أنشطة الجماعة ومعاملاتها، ومقاطعته أو هجره بما يشكل ضبطًا اجتماعيًا لسلوك الفرد، وتعديله إلى الوجهة المرغوبة اجتماعيًا وبيئيًا ويمكن استخدام مثل هذه الأساليب والطرائق فى جميع المستويات البيئية وتنظيماتها الاجتماعية .

وبالإضافة إلى استخدام النقد الاجتماعى ، والحرمان أو المقاطعة ، فإنه يمكن استخدام البيئة الاجتماعية ، وبخاصة التاريخية لتوجيه الفرد معرفيًا ووجدانيًا وسلوكيًا ، وذلك للتعرف على الأمم السابقة وتاريخ الأسلاف

(١) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ١٧٨ (بتصرف) .

(٢) سورة التوبة : ١١٧ ـ ١١٨

(٣) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ١٧٩

واستخلاص المواعظ والعبر وإثارة اتجاهات الاعتزاز. بأمجاد الأجداد والانتماء إليهم ، هذا بالإضافة إلى التدريب السلوكى باكتساب مهارات جمع المعلومات وتنظيمها ومناقشتها وغيرها من المهارات السلوكية المرتبطة بالزيارات الميدانية لمثل هذه البيئات ، ومما جاء من التوجيهات الإسلامية للتعليم من خلال البيئة التاريخية بصفة خاصة ، وكما جاء فى قوله الله تعالى : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾(١) .

□□□

(١) سورة العنكبوت : ٢٠

الباب الثالث

أمثلة ونماذج عن حماية البيئة فى الإسلام

ويشتمل على :

أولًا : أمثلة عامة لحماية البيئة في الإسلام ومنها : ـ

١ ـ نظافة البيئة من منظور إسلامى

٢ ـ الضوضاء من وجهة نظر الدين الإسلامى

٣ ـ التشجير بين العلم والدين

٤ ـ القواعد التشريعية والدينية لحماية البيئة من التلوث

ثانياً : أمثلة لحماية البيئة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام

وتشتمل على : ـ

١ ـ أثر الزكاة والصدقات والكفارات فى تحقيق العدالة الاجتماعية .

٢ ـ الإنفاق الواجب للصالح العام

٣ ـ آثار الربا من النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية

٤ ـ محاربة الإسلام للمحسوبية

٥ ـ الإسلام يحارب الرشوة

٦ ـ النفاق فى الإسلام

٧ ـ الإسلام ضرورة حتمية لإصلاح البشرية

أمثلة ونماذج عن حماية البيئة فى الإسلام

سبق أن تحدثنا عن بعض عناصر الحل الإسلامى لحماية البيئة ومواجهة الاعتداء عليها تقوم على حزمة متكاملة من العناصر لو طبقتها الدول الإسلامية المعاصرة التطبيق الصحيح فإنها ستتغلب على ما تواجهه من تعثر للتنمية وتدهور للبيئة .

وفيما يلى بعض النماذج والأمثلة للمنهج الإسلامى فى حماية البيئة ، والمحافظة عليها ومنع تلوثها ، وذلك من خلال الحديث عن الموضوعات التالية :

أولاً ـ نظافة البيئة من منظور إسلامى

ترتبط نظافة البيئة فى الإسلام ارتباطًا مباشرًا بالطهارة، والطهارة فى اللغة هى النزاهة عن الأقذار، وفى الشرع تعنى: رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة ، وتكتسب الطهارة أهمية خاصة فى الدين الإسلامى لارتباطها بالصلاة، وقد وردت مادة (الطهارة) واشتقاقاتها المختلفة فى ٣١ موضعاً بالقرآن الكريم ، وساد مفهوم التطهر من النجاسات والأقذار ما يقرب من نصف تلك المواضع مثل قوله تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾(١) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾(٢) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾(٣) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ**﴾(٤) . ويمثل هذا المفهوم قول الرسول ﷺ : «الطَّهورُ شَطْرُ الإيمان» رواه مسلم فى صحيحه .

---

(١) سورة المدثر : ٤

(٢) سورة البقرة من الآية: ٢٢٢

(٣) سورة المائدة من الآية: ٦

(٤) سورة البقرة : من الآية ٢٢٢

كما وردت الطهارة فى القرآن بمعانٍ مختلفة ، ومنها :

١ ـ الطهارة بمعنى طهارة القلب، كـما فى قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾(١) .

٢ ـ الطهارة من الفـاحشة والزنـا، كما فى قـوله تعالى: ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾(٢) .

٣ ـ طهارة الـمال فلا يدنـس بحرام ، كمـا فى قوله تـعالى : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾(٣) .

٤ ـ الطهـارة من عـبادة الأوثان وقـول الزور، كـما فى قـوله تعـالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٤) .

كما تشمل الطهارة نظافة كل من البدن والثوب والمكان والماء ، حيث إن:

أ ـ نظافة البدن :

فقـد حـث الإسلام على نظافـة الإنسان المـسلم لبدنـه ، حيث قـال رسول الله ﷺ : «تنظفـوا فـإن الإسلام نظيف» رواه أحـمـد وأبو داود والترمـذى وابن مـاجـه والحـاكم . ويندرج تـحت هذا النوع من النظـافـة الطهـارة مـن الحـدث والخبث، والحدث نوعان هما :

(١) سورة الأحزاب من الآية : ٥٣

(٢) سورة النمل من الآية: ٥٦

(٣) سورة التوبة من الآية: ١٠٣

(٤) سورة المائدة : ٤١

أ ـ حدث أكبر:

وهو ما يوجب الغسل كالجنابة، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا**﴾(١) .

وكذلك النفاس والحيض كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ**﴾(٢) .

ب ـ حدث أصغر:

وهو ما يوجب الوضوء كالبول والغائط وسائر نواقض الوضوء ، وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» رواه البخارى .

أما الخبث: فهو النجاسة العالقة بجسم الإنسان أو فى ثوبه أو فى مصلاه . وإزالتها شرط فى صحة الصلاة عند جمهور العلماء .

ومن وجهة النظر الطبية فإن الاستنجاء له دور كبير فى نظافة البدن، حيث التخلص من آثار البول وبقايا البراز مهم جداً من الناحية الصحية، فالبول يحتوى على مجموعة من المواد الكيميائية السامة، إضافة إلى الجراثيم التى توجد فيه حتى فى حالات الجسم الطبيعى، أما البراز فإن الجرام الواحد منه يحتوى على نحو مائة ألف مليون خلية بكتيرية (مثل بكتريا القولونE. coli) فضلاً عن جراثيم أخرى مثل جراثيم التيفود أو الدوسنتاريا وغيرها .

ولقد أثبتت دراسة بكلية الطب بجامعة ما نشستر أن البكتيريا تستطيع أن تنفذ من ثمان طبقات من ورق التواليت إلى اليد وتلوثها فى أثناء عملية التخلص من بقايا البراز ، ولذلك يُعَدُّ الماء أفضل وسيلة للنظافة (٣).

---

(١) سورة النساء من الآية : ٤٣

(٢) سورة البقرة من الآية: ٢٢٢

(٣) نظافة البيئة من منظور إسلامى ، مقال للمهندس/ محمد عبد القادر الفقى، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٢٠، أكتوبر ١٩٩٢، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

كما حذر الإسلام من الاستنجاء باليد اليمنى، تنزيها لها عن مباشرة الأقذار ، وحماية لها من التلوث بالجراثيم أو الفطريات .. فعن حفصة رضي الله عنها «أن النبى ﷺ كان يجعل يمينه لأكله وشربه وأخذه وعطائه ، وشماله لما سوى ذلك» رواه أحمد، وأبو داود وابن ماجه وابن حبان .

كما أنه بتكرار الوضوء عدة مرات فى اليوم الواحد تنظف الأجزاء المكشوفة من جسم الإنسان التى تكون أكثر تلوثاً بالميكروبات، حيث يصل عددها على السنتيمتر المربع الواحد من الجلد فى بعض المناطق المكشوفة إلى زهاء خمسة ملايين ميكروب وهى تتكاثر بسرعة ؛ ولذا لا بد من غسل الجلد باستمرار للتخلص منها، وخصوصاً أن متوسط مساحة الجلد نحو مترين مربعين، وأن الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مائتى مليون ميكروب .. ولذلك قال الرسول ﷺ : «حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجلده» رواه الشيخان .

كما أمر الإسلام أن يتخلص المسلم من فضلات وآثار الطعام بين أسنانه، حيث قال الرسول ﷺ : «ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعامًا وهو قائم يصلى» رواه ابن ماجه .

والمعروف أن المضمضة فى الوضوء تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات ومن تقيح اللثة وتقى الأسنان من التسوس، فقد ثبت أن ٩٠٪ من الناس الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة فمهم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان ، وأن المادة الصديدية والعفونة التى تتكون فى الفم لا يقتصر ضررها على تقيح اللثة، فإنها تدخل المعدة مع اللعاب والطعام، فتمتصها المعدة وتسرى إلى الدم، ومنه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضاً كثيرة»(١) .

(١) معجزات فى الطب للنبى العربى محمد ﷺ ، للدكتور محمد سعيد السيوطى .

كما ذكر الأطباء وجودأنواع هائلة من الميكروبات بالفم واللعاب قد يصل عددها إلى الملايين، وهى تتغذى على بقايا الطعام المترسب على الأسنان وبينها، وينتج عن نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة تؤثر على الفم ورائحته، ولذلك سن الإسلام استخدام السواك، فقال عليه الصلاة والسلام «تسوَّكوا فإن السواك مَطْهَرَةٌ للفم مَرْضَاةٌ للرب» رواه أحمد والنسائى والترمذى .

وعن معاذ ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعْمَ السواكُ الزيتون من شجرة مباركة ، يطيب الفم ويذهب بالحفر، وهو سواكى وسواك الأنبياء قبلى» أخرجه الطبرانى .

وعن أبى أيوب عن النبى ﷺ أنه قال : «أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والنكاح والسواك» رواه الترمذى والإمام أحمد .

كما حث الإسلام على الاستنشاق وجعله بمثابة المضمضة للفم، ويفيد الاستنشاق فى تنظيف الأنف ، حيث دخول الماء للأنف ثم خروجه منه يؤدى إلى التخلص من المادة المخاطية التى تكون مأوى لكثير من الميكروبات وينظف شعر الأنف منها .

ومن سنن الفطرة فى نظافة الجسد أيضاً ما ذكره أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «الفطرة خمس ، أو خمس من الفطرة : الختان والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط ، وقص الشارب» حديث متفق عليه .

ولقد أكد لنا العلم الحديث أهمية ذلك .. فترك الأظافر بدون قص يتسبب فى أن تتراكم تحتها القاذورات والميكروبات التى تساعد على نقل أمراض عديدة للإنسان نفسه وإلى غيره . ومن تلك الأمراض الإسهال والمغص والتهابات العيون والإصابة بالديدان المعوية وغيرها ، كما يؤدى ختان الذكور إلى عدة فوائد

صحية فقطع القلفة يخلص المرء من المفرزات الدهنية ويحول دون نمو العديد من الميكروبات والجراثيم التى تهيئ القلفة لها الوسط الملائم للتكاثر، وقد تبين أن سرطان عنق الرحم يقل عند نساء المسلمين عن غيرهن ؛ نتيجة ختان أزواجهن، أما الاستحداد (وهو حلق شعر العانة) فله أهمية صحية كبرى، حيث هناك نوعان من القمل لا يعيشان إلا على شعر العانة وتصاب به أعداد كبيرة سنوياً فى الغرب من الذكور والإناث .. كما أن الإبط مكان كثير التعرق ؛ ولذا يُعَدُّ مهدًا مناسبًا لنمو الفطريات والميكروبات، إضافة لما يصدر عنه من رائحة مقززة ؛ ولذلك فإن نتف الإبط يقلل من فرصة وجود هذه الميكروبات بأعداد كبيرة ، أما قص الشارب فإنه من سنن الفطرة ؛ لأن الشارب إذا طال تلوث بكل ما يشربه الإنسان ، ومن ثم يساعد على تلوث الفم .

ب ـ نظافة الثوب:

فتشمل نظافة البيئة فى الإسلام نظافة الملبس الذى يرتديه المسلم، فالفرد فى المجتمع الإسلامى مطالب بأن يكون حسن المظهر جميل الهندام نظيف الثوب كما يقول تعالى : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ (١).

وقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس مظهراً وأجملهم ثياباً، وكان يحث أصحابه على نظافة ملابسهم، فقد رأى النبى ﷺ رجلاً عليه ثياب متسخة فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه» رواه أبو داود . فالرسول الله ﷺ بقوله هذا يدعو المسلمين إلى عدم تقليد هذا الرجل بترك ملابسهم متسخة، وقد جعل الإسلام طهارة الثياب شرطاً لصحة العبادات التى لا تنقطع، وهذا يتطلب من الإنسان حرصاً دائماً على طهارة ملبسه من جميع النجاسات التى تصيب الجسم

(١) سورة الأعراف من الآية : ٣١

بقصد أو من غير قصد ، حيث يقول تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[١] .

وروى الطحاوى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من اتخذ ثوباً فلينظفه» ، وأكد ﷺ على نظافة الثياب فى مواطن الاجتماع (مثل الجمعة والعيدين) ، حيث إن نظافة الثوب تساعد على إبعاد الإنسان ووقايته من مصادر التلوث بالميكروبات والأمراض المعدية .

ج ـ نظافة المكان :

فقد حث الرسول الكريم على نظافة البيوت فقال ﷺ : «إن الله طيب يحب الطيب، جواد يحب الجواد، كريم يحب الكرم، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» رواه الترمذى، حيث يحذرنا الرسول الكريم فى هذا الحديث الشريف من التشبه باليهود الذين كانوا يُفَرِّطون فى نظافة بيوتهم من القمامة والفضلات ، وتستهدف دعوة الإسلام إلى نظافة البيوت المحافظة على الصحة العامة ؛ لأن تراكم الأوساخ فى البيوت يعطى الحشرات والجراثيم مجالاً رحباً للانتشار والتكاثر، فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة التى تزكم الأنوف وتجعل البيوت مكانًا غير صالحٍ للإقامة فيه .

وتشمل نظافة المكان (بالإضافة إلى البيوت) الأسواق والمساجد والمنتديات وغيرها من الأماكن التى يقيم الإنسان فيها بصورة دائمة أو مؤقتة ، كما يحث الإسلام بوجه عام على نظافة الأرض وحمايتها من التلوث، وقد جعل نظافة المكان شرطاً أساسياً للأرض التى يؤدى عليها الصلاة، ولا تصح صلاة المرء إذا لم يؤدها فوق تربة نظيفة من القاذورات على أنواعها ، ويندرج تحت نظافة المكان: الاختيار المناسب للموقع الذى سيقيم فيه الإنسان ويتخذه نزلا له ، سواء

(١) سورة المدثر : ٤

كان بيتاً أو حتى خيمة ، ومن الاشتـراطات التى وضعها سلفنا الصالح للمسكن ما يلى :

١ ـ ألا يكون فى أرض وبيئة تكثر فيها الأوجاع والعلل والأمراض .

٢ ـ ألا يكون معرضاً للرطوبة ومحروماً من النور والهواء (مسكن صحى جيد التهوية) .

٣ ـ ألا يكون منخفضاً جدًا تحت الأرض (حتى لا يكون سيئ التهوية) .

٤ ـ ألا يكون مرتفعاً جدّا ومعرضاً لتأثير الرياح الشديدة .

٥ ـ أن تكون سعـة غرفة بقـدر الاحتيـاج، وأن تكون عمـارته وأبوابه ونوافذه محكمة تمنع الحشرات والهوام والهـواء البارد والأتربة والغبار الذى يحتوى على الميكروبات والجراثيم الضارة وغيرها .

د ـ نظافة الماء :

لما كـان الماء أصل الحـياة فى الكون كلـه حيث يقول تـعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾(١)، فإن المحافظة عليه نظافتـه من التلوث والفساد تعد أساساً للمحافظة على الحـياة بأشكالها المختلفـة ، وتحفل الشريعة الإسلامـية بنصوص كثيرة تحث على حمـاية الماء من التلوث .. فعن جابر ﷺ عن النبى ﷺ قال: «لا يَبُولَنَّ أحدُكم فى الماء الراكد ، ثم يغسل فيه» رواه البخارى ، ولا يخفى على الإنسان أن هناك أمـراضاً كثيـرة تنتج عن الاستحـمام فى الماء الراكـد الذى سبق التبول فيه ، مثل البلهارسيا والكوليرا وغيرهما ، كما ذكر أن الرسول ﷺ «نهى أن يبال فى الماء الجـارى» رواه الطبرانى وذلك النهى هدفه المحـافظة على نظافة الماء مـن التلوث بالطفيليـات التى قد تكون مع الـبول (مثل ديـدان الإنكلستـوما

(١) سورة الأنبياء من الآية : ٣٠

وغيرها)، وفى حديث آخر عن الرسول ﷺ يقول : «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الماء وفى الظل وفى طريق الناس» رواه أبو داود، حيث يتسبب وجود البراز فى الماء فى التلوث بالطفيليات والميكروبات والروائح الكريهة، وحين يكون البراز بكميات كبيرة (كما هو عند تصريف مياه المجارى إلى المسطحات المائية كالبحار والأنهار والبحيرات وغيرها) فإن ذلك يؤدى إلى تلوث تلك المياه واستنزاف الأكسيجين الذائب فى مياه هذه المسطحات أثناء عملية التحلل البيولوجى للمواد العضوية الموجودة فى مياه المجارى، وهو أمر يؤثر فى حياة الأسماك والأحياء المائية الأخرى فى تلك المياه الملوثة، مما يعود بالضرر مرة أخرى للإنسان عند تناوله للأسماك التى تعيش فى تلك المياه الملوثة. ولقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها «نهى رسول الله ﷺ عن أن يشرب من السقاء؛ لأن ذلك ينتنه»، فالمعروف أن قيام مجموعة من الناس بالشرب من وعاء واحد يعرضهم جميعاً لانتقال العدوى بمرض أصاب أحد الذين شربوا من هذا الوعاء، ولذلك تنهى تعاليم الدين عن أن يشرب مجموعة كبيرة من الناس من وعاء واحد منعاً لانتقال الميكروبات عن طريق الفم .

كما أمرنا رسولنا الكريم بعدم ترك وعاء الماء وغيره مكشوفاً للميكروبات حيث قال ﷺ : «أوكئوا قربكم واذكروا اسم الله وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله» .

وقوله ﷺ : «غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وقاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء».

هـ ـ نظافة النفس من الغضب[1]:

فقد روى البخارى والترمذى ومالك وأحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

(١) التلوث البيئى وأثره على صحه الإنسان للمؤلف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ط ١ ، ١٩٩٨ .

«أن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر على فأنسى، فقال النبى ﷺ : «لا تغضب» .

وروى الترمذى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ليس الشديد بالصُّرَعَة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» .

وروى أبو هريرة أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ أوصنى، قال ﷺ : «لا تغضب، فردد مراراً، قال :لا تغضب « وزاد أحمد وابن حيان فى رواية عن رجل لم يسم قال : تفكرت فيما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله وقال ابن التين: جمع ﷺ فى قوله : «لا تغضب .. خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤدى إلى التقاطع ومنع الرفق وقد يؤذى المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين»(١). فإذا غضب الإنسان وانفعل ازداد إفراز هرمون الكورتيزون والإدرينالين من غدده الصماء، وازداد توتر العصب السمبثاوى ، وأدى ذلك إلى سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم ، فيكون الإنسان عرضة لسلسلة من الأمراض مثل: مرض ارتفاع ضغط الدم، والذبحة الصدرية، ومرض السكر، ومرض قرحة المعدة والإثنى عشر وغيرها، كما تحدث له فوق ذلك اضطرابات نفسية وعصبية لا حد لها .

وعن أبى ذر قال : قال النبى ﷺ : «عُرضت عَلَىَّ أعمال أمتى حسنها وسيئها، فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت فى مساوئ أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن(٢) .

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ : «إنه خُلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبرالله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله،

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ٧٨، الجزء العاشر، الحديث ٦١١٦، ص ٥٣٥.

(٢) رواه مسلم : م (٥٥٣)

واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، أو أمر بمعروف ، أونهي عن منكر ، عدد الستين والثلاثمائة ، فإنه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار »(١) .

ومما يثير الإعجاب والدهشة ويدعو إلى الإعجاز فى قول رسولنا الكريم ﷺ .

إن أحدث الأبحاث الطبية فى نهاية القرن العشرين أكدت على أن جسم الإنسان يتكون فعلاً من ثلاثمائة وستين مفصلاً كما ذكر رسولنا الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة بسبب شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين »(٢).

□□□

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

ثانيًا : الضوضاء من وجهة نظر الدين الإسلامى

الضوضاء إحدى عوامل الإجهاد الذهنى والعصبى، وتلعب دوراً هاماً فى إعاقة العمل والإنتاج، وأشد الناس تأثراً بالضوضاء أصحاب الأعمال والمثقفون والمهن التى تستخدم عقولها فى العمل والتفكير والإبداع، كما تعتبر الضوضاء أحد أسباب التوتر والقلق فى المجتمعات ، سواء فى المدينة أم فى الريف على حد سواء، ولقد اهتم الإسلام بمحاربة الضوضاء، فأمر المسلمين بالسكينة والوقار، حيث يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(١) .

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾(٢) .

وتزداد مشكلة الضوضاء وضوحاً وتأثيراً فى الدول النامية أو المتخلفة ، فى حين أنها تكاد تكون معدومة فى الدول المتقدمة .

ومشكلة مكبرات الصوت فى المدن (سواء فى أماكن المناسبات أم فى الكازينوهات وغيرها) أصبحت من المشاكل الهامة التى يعانى منها كثير من المرضى والأطفال والتلاميذ وكبار السن، كما أن ظاهرة قيام الشباب باستخدام المسجلات بأصوات مرتفعة تزيد من درجة الضوضاء التى تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر على الجهاز العصبى للإنسان وكذا على الدورة الدموية، كما أنها تؤثر

---

(١) سورة الحجرات الآيتان : ٤ ـ ٥

(٢) سورة الحجرات الآيتان : ٢ ـ ٣

على إنتاج المواطنين، وهى أحد أسباب انتشار الأمراض العصبية والنفسية والعقلية، إلى جانب الأمراض العضوية التى يسببها التوتر، فعند مستوى ضوضاء يزيد على ١٣٠ ديسبل (وحدة قياس تركيز الصوت) قد تؤدى الضوضاء إلى الوفاة ؛ حيث تدمر ميكانيكا السمع مصحوبة بآلام شديدة ، كما تؤثر الضوضاء بطريق غير مباشر على الجهاز العصبى، وبالتالى على الجهاز الدورى الذى قد يؤدى إلى ارتفاع فى ضغط الدم أو هبوط فى القلب أو حدوث ذبحة ، ومن المعلوم أن مستوى الضوضاء المسموح به عالمياً هو ٦٠ ديسيل، وأن هذا المستوى فى بعض شوارع القاهرة يصل إلى أضعاف ذلك بكثير . وللوقاية من الضوضاء وآثارها الخطيرة يجب مراعاة ما يلى :

١ ـ إذا كنت فى الأماكن المزدحمة بآلات التنبيه الناتجة من السيارات فالأفضل إغلاق زجاج السيارات لمنع الاستماع إلى الأصوات العالية من هذه السيارات ، مع التقليل قدر الإمكان من استعمالك لآلات ألتنبيه .

٢ ـ يفضل إغلاق الشبابيك والأبواب لتقليل الضرر الناتج من مكبرات الصوت المرتفعة .

٣ ـ يجب أن يوقف استخدام أجهزة المسجلات ذات سماعات الأذن والتى يستغلها الشباب والأطفال حالياً ، حيث تؤثر على طبلة الأذن والجهاز السمعى للشخص ، كما تؤثر على الجهاز الدورى وسرعة ضربات القلب .

٤ ـ إذا كنت فى مكان عام ويستحيل تجنب هذه الأصوات العالية ، فيمكنك استعمال قطعتين من القطن لسد فتحات الأذن مع ضرورة إزالة القطن بين الحين والحين منعاً لتكثيف الرطوبة داخل الأذن وتشجيع نمو الفطريات ، مع مراعاة عدم تبديل قطع القطن فى الأذنين منعاً لنقل الأمراض ، كما يجب مراعاة عدم

استعمال قطن من أذن شخص آخـر ، ويراعى تجنب سد الأذن سداً كاملاً ، بل فى حدود سماع الأصوات بدرجة متوسطة .

٥ ـ هذا وتحتم إجراءات الأمن الصناعى على العمال والفنيين الذين يعملون فى أماكن بها أصوات عالية ناتجة من الـماكينات أوالورش أو الطائرات استعمال سماعات خاصة لتقلل إلى درجة كبيرة من هذه الأصوات حفاظاً على صحتهم .

ثالثاً : التشجير بين العلم والدين

الزراعة مأخوذة من الزرع، بمعنى طرح البذور أو الإنبات ، فيقال زرعه الله أي: أنبته الله، ومنه قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾(١) .

ولقد ذكرت الزراعة فى القرآن الكريم ١٤ مرة، كما ذكر الشجر ٢٦ مرة وهناك الكثير من الآيات التى تتحدث عن الزرع والشجر والثمر سواء فى الدنيا أو فى الآخرة (سواء فى الجنة أو النار)، مثل قوله تعالى: ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾(٢) ، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾(٣) .

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾(٤) .

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾(٥).

وهى دعوة صريحة لانتشار الحدائق والتشجير وزيادة الخضرة .

كما تحدثت الأحاديث النبوية الشريفة عن أهمية التشجير والدعوة إليه ، عن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاَّ كان له به صدقة »(٦) .

وقول الرسول أيضاً: «إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها فإن له بها صدقة » .

(١) سورة الواقعة : ٦٤

(٢) سورة النحل من الآية : ١٠

(٣) سورة يس : ٨٠

(٤) سورة الرحمن : ٦

(٥) سورة النمل : ٦٠

(٦) صحيح البخارى ، كتاب الحرث والمزارعة ، ج ٥ ، ص ٥ .

وفى جامع الترمذى من حديث أبي حامد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما فى الجنة شجرة إلاّ وساقها من ذهب » .

ولقد حث الرسول ﷺ على الاهتمام بغرس الأشجار وزراعتها ؛ لما فيها من استمرارية للحياة وفائدة للناس ..

وتتضح أهمية التشجير وفوائده فى المجتمعات المعاصرة بما يلى :

١ ـ التشجير والخضرة عموماً تساعدان على شعور الإنسان بالسعادة والمرح (حيث يحدث تأثير نفسى للمناطق الخضراء وللخضرة) خاصة عند رؤية الزهور ذات الرائحة العطرة ونباتات الزينة ذات الأشكال الجميلة .

٢ ـ الأشجار تستخدم للظل وتحمى من حرارة الشمس المسافرين والعمال والزراع وغيرهم ، كما فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾(١) .

٣ ـ التشجير والمناطق الخضراء عموماً لهما تأثير مباشر فى حماية البيئة من عوامل المناخ، وتلطيف الجو، خاصة فى المناطقة الحارة عن طريق النتح للأشجار ، فلقد ثبت أن درجات الحرارة فى المناطق الخضراء المحيطة بالمدن تقل بحوالى ١٠ درجات مئوية عنها داخل المدن، كما أن الظل الكثيف من النباتات والأشجار حول المبنى (المنزل) يخفض درجة الحرارة حوالى ٢٠ درجة فهرنهيت ، ويمكن إيجاد ذلك بزراعة أشجار متساقطة الأوراق كثيفة الأوراق .

٤ ـ تعمل الأشجار الخضراء (وكافة أنواع النباتات الخضراء) على تنقية الهواء من الغبار والأبخرة والمخلفات العديدة العالقة به، حيث تمتص ثانى أكسيد الكربون من الجو، وتستخدمه مع الماء وفى وجود التمثيل الضوئى ينطلق غاز الأكسجين الذى يستخدمه الإنسان والحيوان فى تنفسه ، وبذلك تنقى الجو .

(١) سورة الفتح : ١٨

٥ ـ تستخدم فى توفير المواد الغذائية للإنسان والحيوان ، حيث يمكن الحصول على الثمار المختلفة من الأشجار كغذاء (مثل البلح ـ الرمان ـ التين وغيرها) .

٦ ـ الحصول على الخشب الناتج من الأشجار واستخدامه فى صناعات مختلفة مثل الأثاث وغيره .

٧ـ استخدام الخشب (الناتج عن قطع الأشجار) فى التدفئة والحصول على الطاقة بكافة أنواعها (من فحم ـ بترول وخلافه).

٨ ـ استخدامات أخرى للأشجار فى الأدوية والعلاج وصحة الإنسان ، مثل استخدام قلف أشجار الصفصاف فى العلاج ، والسواك (من شجرة الأراك) وفى صناعات غذائية .

٩ ـ تعمل الأشجار كمصدات للرياح فى الأراضى الصحراوية لحماية الزرع والنباتات، وذلك مثل أشجار الكافور والكازورنيا والأكاسيا والعبل والآثل .

١٠ـ كما تقوم الأشجار فى المناطق الصناعية ، وكذا فى المدن التى تحيط بها الجبال أو الصحارى بتقليل كمية الأتربة والمواد الملوثة الموجودة بالهواء ، حيث تعمل كمصفاة ؛ لذلك لجأت كثير من المدن فى العالم إلى عمل ما يسمى بالحزام الأخضر حول المدن .

١١ ـ كما يُعَدّ نشر الخضرة والتشجير ذا ثواب للإنسان ، كما فى الحديث السابق؛ «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة »، هذا بالإضافة إلى أن الأشجار الخضراء والنباتات الحية تسبح الله سبحانه وتعالى، كما فى قوله تعالى : ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ .

١٢ ـ كما تم اكتشاف نوع من الأشجار يزرع بالهند وتجود زراعته بالصحراء، وله ثمار فى حجم درنة البطاطس، وتحتوى على نسبة كبيرة من

الأحماض الدهنية غير المشبعة (٧٩٪) ، وتستخدم زيوتها كوقود للسيارات والمحركات ، ويمكن زراعتها بمصر واستخدامها كمصدر للوقود بديل للبترول.

١٣ ـ كما ذكر بحث أمريكى أن زراعة نباتات الخردل وعباد الشمس فى التربة الملوثة (سواء بالتلوث الكيماوى أو الإشعاعى) يساعد على تطهيرها من تلوث الملوثات، وأن هذه النباتات يمكنها أن تستخلص الرصاص والمعادن الثقيلة الخطيرة الأخرى والمواد المشعة من التربة وبتكاليف بسيطة أقل من أى طريقة أخرى للتخلص من تلك المواد الخطرة .

١٤ ـ كما تلعب الأشجار (المسطحات النباتية عموماً) دوراً مهمّاً فى عملية تأمين الهواء، حيث تزيد نسبة الأيونات السالبة فى الهواء بمعدل أكثر بنحوثلاث مرات فى الأماكن المشجرة ، عنها فى الأماكن الجرداء، وتنعكس زيادة الأيونات السالبة فى الهواء إيجاباً على نشاط الإنسان والحيوان ، وكذلك على مقاومة الإنسان للأمراض ، فقد تفرز بعض النباتات والأشجار مواد مختلفة (فيتوكسيد Phytocide) ذات تأثير مثبط أو قاتل للبكتيريا والميكروبات الأخرى، ومن أمثلة ذلك :

ـ شجرة النيم تفرز مواد تطرد الحشرات (مثل الذباب والبعوض وغيرها) بالإضافة إلى فوائدها الأخرى .

ـ أشجار الصنوبر تفرز مواد طيارة تثبط عمل إصابات ميكروبات السل والدفتيريا وغيرهما .

ـ إفرازات بعض الأشجار عموماً (مثل الكينا والزيزفون وغيره) لها تأثير على الميكروبات .

١٥ـ أوضحت البحوث الحقائق التالية :

ـ يجب زراعة ١٠٠ شجرة فى مقابل كل سيارة نقل موجودة تنفث سمومها فى الجو .

ـ يجب زراعة ١٠ شجرات فى مقابل كل سيارة صغيرة لتنقية الجو .

ـ يجب أن يقوم كل مصنع بزراعة شجرة فى مقابل كل لتر من الوقود الذى يستخدم فى إدارة المعدات .

ـ تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المركبات السامة من الهواء (مثل غاز ثانى أكسيد الكبريت السام الذى تمتصه أوراق الأشجار من الجو).

ـ تقوم بعض الأشجار بتنقية الهواء من الملوثات العالقة به .

ـ تقوم بعض الأشجار بخفض درجة الحرارة وبخفض سرعة التيارات الهوائية الصاعدة والهابطة ، وتلعب دوراً مهماً فى تعديل المناخ .

وإضافة لما سبق ، فقد أثارت الدراسات البيئية أيضاً إلى أن حزاماً من الأشجار عرضه ٣٠ متراً ، يخفض تركيز غاز أول أكسيد الكربون (ك أ) بنسبة تصل الى ٦٠٪، وأن كيلومتراً مربعاً من الأشجار يمتص يومياً من ١٢ ـ ٢٠ كيلو جراماً من هذا الغاز[1] ، كما وجد أنه لتكوين متر واحد من المادة الخشبية الجافة تستهلك الأشجار نحو ١,٨٣ طن من غاز ثانى أكسيد الكربون (ك أ ٢) وتطلق نحو ١,٢٣ طن من غاز الأوكسجين ، وبذلك يخفف إنتاج متر واحد مكعب من المادة الخشبية من وجود غاز ثانى أكسيد الكربون ، وعلى سبيل المثال فإن نبات الحور (يعيش فى المناطق الجافة وشبه الجافة ويتحمل المناخ الحار بشرط توافر مياه الرى) يعطى الكيلو متر المربع المزروع منه (والذى يصل نموه إلى ارتفاع ١٤ متراً خلال فصل النمو الواحد) نحو ١٢٠٠ طن من الأكسجين كما يقوم

(١) عواد جاسم الجدى ، درع حيوى ضد التلوث ، مقال بجريدة العربى ، عدد ٤٢٦ ، الكويت، ١٩٩٤ .

بامتصاص ١٦٤٠ طناً من غاز ثانى أكسيد الكربون[١] .

كما أن المناطق المشجرة (حول المدن وداخلها) وكذلك الغابات تلعب دوراً مهماً فى تنقية الهواء من الغبار والجزيئات العالقة به (خاصة فى المناطق الصناعية)، فيمكن لأشجار الغابة أن تخفض عدد هذه الجزيئات العالقة فى الجو بمعدل يتراوح بين ١٠ ـ ١٠٠ مرة، وتستطيع احتجاز كميات من الجزيئات المعلقة تتراوح بين ٤٠ ـ ٨٠٪ من كميتها الموجودة بالهواء ، هذا وتقوم الأشجار ذات الأوراق الموبرة (الإبرية كالصنوبر والسرو) باحتجاز كميات أكبر من هذه الجزيئات بدرجة أكبر من الأشجار ذات الأوراق المسطحة، كما أوضحت القياسات أن تركيز الغبار فى الحدائق العامة أقل منه فى الأماكن الجرداء بـ ٤٢٪ صيفاً و ٣٧٪ شتاء ، وتمتص النباتات والأشجار قسماً كبيراً من الغازات السامة الملوثة ، وذلك إما مباشرة، أو بعد ذوبانها فى مياه الأمطار وتمثلها ، وبالتالى تحول دون وصولها إلى التربة وكائناتها الدقيقة الحية ، وعموماً يجب أن نفرق بين نمطين للتشجير هما :

أ ـ المندمجات الشجرية Agroforesty: وفيه تكون المنظومة الشجرية أو الغابة الصناعية مندمجة مع إنتاج زراعى .

ب ـ الأحزمة الخضراء Green Shelterbelts

ويقصد بها تكوينات من الأشجار ذات امتداد كبير تحمى مناطق زراعية أو سكنية من العواصف الرملية والظروف المناخية المصاحبة لها ، أو تحمى المناطق المعرضة للانحراف بفعل السيول والمياه [٢].

---

(١) التشجير الوقائى واستراتيجية حماية البيئة بمصر، مقال للدكتور السيد عزت قنديل ، جريدة الأهرام ، ١/ ٢/ ١٩٩٥ .

(٢) المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة للدكتور أحمد عبدالوهاب عبدالجواد، سلسلة دائرة المعارف البيئية الدار العربية للنشر والتوزيع، طبعة أولى، ١٩٩١ صـ ١٧٥ .

ويجب أن نهتم بإنشاء كلا النمطين (المندمجات الشجرية والأحزمة الخضراء) لمنع زحف الصحراء على المناطق الزراعية أو المدن ، فلو تم تنفيذ ذلك حول مدينة القاهرة مثلاً لأفادها فى فترات هبوب رياح الخماسين المحملة بالأتربة والرمال ، بالإضافة إلى الاستفادة من أخشابها (حيث جملة استيراد مصر الآن من الأخشاب ومنتجاتها تزيد قليلاً عن ٥ , ٢ ألف مليون جنيه ، ومن هنا تأتى الحاجة إلى الاستغلال الأمثل للموارد الأرضية) ، بالإضافة إلى الفوائد الأخرى التى ذكرناها سابقاً ، حيث التشجير (أو الغابات الصناعية فى مصر) يجب أن يركز على عاملين :

أ ـ عامل وقائى بيئى Environmental Protection Forety، يقوم بتوفير الحماية البيئية مع رفع الإنتاج الزراعى .

ب ـ عامل إنتاج الأخشاب لبعض الاحتياجات المحلية، وذلك بعد وصول غابات الحماية إلى حد النضج وقبل التدهور ، بحيث تتم عملية إحلال واستبدال لجزء منها سنوياً .

ولقد أثبتت الدراسات العلمية فى مصر زيادة الإنتاج فى المحاصيل الزراعية المختلفة بمتوسط ٤٠٪ عن طريق استخدام أحزمة الوقاية الشجرية فى شمال غرب الدلتا، كما أشارت البحوث العلمية بجامعة الإسكندرية أن الإنتاج الخشبى من أشجار سريعة النمو عند عمرأربع سنوات يمكن تصنيعه فى بعض الصناعات (كإنتاج لب الورق والخشب الحبيبى وغيره)، وهذا أصبح مطلباً ضرورياً وهاماً فى مصر حيث الصحراء الممتدة غرباً (نحو ٦٨٦ ألف كيلو متر مربع) ، بالإضافة إلى الصحراء الشرقية وسيناء .. كل ذلك يحتم علينا تطبيق نمطى التشجير لتثبيت الكثبان الرملية فى الساحل وسيناء ، ولوقف التصحر وغيره من الفوائد ، وإن جمهورية مصر العربية فى حاجة إلى عدة مشاريع لأحزمة الوقاية البيئية كتجمعات

من غابات الحماية تُمَكِّن من المحافظة على الثروة الطبيعية من الحياة البرية ، وتحويل مناطق صحراوية إلى شبه واحات مستقرة ، مع التنمية البشرية والزراعية والرعوية ، ومع ما نراه الآن من اهتمام الدولة بالتشجير ، فيجب الاهتمام بوضع استراتيجية قومية للتشجير بكافة أنماطه الملائمة لتحقيق هذا الهدف القومى .. وما أحوجنا إلى تطبيق مشروع شجرة لكل مواطن فى مصر .. بحيث يتم القيام بحملات قومية سنوياً لتشجير الشوارع ، وإنشاء الحدائق، ونشر الخضرة بالأراضى الصحراوية والبور والاستفادة من الطبيعة التى وهبها الله لنا .. خصوصاً فى تلك الفترة التى فقد الإنسان فيها نحو ثلثى الغابات فى العالم، وتقوم البلديات فى كثير من مدن العالم بإزالة الأشجار من الشوارع برغم شدة أهميتها للبيئة ، خصوصاً مع التزايد الخطير فى السكان ، والتزاحم الكبير فى المدن الصناعية التى تخرج كميات هائلة من المواد الضارة بالبيئة .

من أجل ذلك فقد حرم الدين قطع الأشجار حيث يقول الرسول ﷺ : «من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار» ، كما نهى الرسول ﷺ عن قطع الأشجار لما فيها من نعمة جليلة .

رابعاً : القواعد التشريعية والدينية لحماية البيئة من التلوث

فالإسلام يعتبر أصدق وأقوى مثل على التأثير العقائدى فى حياة الشعوب والأفراد فكراً وتطبيقاً وتشريعاً وتنفيذاً وديناً ودولة فى وقت واحد ؛ ولذلك أصبح المسلمون أعظم أمة عرفها التاريخ فى جميع المجالات العلمية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، فكيف تعمل بهم العقيدة لو طبقت أوامرها فى مجال حماية البيئة من التلوث ؟

فلو أن المسلم اهتم فى المقام الأول بنظافة جسمه وملابسه وبيته وشارعه ، وعرف أن إهمال هذا كله حرام ومخالف للدين ـ ما رأينا هذه الكميات الهائلة من القمامة فى الشوارع والطرقات ، وما رأينا هذه الكميات الهائلة من الأمراض .

ولقد وضع الدين الإسلامى تعاليم واضحة وصريحة فى كل مشكلة من مشاكل البيئة من أول نظافة جسم الإنسان حتى نظافة منزله وشارعه ونظافة المياه، كما أن أقوى مبادئ علم مكافحة الأوبئة بدأ بعدم السخط والانزعاج عند حدوث وباء ، والاستعانة بالطبيب للتداوى ، وعزل المريض ، وعمل حجر صحى على البلاد أو المناطق التى بها الأمراض ، وأن المسلم المؤمن بالله إذا مرض بمرض معد (مثل الأنفلونزا) فعليه أن يعتزل مجلس الناس حتى لا تنتقل العدوى إلى المسلمين رحمة بهم ، وإذا ظهر وباء بأرض وكان فيها فلا يفر منها؛حتى لا يكون حاملاً لمرض يُعدى غيره ، ولا يدخلها حتى لا يعرض نفسه للمرض .

ولقد تمكنت الصين بالأسلوب العقائدى من التخلص من البلهارسيا التى تقتل الملايين فى الدول المتخلفة ، كما تخلصت من الذباب والعصافير والمواد المخدرة .

وشروط نجاح الأسلوب العقائدى لحماية البيئة :

١ ـ ضرورة أن يؤمن الإنسان بالعقيدة القوية المتأصلة فى النفس .

٢ ـ ضرورة وجود قيادة عقائدية تؤمن هى الأخرى بهذا الدور .

٣ ـ ضرورة تضافر أجهزة الدولة المختلفة فى قيادة حملة مشتركة من أجل حماية البيئة ، على أن يكون لوزارة الإعلام الدور الأول فيها .

كما تلعب وزارة التربية والتعليم دوراً هاماً فى غرس المفاهيم البيئية لدى الأطفال فى الحضانة والمدارس ، حيث يسهل فى هذه السن غرس المفاهيم البيئية والسلوك البيئى السليم على أن تقوم المدارس فى الإعدادى والثانوى بدراسة التعليم البيئى ، كما يوائم المواد التى يدرسونها ، كما يتم تدريس مفهوم البيئة والآثار الجانبية للنشاط الإنسانى على البيئة والتنمية على المستوى الجامعى على أيدى قيادات واعية بذلك، وعلى أن تقوم وزارة الأوقاف بالدور الأساسى فى ترسيخ العقيدة الدينية وربطها بالبيئة، وتوضيح أن الله قد جعل الإنسان مستخلفاً فى الأرض ، وله حق الاستثمار والانتفاع والتسخير بما يخدم التفكر والعبادة والمتعة والتذوق ، على ألاَّ ينسى أنه مطالب أيضاً بالمحافظة على البيئة ، حيث يجب أن يكون استعماله للبيئة بطريقة رشيدة ، ولا يفسد فيها ولا يعرض مواردها للفساد والتشويه ، وإن حق الاستثمار والانتفاع ملك له وللأجيال القادمة ، كما تقوم وزارة الصحة بالمساهمة فى حملة من أجل حماية الإنسان وصحته من تلوث البيئة .

وعموماً يمكن تلخيص أهم قواعد التشريع فيما يلى :

١ ـ أن ينص فى الدستور على أن لكل مواطن الحق فى العيش فى بيئة نظيفة غير ملوثة .

٢ ـ التوعية الدينية بأن الله قد جعل الإنسان مستخلفاً فى الأرض ، وعليه أن ينتفع بما فى البيئة ويسخر مواردها لصالحه ، بشرط المحافظة عليها وعلى مواردها من الفساد والتشويه ، وأن يحافظ عليها ليس فقط من أجله ، ولكن من أجل الأجيال القادمة ، عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾ . وقوله تعالى : ﴿**واللّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ وعملاً بقول الرسول ﷺ : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ».

٣ ـ على كل إنسان أن يعمل على حماية البيئة والمحافظة على مواردها ، حيث إنه مسئول أمام الله عن نفسه وعن أسرته وعن مجتمعه الذى يعيش فيه ، حيث يقول الرسول ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ، وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى حماية البيئة، ومنها بالإضافة إلى ما سبق ذكره ما يلى: النظافة شطر الإيمان ، «حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده» ، «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك» «من كان له شعر فليكرمه»، «أوكئوا قربكم، واذكروا اسم الله ، وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله» ، «غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلاَّ ونزل فيه من ذلك الوباء».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من السقاء ؛ لأن ذلك ينتنه». وعن أبى سعد أن رسول الله ﷺ نهى عن اجتثاث الأسقية؛ أن يشرب من أفواهها» .

وقوله ﷺ «لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ فيه ؛ فإن عامة الوساوس منه» .

« من سمى الله ورفع حجراً أو شجراً أو عظماً عن طريق الناس مشى وقد

زحزح نفسه عن النار» . وإلى غير ذلك من الأحاديث التى تحث على المحافظة على البيئة وحمايتها .

٤ ـ يجب توعية المواطنين دينياً بالالتزام بالتعاليم الدينية فى عدم التبذير فى استهلاك المياه من أجل تقليل مياه الصرف الصحى التى أصبحت مشكلة قومية، كما يجب التوعية بعدم قطع الأشجار والنباتات الخضراء ؛ لأنها تقلل كمية الأكسجين اللازمة للحياة ، كما يجب التوعية بعدم تجريف الأرض الزراعية ؛ لأن ذلك يقلل من خصوبة هذه الأرض، كما يجب التوعية بعدم البناء فى الأرض الزراعية ؛ لأن المسلمين فى أشد الحاجة إلى كل شبر من الأرض ينتج غذاء للمجتمع ، كما يجب التوعية بعدم التدخين لتجنب أضراره على الإنسان وصحته، وكذلك عدم إلقاء القمامة فى الشوارع وغير ذلك .

٥ ـ يجب حث المسلمين على الاقتصاد فى استخدام موارد البيئة، بحيث يتم استخدامها بطريقة مُثْلَى وعدم الإسراف فى استخدامها .

٦ ـ حث المسلمين على استخدام المخلفات من أجل التنمية ، مثل تحويل روث المواشى أو مخلفات الإنسان فى إنتاج البيوجاز أو استخدام نفايات المزرعة كسماد عضوى ، أو استخدام بقايا المواد الغذائية فى تربية الدواجن .

٧ ـ يجب أن يتدخل ولاة الأمور لحل المشاكل البيئية العامة فمثلاً :

أ ـ على الدولة أن تقوم بمنع المواطنين من إلقاء القمامة أو مياه الصرف فى الشوارع ؛ لأن ذلك يؤدى إلى إنتاج كميات كبيرة من الذباب والبعوض التى تؤدى إلى نقل عديد من الأمراض إلى الإنسان أو تسبب قلقاً له .

ب ـ على الدولة التحقق من أن المصانع تلتزم بالقواعد الصحية من حيث عدم تلوث البيئة (للهواء أو للمياه) .

ج - يجب سن القوانين الرادعة لحفظ مياه النيل من التلوث ، وكذلك مياه البحر والهواء والتربة .

د - يجب قيام الأجهزة الرقابية بالتأكد من عدم تلوث المواد الغذائية أثناء إنتاجها وبيعها والتحقق من توافر الشروط الصحية بها .

هـ - يجب أن يتعاون الجميع فى المجتمع (الفرد والجماعة والدولة) من أجل حماية البيئة والمحافظة عليها .

و - للدولة الحق فى اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لإزالة الضرر أو معالجته ، وكذلك التعويض ، مثل قيامها بإزالة المبانى المقامة على أرض زراعية لإضرارها بالأرض الزراعية أو تقوم بإزالة أحد المصانع من منطقة ما؛ لأنه يؤدى إلى تلوث البيئة، وحفاظاً على الصحة العامة لأفراد المجتمع بتلك المنطقة .

هذا، وجميع الأديان السماوية (وفى المذاهب الدنيوية) أيضاً تدعو إلى المحافظة على الطبيعة وحب الخير بين الناس ومن ذلك :

أ - جاء فى المسيحية (إنجيل متى، الفصل السابع ، ١٢) ما نصه «فكل ما تريدون أن يفعل بكم فافعلوه أنتم بها، فإن هذا هو الناموس والأنبياء ».

ب - جاء فى اليهودية (التلمود ، السبت ٣١ أ) ما نصه: «إن ما تراه أنت بغيضاً لا تفعله بجارك ، ذلك هو مجمل الشريعة وما بقى فشرح وتفسير » .

ج - جاء فى الإسلام فى الحديث الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».

د - جاء فى المذهب الكونفوشيوسى ما نصه : « ها هو بالتأكيد المبدأ الأساسى للحب : ألانفعل بالآخرين ما لا نود أن يفعلوه بنا » (أنا لكتيس ، ١٥ ، ٢٣) .

هـ - جاء فى مذهب البراهماتية ما نصه : «ذلك هو جوهر الواجب، لا تفعل بالآخرين ما يلحق بك أنت الأذى» (ما هابهارانا ٥ ، ١٥١٧) .

ثانياً : أمثلة لحماية البيئة الاقتصادية والاجتماعية فى الإسلام وتشتمل على :

١ ـ أثر الزكاة والصدقات والكفارات فى تحقيق العدالة الاجتماعية .

٢ ـ الإنفاق الواجب للصالح العام

٣ ـ آثار الربا من النواحى النفسية والاجتماعية والاقتصادية

٤ ـ محاربة الإسلام للمحسوبية

٥ ـ الإسلام يحارب الرشوة

٦ ـ النفاق فى الإسلام

٧ ـ الإسلام ضرورة حتمية لإصلاح البشرية

أولا : أثر الزكاة والصدقات والكفارات
فى تحقيق العدالة الاجتماعية

لا يكتفى الإسلام فى سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية واتقاء الضرر والضرار بتقييد تصرف المالك فى ملكه فى حياته وفيما يئول إليه ملكه بعد وفاته وفى وسائل كسب ملكه واستغلاله .. بل يضع على كاهله واجبات مالية يؤديها للمجتمع وللصالح العام وسد حاجات المعوزين فى مقابل تمتعه بما بقى له من حقوق ، ومن أهم هذه الواجبات الزكاة والصدقات الموسمية والكفارات .. فقد فرض الإسلام على كثير من فروع الثروة ومظاهر النشاط الاقتصادى من أنواع الزكاة ما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ويحول دون تضخم الثروات ودون تجمعها فى أيد قليلة ويؤدى إلى تقليل الفوارق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض، ولذلك فرض الإسلام الزكاة فيما تنتجه الأرض وفيما يملكه الفرد من الذهب والفضة وعروض التجارة والأنعام بالشروط والمقادير المبينة فى كتب الفقه الإسلامى .. والأصل فى الزكاة بجميع أنواعها أن تدفع إلى بيت المال يقوم بصرفها فى مصارفها التى حددها القرآن الكريم فى الآية الستين من سورة التوبة حيث يقول تعالى :

﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(١) فمن أهم مصارف الزكاة الإنفاق على الفقراء والمساكين وفى سبيل الله .. ومع ذلك يجوز للمالك نفسه أن يقوم بإخراجها وصرفها فى مصارفها ، وقد جعل الإسلام الزكاة

(١) سورة التوبة : ٦٠

من أهم أركانه وقرنها دائما بالإيمان بالله وبالصلاة وبلغ من اهتمام الإسلام بأمرها أن أبا بكر الصديق قد حارب القبائل التى امتنعت بعد وفاة الرسول ﷺ عن أداء الزكاة حتى من ظل منهم باقيا على إسلامه ، واعتبر هؤلاء فى حكم المرتدين عن الإسلام وقال فى ذلك قولته المشهورة : والله لو منعونى عناقا (وهى الأنثى الصغيرة من ولد المعز وفى رواية عقال بعير) كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه لو وحدى ما استمسك السيف بيدى ، لقد كمل الدين وتم الوحى «يشير بذلك إلى قوله تعالى» : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ أو ينتقص وأنا حى؟ (أى: لا أسمح أن ينتقص شىء منه ما دمت حيًا) ، فقضى بذلك على أكبر فتنة كانت تهدد الإسلام[1].

وتختلف الزكاة عن معظم ما عداها من الضرائب فى إنها لا تفرض على ما تنتجه رؤوس الأموال فحسب .. بل تفرض كذلك على رؤوس الأموال المنقولة نفسها .. فإذا تعطل رأس المال عن الكسب فإنه لا يلبث أن يذهب معظمه زكاة فى نحو أربعين عامًا وذلك فى الأموال التى تقدر زكاتها سنويًا بربع عشرها وهى تشمل الذهب والفضة وعروض التجارة ، وحتى إذا لم يتعطل رأس المال عن الكسب فإن متابعة أخذ الزكاة منه سنويًا بالمقدار المقرر تنتقصه دائمًا من أطرافه وتحول دون تجمع ثروة كبيرة فى يد صاحبه ، وأوجب الإسلام على الأغنياء فى بعض مواسم تكرر كل عام وفى بعض أعياد ومناسبات أن يخرجوا من أموالهم صدقات للفقراء والمساكين وجعل ذلك سنة مؤكدة لهم، ومن أهم هذه الصدقات زكاة الفطر ، والضحايا التى تنحر فى عيد الأضحى والهَدْى الذى يجب أو يستحب للحاج نحره وكلاهما يخصص كله أو معظمه أو قسم منه للفقراء

---

(١) أثر الزكاة والصدقات والكفارات فى تحقيق العدالة الاجتماعية مقال للدكتور على عبد الواحد وافى - جريدة الأهرام ١٢ / ١٢/ ١٩٨٦ .

والمساكين على ما هو مبين فى كتب الفقه الإسلامى حيث قال تعالى فى بيان طريقة الانتفاع ببعض ذبائح الهدى التى يقدمها الحاج : ﴿ **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴾(١) .

وعمد الإسلام إلى طائفة من الخطايا والمخالفات التى يكثر حدوثها وجعل كفارته إخراج الأموال والتصدق بها على الفقراء والمساكين فجعل ذلك كفارة للحنث فى اليمين ، وكفارة للظهار (وهو أن يقول الرجل لامرأته أنت علىَّ كظهر أمى أو عبارة من هذا القبيل ثم يرغب فى مراجعتها) وكذلك كفارة لمعظم أنواع الفطر فى رمضان ولبعض المخالفات التى تحدث فى مناسك الحج .

□□□

---

(١) سورة الحج من الآية : ٢٨

ثانيًا : الإنفاق الواجب للصالح العام

عندما لا تفى الزكاة بحاجة الدولة أو حاجة المحتاجين لسبب من الأسباب فإن لولى الأمر أن يفرض على الأغنياء أن يدفعوا قسطا من أموالهم لسد هذه الحاجة، ويتفاوت هذا القسط بتفاوت الحاجة ، والأدلة على وجوب هذا النوع كثيرة فى المراجع الإسلامية نورد منها :

قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**﴾(١).

فمن الواضح أن الآية الكريمة ذكرت إعطاء المال لذوى القربى واليتامى وغيرهم ثم عرجت فذكرت دفع الزكاة .. ومن هنا يتضح أن الزكاة شيء وأن الدفع للحاجة وسد الخلل شيء آخر .

١ ـ قال الرسول ﷺ : «إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدرما يسع فقراءهم» . وقوله أيضاً : «إن فى المال حقًا سوى الزكاة » .

٢ ـ وعندما دهمت المجاعة الجزيرة العربية فى عهد عمر قال : لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم فعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم .

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٧٧

٣ ـ ويقول القرطبى: «واتـفق العلماء أنه إذا نزلت بالمسلمين حـاجة بعد أداء الزكاة يجب صـرف المال إليها» ، قـال مالك رحمـه الله : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضاً [١].

٤ ـ ويقول ابن تـيميـة: «ولولى الأمر أن يسكن الفـقراء بيوت الأغـنياء بدون أجر أو بأجر» .

(١) الاقتصاد فى الفكر الإسلامى ـ مقال ـ للدكتور أحمد شلبى.

٣ـ آثار الربا من النواحى النفسية والاجتماعية والاقتصادية

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١) .

الربا لغة : تعنى الزيادة مطلقًا .

وفى الشرع: زيادة يأخذها المقرض من المستقرض فى مقابل الأجل ، وعبر بأكل الربا؛ لأنه يقال لمن تصرف فى مال غيره بدون حق : أكله .. وفلان أكلنى والمس فى الآية : يعنى الجنون فقد شبه الله المرابين بالمصروعين الذين يتخبطهم الشيطان .. أى: أن الله سبحانه وتعالى أربى فى بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبولين ينهضون ويسقطون وتلك سيماهم يوم القيامة .

حيث يخبر الله سبحانه وتعالى المرابين الذين يمتصون دماء الناس بأنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له .. يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشى سويًا؛ لأن به مسًا من الشيطان ذلك التحفظ والتعثر بسبب أنهم استحلوا الربا الذى حرمه الله، وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية الربا من أكبر الجرائم الاجتماعية والدينية لما فيه من أضرار ومساوئ تفتك بالمجتمع ومن هذه الأضرار :ـ

١ـ الناحية النفسية للربا :

يولد فى الإنسان الأنانية فلا يعرف إلا نفسه ولا يهمه إلا مصلحته وبذلك تنعدم روح التضحية والإيثار وينعدم حب الخير للأفراد والجماعات وتتلاشى الروابط الأخوية بين الإنسان وأخيه الإنسان .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥.

٢ـ الناحية الاجتماعية للربا :

يولد العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ويدعو إلى تفكك الروابط الإنسانية والاجتماعية بين طبقات الناس ويقضى على مظاهر الشفقة والحنان .

٣ـ الآثار الاقتصادية للربا :

الربا يقسم الناس إلى طبقتين طبقة فى رغد العيش تتمتع بعرق الآخرين ، وطبقة معدمة تعيش على الفاقة والحاجة والبؤس والحرمان وبذلك ينشأ الصراع بين هاتين الطبقتين وتكثر الفتن ، هذه هى بعض آثار الربا وبعض أضراره .

رابعاً : محاربة الإسلام للمحسوبية

إن الإسلام قد حرص على استتباب الأمن ونشر أسباب الوقاية من الإجرام والطغيان قبل إصدار قوانينه الخاصة بالعقاب وذلك بالأمر (بالعمل) ليشتغل كل إنسان بعمله فلا يبقى هناك مجال للتفكير فى العدوان الذى ينتج عن البطالة ، كما كفل الإسلام حقوق الناس جميعا على مختلف طبقاتهم فقرر العدل والتواصى بالحق ، وقرر مساعدة المحتاجين الذين لا يجدون عملا ولا يستطيعون العمل فأشرقت من تعاليم الإسلام أسمى مبادئ الإنسانية الرحيمة فى التضامن الاجتماعى، وإخماداً لثورة الغضب والانتقام التى يكون مبعثها الشعور بالظلم .. وبعد ذلك لم يبق للإنسان من عذر فى العدوان فإذا تمت كفالة حقوقه على هذا النحو السابق ثم اعتدى ومد يده كان لابد من فحص حالته؛ حتى لا تكون هناك شبهة فإذا ما ثبت إدانته فلابد من إلحاق العقوبة به وإقامة الحد عليه ، وقد استفاضت الأحاديث النبوية الشريفة فى طلب الحدود بصورة تجعل المسلمين يبادرون إلى إقامة شريعة الله وتنفيذ حدوده التى شرعها ومن تلك الأحاديث والآيات :ـ

١ ـ عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ، وحد يقام فى الأرض بحقه أذكى فيها من مطر أربعين عاما» .

٢ ـ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «أقيموا حدود الله فى القريب والبعيد ولا تأخذنكم فى الله لومة لائم» .

(رواه ابن ماجة)

٣ ـ كما أوضحت السنة الشريفة أثر ذلك للفرد والمجتمع وأنه إن لم نأخذ على يد الجانى يعم الهلاك .. وإن أخذنا على يديه نجا الجميع.. وعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا :لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» .

(رواه البخارى والترمذى)

٤ ـ وعن عائشة ﷺ أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» .

وفى هذا الحديث يرسى الرسول قاعدة أساسية فى المساواة بين الناس على ضوئها تحل مشكلة المحسوبية والتفرقة العنصرية بتطبيق عمل حازم لا تعرف الدنيا له مثيلا، ولهذا نرى كيف كان للإسلام فضل السبق فى إرساء قواعد الحق وتطبيق المبادئ السلمية التى لا يفرق فيها بين إنسان وأخر .. لا تمييز ولا محاباة.. ولا فضل إلا بالعمل الصالح .

خامسًا : الإسلام يحارب الرشوة

الرشوة : هى كل مال يدفع مقابل قضاء مصلحة ، وقد حرم الإسلام الرشوة لأن الأصل في المجتمع الإسلامى أن يؤدى كل فرد واجبه على أكمل وجه دون انتظار مكافأة من أحد إلا أجره نظير عمله ، والإسلام حينما حرم الرشوة إنما فعل ذلك حفاظا على المال العام وضمانا لأن يؤدى كل مسئول فى موقعه (سواء كان موظفًا أو قاضيًا أو حاكمًا) واجبه كاملا بأمانة وإخلاص دون وقوعه تحت تأثيرات مادية تجعله يقتطع من حق فرد ليعطيه لغيره ... فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (١) . ومن العجيب أن الإسلام حرم الرشوة فى مجتمع النقاء الاقتصادى أيام الرسول ﷺ فلم تكن الرشوة منتشرة فى هذا المجتمع ومع هذا حرمها الإسلام وحذر من أضرارها .. وهذا من دلائل صدق النبوة المحمدية ..؛ والإسلام لم يحرم الرشوة فقط وإنما حرم دائرتها كلها .. الراشى والمرتشى والرائش ..؛ لأن الفساد لا يكون إلا بطرفين مع واسطة وهو الرائش .. فالحرمة تقع على المرتشى، وهو الموظف العام ومن فى حكمه ، وتقع على الراشى وهو صاحب المصلحة الذى يعرض الرشوة على المرتشى؛ لأنه أخذ حقا ليس له وفى الحديث «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش» ومعنى هذا أن الرائش (أى: الوسيط) الذى يتوسط فى قضاء المصلحة يدخل فى حكم المرتشى والراشى .. وهذا من عدل الإسلام خاصة فى أيامنا هذه التى يتفتن فيه أصحاب الضمائر الميتة فى سلب أموال الناس وابتراز حقوقهم بحيث أصبحت أخبار الرشاوى شيئا عاديا تطالعنا به الصحف صباح ومساء ، والرشوة يكون ضررها أعم إذا كانت تتعلق بمال الدولة؛ لأنها فى هذه الحالة تمس كل فرد فى الوطن

(١) سورة البقرة : ١٨٨

إلى جانب ما تسببه من أضرار جسيمة للمال العام، وهنالك ثلاثة أسباب وراء ارتفاع نسبة جريمة الرشوة وهى :

١ ـ الرغبة فى الحصول على المال حتى لو كان المرتشى غنيًا .

٢ ـ ضعف الرقابة .

٣ ـ وجود الاستعداد الشخصى لدى المرتشى .

والإسلام يغلق باب الرشوة من أساسه؛ لأنه يقدر للعامل أو الموظف أجرًا ثم يجعله أمينًا على هذه المصلحة بالإضافة إلى أنه يزهده أساسًا فى المادة ولا يجعله عبدا للدينار أو الدرهم ففى الحديث الشريف «تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم» ، فعلاج الإسلام لمسألة ضعف الإنسان أمام الإغراء المادى علاج عام وليس مقصورًا على مسألة الرشوة؛ لأن الإسلام وضع أساس تعامل المسلم مع المادة بشكل عام .. وإذا كان بعض الناس يحاولون أن يلبسوا الرشوة ثوبًا خادعًا تحت اسم الهدية فيقدمونها للناس على أنها هدية وقد حارب الإسلام هذا النوع من التحايل .. فقد استعمل الرسول ﷺ رجلاً يقال له: ابن اللتيبة على جمع صدقات المسلمين ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إلىّ، فقام النبى ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «ما بال العامل نبعثه فيأتى فيقول هذا أهدى إلىّ فهلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا ؟

والذى نفسى بيده لا يأتى بشىء إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبعر، ثم رفع يديه حتى رأينا بياض إبطيه وقال : ألا هل بلغت ؟»

وهذا الحديث الشريف يصور لنا نموذجا قد يستحله البعض الذين يولون أمور الناس .. فالهدايا أصبحت رشوة مقنعة، بل صارت مكشوفة مقصودة

وأصبحت عادة فاشية والرشوة من الكبائر فى الإسلام؛ لأنها تطمس الحق أو تحيد عنه وتنصر الباطل أو تعين عليه ، وإن كان بعض العلماء يرى أن صاحب المصلحة الذى يضطر إلى دفع رشوة ليحصل على حقه فقط بغير إثم مادام شعر أن حقه سيضيع إذا لم يدفع وأن الحرمة تقع هنا على الموظف الذى يعطل مصالح الناس حتى يدفعوا له ، كما أن الأشياء البسيطة مثل البقشيش أوالإكرامية أو العمولة التى تعطى نظير عمل مشروع بطيب مشروع وليست رشوة فى نظر بعض العلماء وإنما هى مودة مشروعة ما لم تؤد إلى الإضرار بحقوق الآخرين أو الحصول على أكثر من الحق المعلوم؛ لأن المال بين المسلمين يدور بين أمرين: إما أن يخرج نظير عمل مشروع ، أو يخرج ابتغاء مرضاة الله ، وكذلك الهدايا فى المناسبات والأعياد ما دامت خالصة وليست لغرض فى النفس أو لمصلحة شخصية ، فالهدايا فى مناسباتها المشروعة مباحة كالخطبة والزواج والنجاح وغيره ما دامت خالصة لله سبحانه؛ صلة مودة دون مَنٍ ولا أذًى ولا استغلال فيما يخرج بها عن مسامها ومعناها الأسمى ، فالهدية المشروعة على هذا الوجة تربط المجتمع بروابط المودة والألفة والمحبة وفى الأثر «تهادوا تحابوا» .

والرسول ﷺ ينفرنا من الرشوة ويجعلها بابا من أبواب الربا وفى هذا إشارة إلى أن الرشوة ليست من أسباب تدمير الضمائر والأخلاق فقط، بل من أسباب الدمار الاقتصادى والإفلاس المادى .. وفى الحديث «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا » .

ولعلاج جريمة الرشوة عمل الآتى :-

١ ـ مراعاة اختيار العناصر الصالحة لتشغل المناصب القيادية حتى يكون قدوة لمرؤوسيها من حيث القدرة على الإدارة والانضباط والطهارة مع إبعاد القيادات غير الصالحة عن مواقع القيادة .

٢ ـ منح السلطات الرئاسية بالحكومة والقطاع العام حق نقل العامل إلى عمل غير متصل بالجماهير فى حالة التأكد من انحرافه ورشوته .

٣ ـ تدعيم أجهزة التفتيش والرقابة والمتابعة الداخلية بالوزارات والوحدات المختلفة بما يكفل حسن أداء العمل والكشف عن الانحرافات الوظيفية وعقاب مرتكبيها .

٤ ـ ضرورة التوازن بين المرتبات وأجور العاملين وبين أسعار السلع والخدمات التى يحتاجونها (توفير معيشة مناسبة) .

سادساً : النفاق فى الإسلام

كلمة النفاق من الكلمات التى تطور مفهومها بمتغيرات الزمن فهى قبل الإسلام تعنى أىّ شئ له ظاهر معروف وباطن يناقض الظاهر لكنه غير مدرك ، ويرى اللغويون أنها مأخوذة من نافقاء اليربوع وهو حجر تميز به هذا الحيوان له مدخل معروف ومخرج غير معروف يستطيع الهرب منه إذا داهمه عدو قوى، ولما جاء الإسلام أخذت مفهومها المعروف الآن إذ أطلقت على كل من يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وفى مجال الدراسات الإسلامية تعددت أنواع النفاق فأصبح منه ما يسمى نفاق العقيدة (يظهر الإسلام ويبطن الكفر) ، ونفاق العمل بأن يعمل الإنسان عملا ما يبغى فيه ثناء الناس وهو المعروف بالرياء وسماه الرسول ﷺ الشرك الأصغر ، ووصف الله تعالى المنافقين يوم الأحزاب فقال : ﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ**﴾(١) . وإسلوب المنافق وطريقته فى الحديث تكشف أحيانا عن طواياه .. حيث يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾(٢) .

ويدفع الإنسان إلى النفاق الرغبة فى الكسب بلا جهد فالمنافق فى كل زمان إنسان يريد أن يصل بسرعة منتهزاً أى فرصة مشروعة كانت أو غير مشروعة بأقل جهد يبذل أو بلا جهد على الإطلاق إلا سلاح المداهنة والمخادعة الذى يجيده ولا يجيد غيره .

ومن أسباب النفاق :.

١ ـ العجز عن المواجهة الصريحة التى تضع الأمور فى نصابها .

---

(١) سورة الأنفال من الآية : ٤٩

(٢) سورة محمد : ٣٠

٢ ـ سيطرة الاستبداد التى تقتل فى الإنسان كل مشاعر الكرامة والحرية ولأجل هذا وجدنا الخلفاء الراشدين كانوا يطلبون من الرعية النقد والتوجيه وأن يصدقوهم فى النصح ومن ذلك قول أبى بكر ﷺ :«الصدق أمانة والكذب خيانة».

٣ ـ خلو القلب من الإيمان الصادق الدافع إلى الثقة والمحرك فى الإنسان معنى الخشية فلا يخاف إلا من الله ولا يرجو سواه .

٤ ـ والنفاق بصفة عامة مرض من أقبح الأمراض التى تصيب النفس الإنسانية وتهوى بها إلى حضيض المهانة حيث يقول تعالى : ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾(١) .

والقرآن الكريم تحدى المنافقين فى كثيرمن الآيات حتى أنه أفرد سورة خاصة بهم سميت باسمهم وهى سورة «المنافقون» تتكشف لنا خطورة هذا الاتجاه فى المسلك البشرى حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾(٢) .

إن النفاق كما صوره الإسلام أشد خطرا من الكفر ..؛ لأنه كفروزيادة ، والكافر الصريح معروف أمره فيتقى شره ، أما المنافق فكفره دفين وكيده خفى ولأجل هذا ألقى القرآن الكريم أضواء كاشفة عليهم صيانة للمجتمع المسلم من شرهم، ومسئولية النفاق شركة بين طرفين يتحمل المنافق شطرها ويتحمل من ينافقه شطرها الآخر؛ لأن الذى يقبل النفاق ويستجيب له إنسان مضلل استعذب

(١) سورة البقرة : ١٠

(٢) سورة النساء : الآيتان ١٤٢ – ١٤٣

حـياة الضـلال وارتاح إلى سكون الظلام ظنًا منـه أنه الأمن وفى الواقع هو الزيف والتلبيس ، وإذا كان الـكذب جريمة فتقـبله بدون تحر ولا تثبيت جـريمة أخرى ، وإذا كان التضليل مفسدة فالإذعان للتضليل بدون استبانة مفسدة أكبر .

سابعاً : الإسلام ضرورة حتمية لإصلاح البشرية

فالإسلام ضرورة حتمية لإصلاح البشرية للأسباب الآتية :.

١ـ الإسلام ضرورى لإصلاح البشرية وتخليصها من تناقضاتها وتوجيهها وجهة الخير والإنسانية .

٢ ـ الإسلام ضرورة لإقامة قسطاس العدالة بين الكبار والصغار .. بين الأقوياء والضعفاء بين الأولياء والأعداء ، الضعيف قوى حتى يعاد إليه حقه، والقوى ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ويعاد إلى صاحبه ، كما أن الإسلام ضرورى حتى يقضى على التمييز العنصرى وعلى الفروق بين الألوان والأجناس .

٣ ـ الإسلام ضرورى حتى يكون هو الجامع بين الخلق جميعا على رسالة الخير والرحمة .

٤ـ الإسلام ضرورى من أجل أن يشعر الناس بهذه النعمة التى منحهم الله إياها بقصد أن يتعارفوا ويتألفوا ويتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان .

٥ ـ الإسلام ضرورى حتى يعلم الناس أن الإسلام كله خير، فلا التزمت من الإسلام، ولا التفلت من الإسلام، وما خُير الرسول بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما .

خاتمة : مما سبق يتضح أن الإسلام قدم منهاجًا شاملاً ومتكاملاً للمحافظة على البيئة وحمايتها ومنع فسادها أو الاعتداء عليها أوتلويثها ، وذلك فى كافة مجالات نواحى الحياة البيئية للإنسان (سواء الصحية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أوغيرها) ، وهو ما سنتناوله بالشرح والتوضيح والتفصيل فى الأعداد التالية من السلسلة تأكيدًا على أن المنهج الإسلامى هو المنهج الوحيد الكامل والمتكامل لسعادة الإنسان ورخائه فى الحياة الدنيا والآخرة .

والله الموفق

المؤلف

دكتور / محمد السيد أرناؤوط

أهم المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- تفسير القرآن لابن كثير.

٣- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم.

٤- التفسير الكبير للرازى ، دار الكتب العلمية.

٥- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى .

٦- سنن أبى داود ، مكتبة عيسى الحلبى .

٧- مختار الصحاح للجوهرى، تحقيق أحمد عطار.

٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبدالباقى.

٩- إحياء علوم الدين، لأبى حامد الغزالى ، دار المعرفة بيروت.

١٠- شفاء الغليل للغزالى ، مطبعة الإرشاد ، بغداد .

١١- نظم الدرر للبقاعى ، دار المعارف العثمانية.

١٢- المفردات، للراغب الأصفهانى ، دار المعرفة، بيروت.

١٣- الترهيب والترغيب للمنذرى .

١٤- الحاوى الكبير ، للماوردى ، تحقيق عامر بن سعيد.

١٥- فيض القدير للمناوى ، المكتبة التجارية الكبرى .

١٦- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ابن بسام ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ .

١٧- خواطرى حول القرآن لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

١٨- الإسلام والعصر ، للدكتور / عبد العزيز كامل .

١٩- القرآن محاولة لفهم عصرى ، للدكتور/ مصطفى محمود.

٢٠- البيئة في الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى ، للدكتور / عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١٩٩٤ .

٢١- العلم بين يدى العالم والمتعلم ، باسم بن محمد إلياسين ، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ،١٩٩٢.
٢٢- الإنسان والبيئة ، للدكتور/ حسن نجم وآخرين ، دار البحوث العلمية ، الكويت.
٢٣- طرق الانتفاع بالبيئة، عدلى كامل فرج، مرجع في التعليم البيئى لمراحل التعليم العام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٨٧.
٢٤- برنامج الأمم المتحدة للبيئة، جدول الأعمال للشباب، دائرة الإعلام، نيروبى، كينيا .
٢٥- الإسلام والشباب ، عبدالتواب رضوان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، العدد ١٦ ،١٩٩٧.
٢٦- الرسول والشباب ، عبدالقادر أحمد عطا ، مناهج السنة ١٩٩٧.
٢٧- الإسلام ومنهجه في تربية الأبناء ، الشيخ منصور الرفاعى عبيد
٢٨- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبدالرحمن النحلاوى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨.
٢٩- التربية وترقية المجتمع ، محمود قمير وآخرون.
٣٠- المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة (دراسة نفسية تربوية) سيد عثمان.
٣١- أسلمة مناهج العلوم المدرسية (تصور مقترح)، حمدى أبو الفتوح ، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، ١٩٨٦.
٣٢- الأخلاق والسير فى مداواة النفوس، أبو محمد بن حزم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥.
٣٣- أسس وأهداف وأساليب التربية البيئية، محمد السيد جميل ، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٠.
٣٤- القرآن رؤية تربوية، زهير محمد شريف ، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢
٣٥- مرجع فى التعليم البيئى لمراحل التعليم العام(النظام البيئى) إعداد عدلى كامل ، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة)، ١٩٧٦.

٣٦- معلمة الإسلام ، أنور وجدى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٣٧- التنمية والبيئة (دراسة مقارنة) للدكتور شوقى أحمد دنيا، كتاب دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامى، العدد ١٣٧ ، ١٤١٤هـ.
٣٨- تلوث البيئة للدكتور محمدجمعة ، مكتبة الخريجى ، الرياض.
٣٩- منهج التربية الإسلامية ، محمدقطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨١ .
٤٠- الإنسان والثروات المعدنية للدكتور محمد عوض الله ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد رقم ٣٣، الكويت.
٤١- علوم البيئة ، للدكاترة محمد صابر سليم وأمين عرفان دويدار ، وحسنى أحمد إسماعيل وعدلى كامل فرج، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع الجامعات المصرية ، برنامج تأهيل معلمى المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعى ، ١٩٨٦ .
٤٢- التلوث مشكلة العصر ، للدكتور أحمد مدحت إسلام ، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ١٥٢ ، الكويت.
٤٣- مبادئ الميكروبيولوجيا الزراعية ، للدكتور / أحمد نبيل إبراهيم ، ١٩٧٨ .
٤٤- دورات الحياة للدكتور عبدالمحسن صالح.
٤٥- طعام الإنسان وشرابه بين الطب والقرآن والسنة للمؤلف ، المكتب الثقافى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
٤٦- ثقب في الفضاء ، للمهندس / سعد شعبان ، سلسلة اقرأ، دار المعارف ، العدد ٥٩٦ ، ١٩٩٢ .
٤٧- الإعجاز الطبى في القرآن للدكتور السيد الجميلى.
٤٨- الاعجاز العلمى فى الإسلام (القرآن الكريم) للأستاذ محمد كامل عبدالصمد، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
٤٩- الإنسان وتلوث البيئة ، للمؤلف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
٥٠- التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان ، للمؤلف ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

٥١- المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة ، للدكتور أحمد عبدالوهاب عبدالجواد ، سلسلة دائرة المعارف البيئية، الدار العربية للنشر ، ١٩٩١.
٥٢- الإنسان والثروات المعدنية ، للدكتور محمدعوض الله ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٣٣.
٥٣- رئاسة الجمهورية ، المجالس القومية المتخصصة للتعليم والحفاظ على البيئة في مصر .
٥٤- اللعب مدخل وظيفي للتربية الإسلامية، حسن إبراهيم عبدالعال ، دراسات تربوية رابطة التربية الحديثة ، القاهرة .
٥٥- اللعب ضرورة ثقافية للطفل ، كمال الدين حسين ، المركز القومى لثقافة الطفل، ١٩٩٢.
٥٦- معجزات في الطب للنبى العربى محمد (ﷺ) للدكتور محمد سعيد السيوطى.
٥٨- العالم وتحديات البقاء ، جاك لوب ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد رقم ١٠٤.
٥٩- الغرب والعالم ، كافينى راديلى ، ترجمة دكتور عبدالوهاب المسيرى ، سلسلة عالم المرفة ، عدد رقم ٩٧ ، الكويت .
٦٠- الإنسان بين الجوهر والمظهر ، إريك فروم ، ترجمة سعد زهران ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٤٠، الكويت .

الرسائل العلمية

٦١- التربية البيئية في الإسلام (دراسة تحليلية)، سعيد طه محمود أبو السعود ، رسالة دكتوراة، كلية التربية ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٢
٦٢- بناء برنامج في التربية البيئية لطلاب المدارس الثانوية الزراعية ، سليم محمد محمد سعيد ، رسالة دكتوراة، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٤

من المقالات والمجلات

- درع حيوى ضد التلوث ، مقال بجريدة العربى ، عدد ٤٢٦ ، الكويت ، ١٩٩٤ .
- التشجير الوقائى واستراتيجية حماية البيئة بمصر، مقال للدكتور السيد عزت قنديل ، جريدة الأهرام ، ١/ ٢/ ١٩٩٥.
- مجلة التنمية والبيئة ، أصدرها جهاز شئون البيئة، العدد الخامس ، فبراير١٩٨٧ .
- أثر الزكاة والصدقات والكفارات في تحقيق العدالة الاجتماعية ، مقال للدكتور على عبد الواحد وافى ، الأهرام في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٦ .
- نظافة البيئة من منظور إسلامى ، مقال للمهندس محمدعبدالقادرالفقى ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣٢٠ ، أكتوبر ١٩٩٢.
- الاقتصاد في الفكر الإسلامى ، مقال للدكتور أحمد شلبى .

من الكتب الأجنبية

63- W. Rubin S. L. and Graham T. R. Enviranment and trade , N, le-reen Alloheld osman, and co, Rulishers 1982.

الكتب التى صدرت للمؤلف

١ - التدخين بين الطب والقرآن والسنة ١٩٨٩، الناشر ، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢ - المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة ١٩٨٩، المكتب الثقافى للنشر والتوزيع.

٣- صحتك في الغذاء ، طعام الإنسان وشرابه بين الطب والقرآن والسنة ١٩٩٠، المكتب الثقافى للنشر والتوزيع.

٤ - الإعجاز العلمى في القرآن الكريم ١٩٨٩ ، الناشر مكتبة مدبولى.

٥ـ الأعشاب والنباتات غذاء ، ودواء، ١٩٩٣ ، الدار المصرية اللبنانية.

٦ـ الإنسان وتلوث البيئة ، ١٩٩٣ ، الدار المصرية اللبنانية.

٧ـ الحيوية والشباب في العلاج بالأعشاب ، ١٩٩٥ ، دار الآفاق العلمية.

٨ـ سلسلة الهوايات للشباب ومنها :-

أ- تربية نحل العسل للهواة ١٩٩٦ ، دار هديل للنشر والتوزيع .

ب- الفوائد الغذائية والعلاجية لعسل النحل، ١٩٩٧ ، دار هديل للنشر والتوزيع.

جـ- تربية ديدان الحرير للهواة ، ١٩٩٧ ، دار هديل للنشر والتوزيع .

د- تربية الحمام للهواة ، ١٩٩٧ ، دار هديل للنشر والتوزيع .

هـ- زراعة عيش الغراب، ١٩٩٧ ، دار هديل للنشر والتوزيع .

٩ـ سلسلة الزينة صدر منها :-

أ- تربية طيور الزينة ١٩٩٧ .

ب- تربية أسماك الزينة ١٩٩٧ .

جـ- تربية نباتات الزينة ١٩٩٧ .

١٠ـ التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٨ .

١١ـ الأراضى الزراعية والمياه، قبسات من نور القرآن الكريم، ١٩٩٨ .

١٢ـ أمراض الجلد والشعر والأظافر وعلاجها بالأعشاب.

١٣ـ الإعجاز الإلهى فى أجهزة المناعة والمقاومة الطبيعية في جسم الإنسان دار الفضيلة، ١٩٩٨ .

١٤ـ معجزة العلاج بالماء، دار الأمل للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ .

١٥ـ الموسوعة الإسلامية (مع الله) جزأين .

١٦ـ الطب الوقائى في القرآن والسنة ١٩٩٩ (جزأين).

المحتويات

هذا الكتاب

لقد عني الإسلام عناية خاصة بنظافة البيئة باعتبارها المكان الذي يقيم فيه الإنسان، ويحصل منه على احتياجاته ويمارس فيه عبادته لربه وأعماله التي تعينه على مواجهة الحياة .

وليس هناك أعظم من أن ينتمي الفرد إلى مجتمعه وبيئته، بما فيها من مشاكل ومصاعب وأن يساهم في حلها ، وأن يشارك في الحفاظ عليها بما يتفق مع تعاليم دينه الإسلامي الحنيف .

وعلى الله قصد السبيل .

الناشر

دار الأمل
للنشر والتوزيع